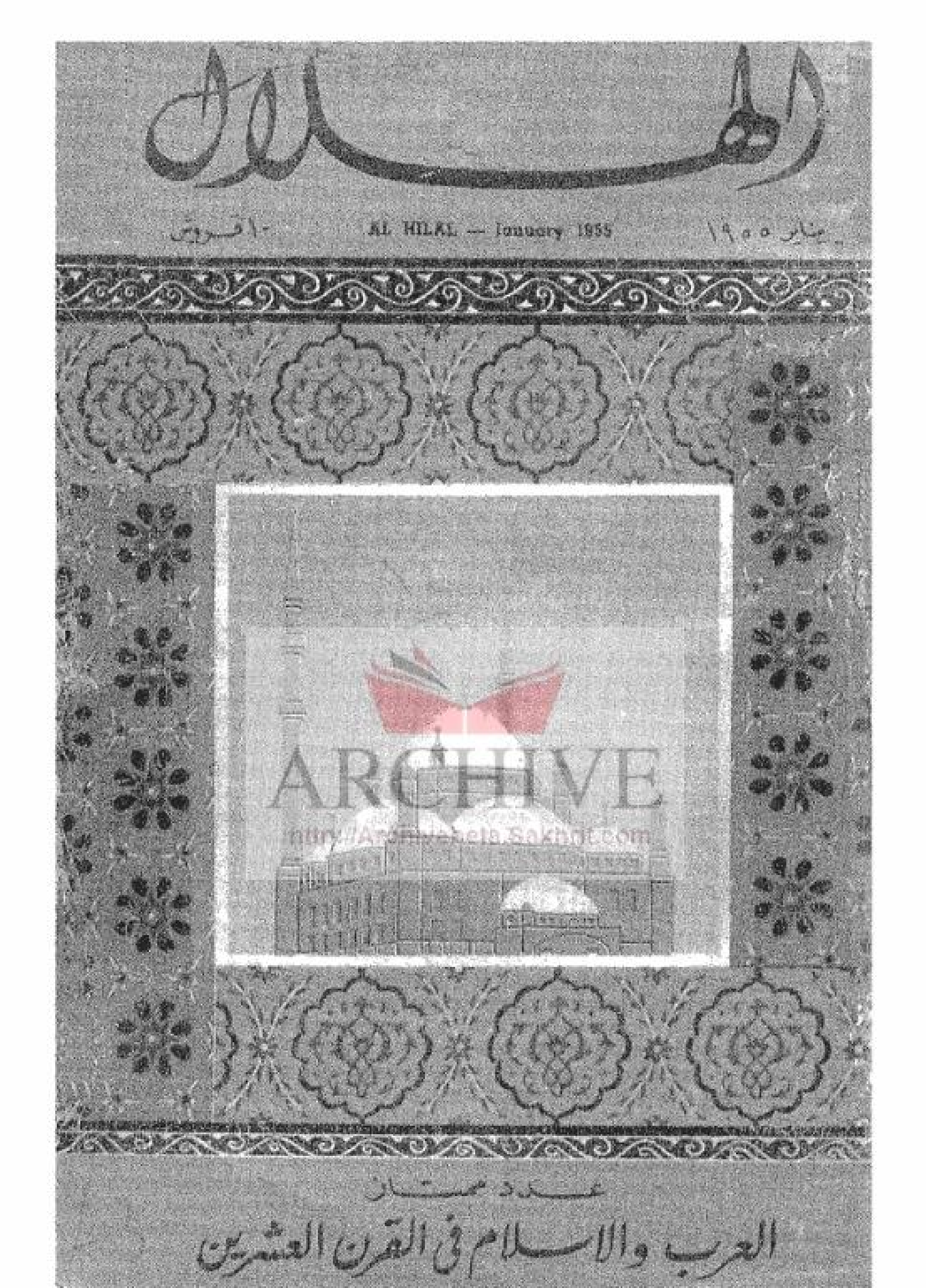

الهلال
يناير ١٩٥٥
AL HILAL — January 1955
١٠ قروش
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
عدد ممتاز
العرب والاسلام في القرن العشرين


دار الهلال
تقدم
مع مطلع العام الجديد
مجلتها الشهرية
حواء الجديدة
تصدر يوم
١٤
يناير ١٩٥٥
٨٠ صفحة • بسعر ٥ قروش

الجزء ١ — المجلد ٦٣

الهلال

أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢

تصدر عن « دار الهلال » شركة مساهمة مصرية

رئيسا تحريرها : اميل زيدان وشكرى زيدان

مدير التحرير : طاهر الطناحى

أول يناير ١٩٥٥ — جمادى الأولى ١٣٧٤

بيانات ادارية

ثمن العدد : فى مصر والسودان ٥٠ مليما ــ فى الأقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : سوريا ٧٠ قرشا سوريا ــ فى لبنان ٧٠ قرشا لبنانيا ــ فى شرق الأردن ٨٠ فلسا ــ فى العراق ٧٥ فلسا

قيمة الاشتراك عن سنة (١٢ عددا) : فى القطر المصرى والسودان ٥٠ قرشا صاغا ــ فى سوريا ولبنان (بالطائرة بواسطة شركة فرج الله ببيروت) ٧٥٠ قرشا سوريا أو لبنانيا ــ فى الحجاز والعراق والأردن ٨٠ قرشا صاغا ــ فى الامريكتين ٤ دولارات ــ فى سائر انحاء العالم ١٠٠ قرش صاغ أو ٢٠/٦ شلنا

مركز الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) القاهرة ــ مصر

المكاتبات : مجلة الهلال ــ بوستة مصر العمومية ــ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاسكندرية : ٢ شارع اسطنبول تليفون ٣٠٦٤٨

الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

محتويات هذا العدد

نخبة من البحوث القيمة والقصص الممتعة

مجلة الشرق الاولى

٦٣ سنة فى خدمة العلم والأدب والثقافة

صفحة

طبيب الهلال



العرب والاسلام : اهتمت الهلال باصدار هذا العدد الممتاز فى هذه الآونة التى يتجه فيها العرب والمسلمون فى جميع الاقطار الى نهضة جديدة اساسها التعاون لاحياء مجد الشرق ، والدفاع عن كرامته وحرياته ، والعمل لخير ابنائه ، واقامة صرح قوته واستقلاله

ولا ريب ان العرب سواء أكانوا مسلمين ام غير مسلمين يشاركون اخوانهم المسلمين فى الشرق الاسلامى كله فى حضارتهم وتاريخ مجدهم ، وفى مصالحهم واهدافهم . لان الاسلام دين عربى ، وهو جامعة كبرى ينضوى تحتها العربى ، والتركى ، والايرانى ، والافغانى ، والباكستانى ، والصينى والاندونيسى والافريقى .. ولان الاسلام ليس دينا فقط ، بل هو نهضة جددت حياة الشرق واهله ، وغيرت وجه التاريخ العام ، وانشأت حضارة جديدة دعاها رجال العلم والتاريخ « الحضارة الاسلامية » ، وسماها جوستاف لوبون وبعض علماء الغرب : « حضارة العرب » لانهم هم الذين حملوا شعلة الاسلام ، واوجدوا كيان الحضارة الاسلامية ، واسسوا اكبر امبراطورية فى الشرق من اقاصى الصين شرقا الى شواطىء الاطلنطى غربا ، ومن تخوم القسطنطينية شمالا الى بحر الهند وافريقيا الجنوبية جنوبا .

ولقد كان جوستاف لوبون منصفا للعرب وفتوحاتهم العظيمة اكثر من المؤرخ العربى ابن خلدون الذى خلط بين بداوة الاعراب وحضارة العرب ، واتهم العرب بأنهم ابعد الناس عن سياسة الملك ، وانهم اذا راموا التوسع السياسى من طريق الحرب لا يتغلبون الا على السهول والبسائط دون المواقع الجبلية وقد كان ابن خلدون وهو المؤرخ الفيلسوف متأثرا بحالة خاصة جعلته ناقما على الاعراب الذين وفدوا على المغرب فى القرن الخامس الهجرى ، وعاثوا فيه فسادا ، وليسوا هم العرب الامجاد أهل السياسة والرياسة والكياسة ، الذين دانت لهم أعظم الامصار ، وانهارت أمامهم جيوش الفرس والرومان ، وحطموا فى طريقهم أمنع المعاقل والحصون ، واجتازوا أعلى القمم والجبال وشقوا اخطر الانواء والبحار ، واسسوا فى كل قطر فتحوه حكما عادلا ، وسياسة رشيدة ، وحضارة جديدة ، حتى قال عنهم جوستاف لوبون : « ان لفتوحات العرب طابعا خاصا لا تجد مثله فى فتوحات الأمم الاخرى . ذلك أن العرب انشأوا بسرعة حضارة جديدة كبيرة

الاختلاف عن الحضارات التى ظهرت قبلها ، وتمكنوا بحسن سياستهم من حمل امم كثيرة على انتحال دينهم ولغتهم وثقافتهم . ولم يشذ عن ذلك اقدم الشعوب كالمصريين والهنود »

ولو ان ابن خلدون عاش فى القرن العشرين ، ولم يكن متأثرا بالحوادث التى احاطت به لاستبان هذه الحقيقة ، بل لشاهد تلك النهضة المباركة ، التى نهضتها الامم العربية والاسلامية فى القرن العشرين ، ولأعجب بتلك العزة الاسلامية ، وتلك النخوة العربية ، والكرامة الذاتية التى بعثت المسلمين والعرب فى مختلف الاقطار على استعادة ما كان لهم من سيادة ومجد أثيل

آمال فى القرن العشرين : كان القرن العشرون فالا حسنا للأمم العربية الاسلامية .. ففى هذا القرن نهضت تركيا من كبوتها نهضة جديدة ، واستقلت العراق والحجاز وسورية ولبنان والاردن ، وحصلت على استقلالها وحريتها كل من مصر وباكستان واندونسيا ، وفكت من عقالها الافغان وايران وليبيا .. ولكن بلادا عربية واسلامية ما تزال حتى الآن ترزح تحت ويلات الاستعمار كتونس والجزائر ومراكش ، ويعامل المستعمرون اهلها بالوان من الاستبداد .. لقد كانت فرنسا أول رافع للواء الحرية فى التاريخ الحديث ، فما بالها تعمل لمحاربة الاحرار وهدم الحرية بين قوم ينشدونها وينشدون الكرامة والسلام ؟. لقد أصدرت فرنسا وانجلترا فى ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ تصريحا على أثر انتهاء الحرب العالمية الاولى اعترفت فيه كل من الدولتين بحرية الامم التى كانت تحت سيطرة الاتراك ، ومنها امم المغرب وقالتا فيه :

« ان السبب الذى من اجله حاربت فرنسا وانجلترا فى الشرق تلك الحروب التى اهاجتها مطامع الالمان ، انما هو لتحرير الشعوب التى رزحت اجيالا طوالا تحت سيطرة الاتراك تحريرا تاما ، واقامة حكومات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الاهالى الوطنيين اختيارا حرا . وليس من غرضهما ان تكرها أهالى هذه المناطق على حكم لا يريدونه ! »

وهذا التصريح الذى كان — ولا يزال — وثيقة تاريخية ، ما لبثت فرنسا ان نقضته باحتلالها سورية ولبنان ، ثم بتوطيد احتلالها فى تونس والجزائر ومراكش .. وها نحن اليوم ، وبعد الحرب العالمية الثانية التى كافحت فيها فرنسا من اجل الحرية وذاقت فيها مرارة الاستبداد ، نرى الحرية غريبة فى تلك البلاد ، ونرى مأساتها تتكرر فى اقسى صورها ، على الرغم من هذا التصريح وعبرة الحرب الاخيرة ، وعلى الرغم من ميثاق هيئة الأمم المتحدة . وعلى الرغم من دروس الحرية التى تلقاها المستعمرون فى التاريخ تلك الحرية التى لم تقهر ، ولا يمكن أن تقهر ، والتى قضت على اعدائها فى الماضى ، ولا يمكن ان يقضوا عليها فى المستقبل ، مهما تسلحوا بالقوة ، ومهما مد لهم الزمان فى الظلم والطغيان

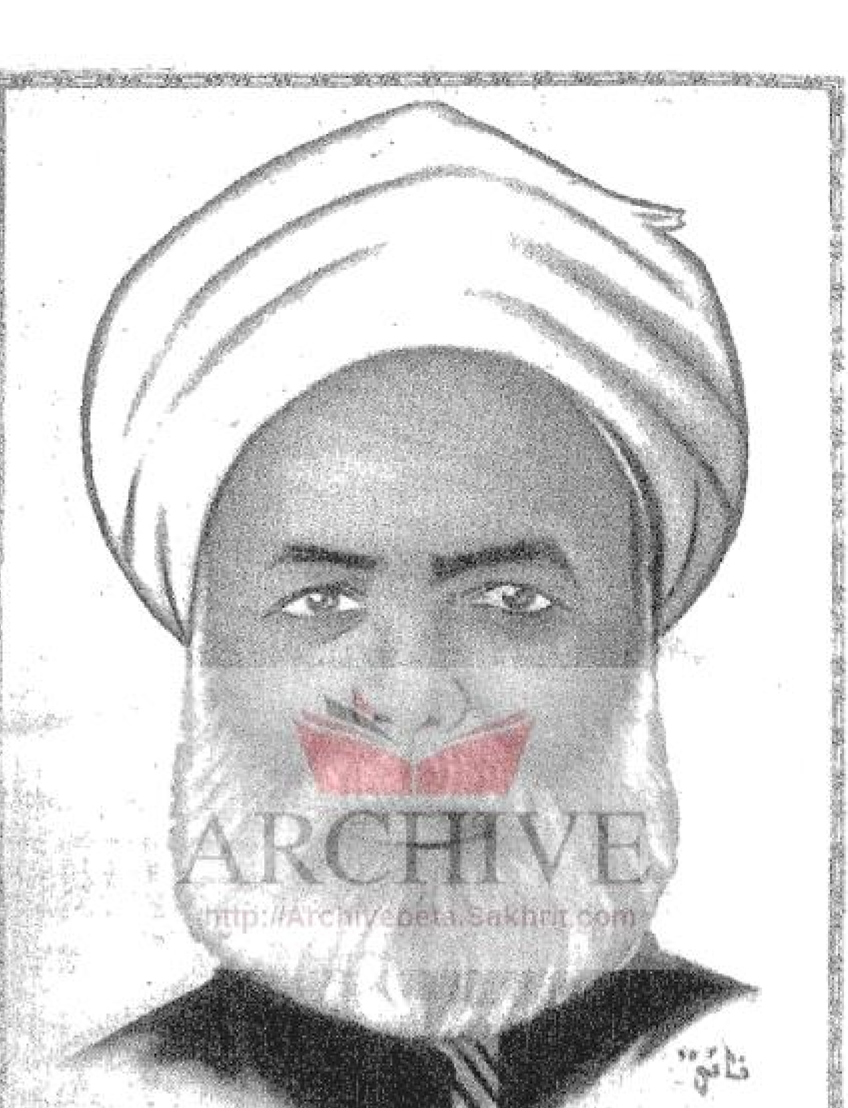
المستقبل للشرق : كانت الحروب التى انتابت البلاد العربية والاسلامية فى القـرون الوسطى وبالا على العرب والمسلمين ، فاوقفت فتـوحاتهم ، وشوهت أمجادهم ، واضعفت شأنهم ، حتى وقعوا فريسة للمستعمرين فى كل قطر من الاقطار . وقد عمل المستعمرون لزيادة ضعفهم وتفريق كلمتهم وتفشى الجهل والفقر بينهم . ووجد المشعوذون والدجالون فرصا كثيرة لنشر الخـرافات والترهات بين الكثيرين ، فخبـا نور الدين الصحيح ، واصبحت تلك الخرافات عالقة باذهانهم كما تعلق الطفيليات بالجسم البشرى فتصيبه بالضعف والمرض ، وقد فعلت فى نفوس العامة ما فعلت ، حتى اصبح الاسلام ـ كما قال الشيخ محمد عبده ـ محجوبا بالمسلمين

وقد اراد الله لهذا الدين ـ وهو قوة روحية عظيمة ـ ان يبعث فى العصر الحديث رجلين عظيمين هما السيد جمال الدين الافغانى ، وتلميذه الشيخ محمد عبده . فكشفا عن معدنه الاصيل الذى حجبه الدجالون والمشعوذون زمنا طويلا ، واعانهم على ذلك المستعمرون . فتولى الاول كفاحه فى اواخر القرن التاسع عشر حتى توفى سنة ١٨٩٧ وتولى الثانى اصلاحه فى أوائل القرن العشرين . وكان لهما الفضل الاكبر فيما ظهر فى هذا القرن من اصلاح دينى وقومى ، وفيما وجها اليه العرب والمسلمين من تحسين احوالهم ، والاخذ باسباب الرقى الحديث ، والاستفادة من تجارب الأمم الراقية التى كشفت اسرار الحياة بممارستها للعلوم التجريبية التى احـدثت نهضـة جديدة فى العالم الحديث

ولقد اخذ الشرق الذى قاد العالم طوال الفى سنة ، يستيقظ مرة اخرى ليبنى مجدا جديدا ، ويوطد دعائم عزته واستقلاله . وليس من البعيد أن يعود الى قيادة أمم العالم فى المستقبل ، خصوصا وقد بدات تظهر الى جانب ثروته الروحية العظيمة ثروات مادية كبرى ، فى معادنه وباطن أرضه ، وفى ذكاء أهله واستعدادهم للرقى ، وفى موقعه السياسى والجغرافى ـ ذلك الموقع الذى سيجعله ذا مذهب وسط بين الراسمالية والاشتراكية ، وحدا فاصلا بين سياستين متناوئتين تخطب كل منهما صداقته . وهو الى ذلك مهد الدينين العظيمين : الاسلام والمسيحية ، اللذين تعتنقهما الاغلبية العظمى فى العالم التى سئمت المادية واصبحت تعمل لرفع المستوى الروحى بين الافراد والجماعات

ولا ريب أن انقاذ العالم من الانحطاط والانانية والعدوان لا يجىء الا عن طريق التربية الروحية التى يدعو اليها هذان الدينان ، فجدير بالشـرق العربى والاسلامى ان يحظى بما يهدف اليه من سيادة ورقى ، وان يقود العالم الانسانى فى المستقبل الى المحبة والرقى والسلام الدائم

طاهر الطناحى



الشيخ محمد عبده امام القرن العشرين في الاصلاح الديني والقومي

« غاية رسالة الاسلام اثارة ما فى الفطرة الانسانية من اشواق الى الله وانارة الطريق اليه ، فاذا انتهى الانسان الى هذه الغاية امتلأ قلبه بالخير واشرقت نفسه بالفضيلة »

رسالة الاسلام فى القرن العشرين

بقلم الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى

وزير الأوقاف

هذا التحديد لـ « رسالة الاسلام فى القرن العشرين » لا بد ان يكون منظورا اليه لغاية خاصة اقتضته ودعت الى هذا التحديد .. وكانى « بمجلة الهلال » وقد رأت هذا العصر بدعا بين عصور الانسانية ، بما مكن للناس فيه من وسائل الحياة الرافهة ، وبما زخرت به دنياهم من الوان معجبة ، استهوت الناس وأذهلتهم عن معانى الروح ، فغرقوا فى لجج المادية ، وتنكروا للأديان ، وغشيتهم غاشية الزيغ والالحاد .. كانى «بمجلة الهلال» وقد نظرت نظرتها تلك الى هذا العصر فأرادت أن تطب للانسانية وتلتمس لها الدواء فى حمى الدين ، وتطلب لها السلامة فى ظلاله .. فمدت بصرها الى الاسلام تستطلع ما عنده لانقاذ هذا العالم المذهول بمفاتن دنياه عما يحيط به من بلاء ويتهدده من خطر

والا فان رسالة الاسلام رسالة عامة شاملة ، لا يحدها زمان ولا مكان ، فهى رسالة الانسانية جميعها الى كل امة وفى كل عصر . وليس للقرن العشرين فيها أكثر من غيره من القرون ...

فالانسان فى نظر الاسلام هو الانسان منذ بدء الخليقة الى اليوم وما بعد اليوم والى أن يرث الله الارض ومن عليها . وأدواء الانسانية هى أدواؤها المتأصلة فيها ، الكامنة فى كيانها ، السارية فى مشاعرها وأحاسيسها ، لا يخلو منها انسان ، ولا يتجرد منها بشر ، ولا تنسلخ عنها أمة من الامم ولا جيل من الاجيال ... « فطرة الله التى فطر الناس عليها .. لا تبديل لخلق الله »

والدواء هو الدواء .. تحمله رسالة الاسلام الى العالم فى مختلف أممه وعصوره .. وتسكبه فى النفوس ، رحمة وهدى ، وسكينة وأمنا ، لتصح به انسانية الناس وتصطلح عليه عواطفهم المضطربة ، وتجتمع اليه نوازعهم المتباينة ، « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .. «قل هو للذين

آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى . اولئك ينادون من مكان بعيد »

كثيرا ما كان يعرض للانسانية عارض حاد ، يختل به ميزان حياتها اختلالا واضحا ، ويصبح وجودها مهددا بالفناء ان لم تتحول بها الاحوال ، وتتغير فيها النظم والأوضاع ، وينتقل الناس نقلة كبيرة تباعد بينهم وبين ما هم فيه من دواعى الانحلال والهلاك .. وقد يحتاج الامر الى معجزة ، فتاتى حينئذ رسالة السماء فى اباتها .. لدفع الخطر وازاحة البلاء .. ثم تنتهى المعجزة وتذهب آثارها ، وتمضى الحياة فى طريقها .. الى ان يلم بها الداء ، وتعاودها النكسة .. فتاتى المعجزة ، ويكون الدواء .. وهكذا ، الى ان جاءت رسالة الاسلام ، وجاءت معها المعجزة الخالدة التى لا تنتهى عند زمان ، ولا تقف عند حد ، فهى الدواء العتيد الماثل لكل مايتهدد الانسانية او يلم بها من خطر

كان بنواسرائيل شعبا مستضعفا مستذلا ، قد وقع تحت سلطان فرعون وجبروته ، فأخذهم بالبطش والهوان ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة ، وتحول المستعبدون تحت هذا السلطان الباطش دمى متحركة وانسانية متبلدة متحجرة ، لا تعرف شرا ولا خيرا ، ولا تحس حياة ، ولا موتا

عبودية لم يشهد التاريخ البشرى لها مثيلا .. فكان لا بد من معجزة قاهرة تحيى هذا الموات ، وتعيد الى تلك الأشباح المتحركة بعض ما فى الانسان من خصائص ومميزات

وتأتى المعجزة ويستخلص موسى قومه من هذا البلاء ، ويخرجهم من هذا الذل ويدفع بهم الى الحياة الحرة الطليقة .. بعد ان يصحح عقيدتهم ، ويقيمهم على الطريق القويم والمنهج القاصد ..

ولكن سرعان ما ينحرف القوم عن الهدى ، وتتحول بهم الاحوال ، فاذا هم عباد مال ، وطلاب دنيا ، واذا هم حرب على من ليس منهم ، وعداوة مستعرة للناس جميعا .. وكأنما هذا التهالك على الدنيا والتكالب على جمع المال ، تعويض لما لبثوا فيه من حرمان تعاقبت عليه أجيالهم واخذ به آباؤهم وأجدادهم

وكأنما هذه العداوة المضمرة للناس جميعا انتقام لهذا الاذلال الذى لبثوا فيه أحقابا ، وأخذوا به أجيالا

هذه انسانية مريضة بأفتك الأدواء التى تهددها وتهدد البشرية جميعا ، فلا بقاء للحياة فى مجتمع شره ، يتربص بالناس الدوائر ويتحين لهم المصارع ، ولا بقاء لحياة يقوم على جوانبها هذا الداء العياء

وجاءت رسالة عيسى لتصد هذا التيار الجارف الذى طغى على الروح وكتم انفاسها ، وكان من الطبيعى لانجاح هذه الرسالة ان تنحاز دعوتها كلها الى جانب الروح ، فتدعو الى الزهد ، والى اطراح المادة

وازدراء الحياة ، والى المحبة والسلام بل والى الخضوع والاستسلام

انها دعوة قاسية ، ودواء شديد على النفس استساغته ، ولكن لا بد منه كي يقف فى وجه هذا الطغيان الطاغى ويؤثر فى تلك النفوس المتحجرة

كانت رسالة موسى صورة من صور البعث ، بها استقبل بنو اسرائيل الحياة ، ولكن لم تكد هذه الرسالة تقيمهم على الجادة منها حتى انحرفوا الى جانب المادة وتحولوا الى عباد دنيا وطلاب مال ،

وكانت رسالة عيسى صرخة مدوية فى هذا القطيع المعربد تمسك به أن ينزلق الى الهاوية ، وتحيد به عن هذا الطريق المادى الى طريق التجرد من ألوان الحياة وزخارفها

ونحن لا نرى فى كلتا الرسالتين بناء مستقرا ، ولا حياة معتدلة قائمة ، وانما نرى صراعا عنيفا بين العبودية والتحرر ، ثم صراعا مزعجا بين المادية والروحية ، ونعم، تنتصر الرسالتان فى معركتيهما انتصارا حاسما .. تنتصر الحرية فى الاولى ،وتنتصرالروحانية فىالثانية ، ولكن تظل الانسانية فى كلتا الحالتين فى حاجة الى تقويم ميلها واقامتها على الطريق التى تصحح طبيعتها ، وتجعل منها انسانية متكافلة تأخذ بنصيبها فى المادة والروح ، وبحظها من الدنيا والآخرة ، وذلك ما تكفلت به رسالة الاسلام ، وهى رسالة بعيدة الأبعاد رحيبة الآفاق ، تشرف على الانسانية كلها ، لا تختص بقبيل دون قبيل ولا بأمة دون أمة ..

ولهذا كانت تعاليم الاسلام قائمة على التجاوب مع الفطرة ، متمشية مع ما فى النفس من ميول وغرائز ... غايتها صيانة هذه الفطرة من أن يطمس عليها زخرف الحياة وزينتها ، وسبيلها توجيه هذه الغرائز وتلك الميول الوجهة القويمة التى تمكن للانسان من الحياة الطيبة دون أن يجور على الجانب الروحى منه

ليست رسالة الاسلام حربا على الانسانية تحطم ميولها وتخنق غرائزها ، وتكبت مشاعرها ، وانما هى تربية لهذه الغرائز ، وضبط لتلك الميول ، وتهذيب لهذه المشاعر، لتمسك على الانسان انسانيته ، متميزة بسماتها ، محتفظةبخصائصها ومشخصاتها .. وبذلك يعتدل ميزان الحياة البشرية ، فلا تصغى المادية المعتمة على الجانب الروحى منها ، ذلك الجانب الذى يأوى اليه ايماننا بالحياة الآخرة ، وتشرق منه آمالنا واشواقنا الى العمل الصالح ، ابتغاء ثواب الله ورضوانه ..

ورسالة الاسلام هى الرسالة الكاملة لأداء هذه المهمة على أكمل صورة فى الحياة البشرية جميعها

يعترف الاسلام بالانسان من حيث هو انسان له أحاسيسه ومشاعره ، وله آماله ، ومطامحه ، ويحتفظ له مع هذا بشخصيته كاملة فلا يذيبها فى سلطة حاكم دنيوى أو رئيس دينى ، فهو خليفة الله فى الارض ،

ومن حق هذا الخليفة أن يكون له ملك ... وأضيق حدود هذا الملك هو دنياه الخاصة التى يضطرب فيها، كذلك يعترف الاسلام للانسان ببشريته ، فهو بشر ، ومن طبيعة البشر الخطأ والانحراف عن الطريق السوى .. فاذا انحرف الانسان او اخطأ فهو انسان ، لا تهدر كرامته ولا تسقط انسانيته ، وأمامه باب التوبة والمغفرة ، ولديه وسائل التطهر من خطاياه ، بالعبادة .. من صلاة وزكاة وصوم وحج .. وكلها منافذ الى رضى الله ورضوانه . اذ ليس أقتل للانسان ولا اضيع له من ان يسقط فى مجتمعه بخطيئة يأتيها او معصية يواقعها ، فان ذلك جدير بأن يجعل منه حطاما متهدما او شيطانا ماردا ان لم تمسكه يد ترحمه فتمسح خطيئته ، وتقوده فى رفق الى مدخل الانسانية الفسيح

يقول سبحانه وتعالى :

« ... يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم .. وانيبوا الى ربكم واسلموا له ... »

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم »

بهذه النظرة الرحيمة ينظر الاسلام الى الانسانية ، ويقدم لها الدواء الناجع لدائها ، فلم يجردها مما فيها من غرائز دافعة الى حب الحياة ، ورغبات متطلعة الى مباهج الدنيا ومتعها ، ونفس أمارة بالسوء، داعية الى الخطيئة والمعصية ، وانما يفيض عليها من تعاليمه السمحة ما يخفف من شرتها ، ويكسر من حدتها ، ويمسك من جماحها ، لتستقيم على الطريقة ، آخذة من الدنيا بنصيب ، ومن الآخرة بنصيب .. وذلك جدير بأن يجعل من الانسان انسانا بشريا ... لا ملكا كريما ، ولا شيطانا رجيما .. انه الانسان الذى اراده الله ليكون خليفة فى الارض . استمع الى قوله تعالى:

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .. قال : انى أعلم مالا تعلمون » !!

انها دنيا الناس وأرض البشر ، وليست عالم الملائكة ولا سماء الروح ، فيها الخير والشر ، والاحسان والاساءة .. وخير احوالها أن يكون فيها الخير الى جانب الشر ، والاحسان الى جانب الاساءة ، أما أن تكون خيرا صرفا ، واحسانا خالصا فذلك لن يكون كما لن يكون الانسان الذى يخلص للخير ويمحض للاحسان

ذلك هو ميزان الحياة البشرية فى نظر الاسلام وتقديره ، وهو نظر قائم على الواقع ، وتقدير مقدر على طبيعة الانسان وفطرته ، ومدى ما فيه من استعداد للكمال البشرى

ولهذا أمتدح الله الأمة الاسلامية

القائمة على هدى الاسلام وتعاليمه ، وجعلها المثل الطيب للانسانية كلها بقوله تعالى :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

ولعل مما تتسع له معاني هذه الآية الكريمة ، أن يكون المراد بالأمة الوسط ، الأمة التى تتمثل فيها صفات البشرية من جانبيها الروحي والمادى ، فهي أمة وسط بين عالم الملائكة ، عالم الخير ، وبين عالم الجن ، عالم الشر . فالامة التى تهتدي بهدى الاسلام هي أمة وسط بين هذين العالمين ، عالم الخير وعالم الشر ، تتمثل فيهما اهم خصائص البشرية على الوجه الصحيح ، ليست خيرا صرفا ، ولا شرا خالصا ، ويكون معنى قوله تعالى : « ويكون الرسول عليكم شهيدا » انه صلوات الله عليه يمثل اكمل الكمال البشري ، فانتم ـ أمة محمد ـ شهداء على الناس ، تمثلون خير ما فيهم ، ومحمد شهيد عليكم يمثل الصورة الكاملة التى يسمو اليها البشر ويبلغ الحد الذى ليس بعده حد يفصل بين عالم الملائكة وعالم البشر ، وبهذا استحقت الأمة الاسلامية ان توصف بما وصفها به الله سبحانه وتعالى :« كنتم خير أمة أخرجت للناس »

ان هذا اليأس الذى يملأ قلوب المصلحين ودعاة الخير فى هذا العصر وان كان له ما يبرره لانتشار الفساد والانحلال الخلقى فى العالم ، وقيام المذاهب الهدامة للفضيلة ، واذاعة الآراء الجريئة على الدين والاخلاق ... ان كان لهذا اليأس ما يبرره ، فان فيه مع هذا نظرة لناظر ...

حقا ان الفساد قد استشرى ، وان الداء قد بلغ مداه فى هذا العصر ولكن ذلك لايسد فى نظر الاسلام ـ منافذ الأمل والرجاء فى اصلاح الانسانية وهدايتها

ينظر الاسلام الى تلك الامراض المتفشية فى هذا العالم نظر الطبيب الى المريض ، ويراها شيئا متوقعا فى دنيا الناس ، لا غرابة فيها ، ولا يأس من شفائها . وكما يمرض الجسم ويصح ، ويقطع العمر بين السلامة والمرض ، كذلك تمرض الانسانية، وتصح، وتهتدي وتضل وتتعرض لهزات تعنف حيث وتهدأ أحيانا ، ولكنها لاتوقف سير الحياة، ولا تصد أمواجها

بل ان الاسلام ليذهب الى أبعد من هذا ، فيبارك على الانسانية هذه الخطوات السريعة نحو المدنية ، ويستبشر بهذه الانتصارات الحاسمة التى استطاع الانسان أن يحققها بالتغلب على قوى الطبيعة وتسخيرها لمشيئته ، وتفرده بالسيادة على هذه الارض التى استخلفه الله عليها

ان الاسلام ليرى فى انسان القرن العشرين انسانا قد نضجت مداركه، واستوت ملكاته ، واتسعت آفاق نظراته فى ملكوت السموات والارض ،

وكل هذا خليق أن يبلغ به يوما مبلغ الايمان الوثيق بالله .. الايمان القائم على المعرفة الكاملة ، والنظر السليم

ان الطريق الى الله فى شريعة الاسلام هو العقل ، وكلما ارتقى العقل ، واتسعت آفاق تطلعاته ، كلما وضحت للانسان معالم الطريق وتكشفت له الحقيقة الكبرى ، فامتلأ بها صدره يقينا واطمئنانا

حقا ان تقدم الانسان فى هذا العصر قد ملأ عليه دنياه بزخارف الحياة ومتعها ، وان هذا التقدم قد امتد الى أحاسيسه فأيقظها ومشاعره فأثارها ، وكان من هذا أن انحرف الكثيرون عن طريق الهدى واتبعوا اهواء النفس .. حق كل هذا ، ولكن لا بأس ، ولا خطر مادام يصحب الانسان هذا العقل الناضج والفكر السليم

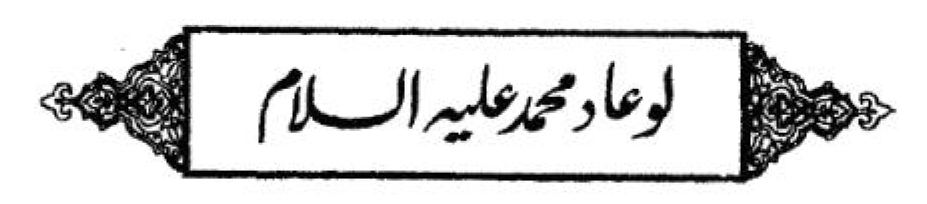
ان العقل هو المصباح الذى يشرق على النفس ، بنور المعرفة ، ويكشف لها من اسرار الكون وعجائبه ما يملأ القلب اجلالا واعظاما لموجد هذا العالم ومبدعه .. ذلك ان المعرفة الحق لا يستقل بها العقل وحده ولا تعيش فى محيطه صورا ذهنية ، ومعانى خامدة ، بل انها تنساب من مجال الفكر الى شعاب النفس فتوقظ المشاعر ، وترهف الوجدان ، وتمازج العواطف ، فتصل ما بين العقل والقلب ، واذا اتصل العقل بالقلب فذلك صمام الامان الذى يعصمه من الضلال والغرور

وان هذه الهزات النفسية التى يمر بها العالم اليوم ، والتى كان من آثارها أن زعزعت الايمان ، واستخفت بالاخلاق واستهانت بالمثل العليا ، ليست الا رعشة عارضة فى كيان الانسانية .. رعشة القلب المبهور بفتوحات العقل المأخوذ بروعتها وجلالها

والذى لاشك فيه أن هذه الهزات ستخف حدتها شيئا فشيئا ، وتضعف آثارها رويدا رويدا ، وتثوب الانسانية الى شيء من أرشد يحرك منها عاطفة الدين ، ويضيء لها طريق الخلق والفضيلة . . وذلك بعد أن تذهب الايام بجدة هذه المستحدثات الفاتنة ويطفأ بريقها ، ويضعف اغراؤها

ان الاسلام يعترف بالعقل ، ويزكى كفاحه فى مجالات النظر والبحث ، ويطمئن الى النتائج التى يصل اليها فى تلك المجالات ، فانها جميعها تتجه الى غاية واحدة ، هى الوصول الى الحقيقة الكبرى ، والتعرف الى الخلاق العظيم ، الذى أحسن كل شيء خلقه

وغاية رسالة الاسلام فى هذا العصر ، وفى كل عصر ، هى اثارة ما فى الفطرة الانسانية من اشواق الى الله ، وانارة الطريق اليه بالنظر والتأمل فى ملكوت السموات والأرض ، فاذا انتهى الانسان الى هذه الغاية امتلأ قلبه بالخير ، واشرقت نفسه بالفضيلة ، وتحركت جوارحه الى العمل الصالح لخيره وخير البشر جميعا



لو عاد محمد عليه السلام

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

من الاماثيل التى تعاد ولا تمل امثولة للكاتب الروسى (ديستيفسكى) عن السيد المسيح ومحكمة التفتيش فى قصة الاخوة كرامزوف

وخلاصة الامثولة ان السيد المسيح عاد الى الارض واخذ فى وعظ الشعب وتبشيره بالملكوت فاقبلوا عليه واستمعوا له واوشكوا ان ينفضوا عن وعاظهم ودعاتهم المعهودين ، فاشفق هؤلاء على مكانتهم واوعزوا الى رئيس محكمة التفتيش فاعتقله وتوعده بالمحاكمة والحكم عليه لتضليله الشعب والانحراف به عن تعاليم السيد المسيح ! .. وقال له : ان هؤلاء الذين يقبلون عليك اليوم هم اول الثائرين عليك واسبق المبادرين الى تنفيذ القضاء فيك

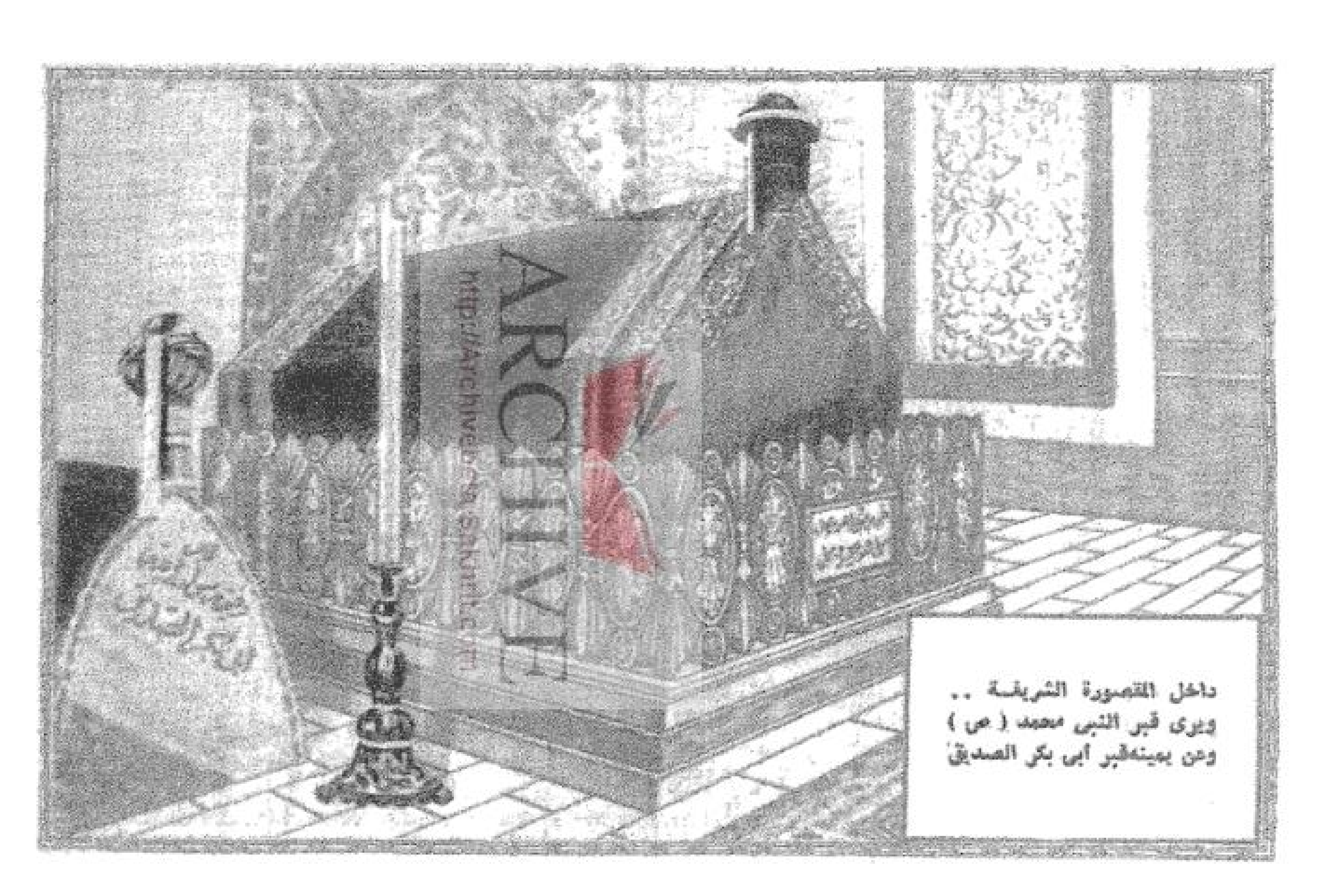
امثولة تعاد ولا تمل لان العبرة بها لا تنقضى فى حقبة واحدة ، ولاتزال عبرة الدهر كله فى احاديث المصلحين والمفسدين

ولم يبالغ الكاتب العظيم فى تخيله ، فانما يكون مبالغا لو كان ما تخيله بعيدا او غريبا فى بابه ، ولكنه فى الواقع اقرب شىء الى الاحتمال مع هذه البشرية التى تختلط فيها الشيطانية والخنزيرية والحمارية فى وقت واحد ، فلا تزال حربا على من ينفعها والعوبة فى ايدى العابثين بها، وان كرروا العبث بها كل يوم مرات بعد مرات

> لو عاد السيد المسيح لانكره كثيرون ممن يعيشون باسمه وينتحلون هدايته ، ولو عاد محمد عليه السلام لكان له نصيب كذلك النصيب ممن يرفعون العقيرة بهداية الاسلام ، والاسلام برىء منهم

لو عاد السيد المسيح لانكره كثيرون ممن يعيشون باسمه وينتحل هدايته ولو عاد محمد عليه السلام لكان له نصيب كذلك النصيب ممن يرفعون العقيرة بهداية الاسلام والاسلام برىء منهم ، وكل ماهنالك من خلاف ان المسالة لا تمر بتلك السهولة التى توهمها رئيس محكمة التفتيش او من يتصدى فى الاسلام لمثل عمله ، وانه سيندم على فعلته ندما يكفر عن سيئاته ، ان كانت سيئاته مما يقبل التكفير

واسال نفسى كيف ينتفع المسلمون على احسن وجوه النفع بعودة النبى



داخل المقصورة الشريفة ..
ويرى قبر النبى محمد (ص)
وعن يمينه قبر ابى بكر الصديق

عليه السلام فترة قصيرة من الزمن ؟ وما هي المسائل التي يرجعون بها الى شخصه الكريم فيسمعون منه فصل الخطاب فيها ؟

اسأل نفسي فتخطر لي مسائل خمس يرجع فيها الى شخصه الكريم ويغني جوابه فيها كل الغناء فلا لجاجة ولا اختلاط ولا حاجة الى الاجتهاد والتأويل من مجتهد أو مقلد وما اشبه الاجتهاد والتقليد في هذا الزمان !

تلك المسائل الخمس هي : مسألة الاحاديث النبوية ، ومسألة الروايات في قراءة الكتاب المجيد ، ومسألة الخلافة والملك ، ومسألة الرسالة والنبوة بعد خاتم المرسلين ، ومسألة المذاهب الاجتماعية الحديثة وحكم الاسلام عليها وقول نبي الاسلام فيها

مسألة الاحاديث النبوية

ان رجال الحديث قد بلغوا الغاية من الاجتهاد المشكور في جمع الاحاديث وتبويبها وتقسيم رواتها وأسانيدها ، وقد جعلوا من اقسامها الثابت والراجح والحسن والمقبول والضعيف والمشكوك فيه والمرفوض وجعلوا لكل قسم شروطه وعلاماته فأصبح الحديث بفضل هذه الشروط والعلامات علماً مستقلاً يتفرغ له علماء مستقلون

وبعد كل هذا الجهد المشكور لا تزيد الاحاديث الثابتة على عشر الاحاديث المتداولة في الكتب وعلى الالسنة

وكلمة واحدة من فمه الشريف عليه السلام ترد الامور جميعاً الى نصابها : « لم اقل هذه الاحاديث ! » وينتهي القيل والقال ويبطل الخلاف والجدال ، ويبطل معهما بلاء أولئك المحدثين الذين يستندون الى الحديث الكاذب في التضليل وترويج الاباطيل

قراءات القرآن

ومسألة الروايات القرآنية دون مسألة الاحاديث في اشكالها ونتائج الاختلاف عليها ، فان الروايات التي لم يتفق عليها القراء لا تغير شيئاً من احكام القرآن ، ويمكن الاخذ بها جميعاً ولا ضرر في ذلك ولا ضرار

الا انها لا تحتمل اقل اختلاف مع وجود النبي الذي تنزل عليه القرآن فما يقوله فيها فهو مجتمع القراءات ومرجع الروايات ، ومتى استمع الناس الى تلاوته — في عصر التسجيل — فتلك ذخيرة الابد في ذاكرة الاجيال ، وسيبقى صوته بتلاوة القرآن اول ما يسمعه السامعون في مجالس الذكر الحكيم

الخلافة والملك

وتأتي مسألة الخلافة ، بل معضلة الخلافة

تلك المعضلة التي سالت فيها بحور من الدماء وجداول من المداد ، وبقيت وراء كل انقسام نذكره في الاسلام حين نذكر السنة والشيعة والاماميين والزيديين والاسماعيليين والنزاريين ، وحين نذكر الهاشميين والامويين والعباسيين والفاطميين وغيرهم وغيرهم من المنقسمين واقسام المنقسمين

بم أوصيت يا رسول الله فى أمر الخلافة ؟ وهل أوصيت بها دينية او دنيوية ؟ وهل تريدها اليوم على هذه أوعلى تلك من صفاتها واحكامها؟

فاذا قال عليه السلام أوصيت بكذا ولم اوص بكذا ، فكأنما مسح بيده الشريفة على تلك الصفحات والمجلدات فاذا هى بيضاء من غير سوء ، واذا هى بقية من بقايا الماضى تحال الى دار المحفوظات للعبرة والحذر او يلقى بها حيث لا حس ولا خبر

وكفى الله المؤمنين شر القتال وذكرى القتال

الرسالة بعد خاتم المرسلين

والخطب اهون من ذلك جدا فى مسألة الرسالة والنبوة بعد خاتم المرسلين ، فان المخالفين للاجماع فى هذه المسألة واحد فى كل خمسمائة مسلم ، وسينتهى خلافهم عما قريب

ولكن اذا انتهى بكلمة من الرسول الذى يؤمن به المسلمون جميعا فتلك هى النهاية الفاصلة ، وقد تمنع فى المستقبل اضرارا لا يقاس عليها ضررها فى الوقت الحاضر ، وخير من واحد ينشق على خمسمائة ان يتفق الخمسمائة فلا ينشق منهم واحد

المذاهب الاجتماعية الحديثة

وما قولك يا رسول الله فى دعاة المذاهب العصرية من اجتماعية أوغير اجتماعية ؟

لا حاجة الى السؤال عن الديمقراطية ، فان سابقة الاسلام فيها اصلح من كل سابقة

ولا حاجة الى السؤال عن الفاشية فان الاسلام يمقت الجبارين والمتجبرين

ولا حاجة الى السؤال عن الشيوعية الماركسية ، فانها ملعونة فى كل دين

وانما يسأل النبى عليه السلام فى الاشتراكية فيقول ماقاله القرآن حيث نهى أن تكون الثروة « دولة بين الاغنياء » .. ثم يسأل عن شرحها فيتلقاه منه المسلمون على أقوم المناهج واسلم الحلول

وتأتى على الهامش اسئلة عن ترجمة القرآن وعن حقوق المرأة وعن دعاوى المدعين فى الاحكام والقوانين باسم الدين ، وعن احاديث شتى مما يتحدث عنه الصحفيون واشباه الصحفيين

ويسمع من النبى عليه السلام فى أولئك كله جواب يغنى عن الف جواب او عن كل جواب

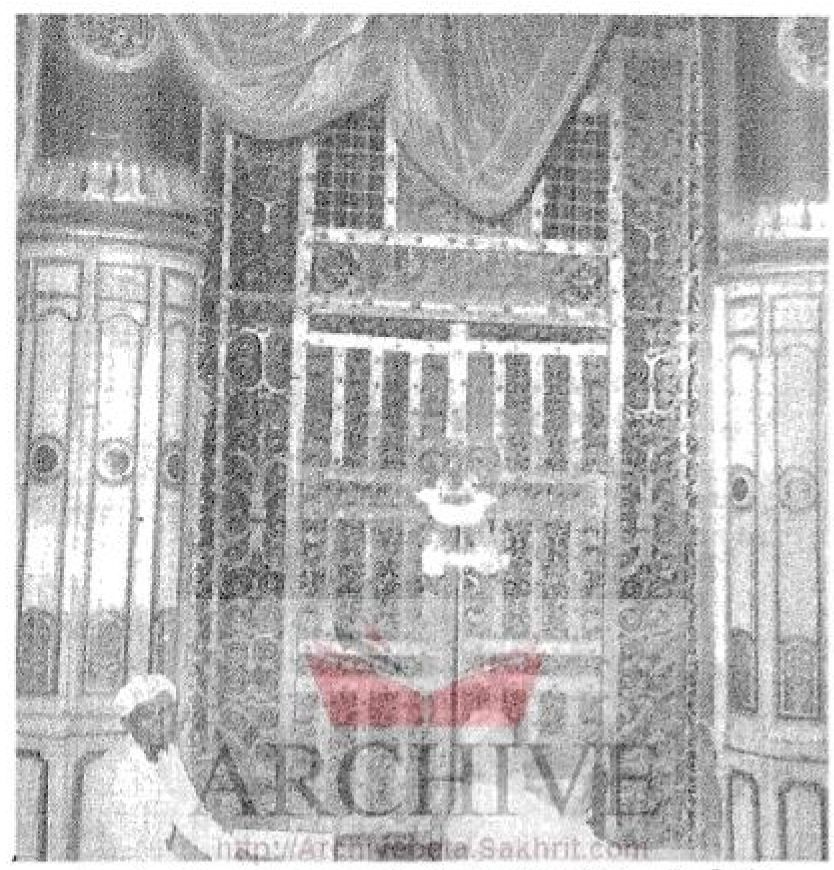
ونعود الى محكمة التفتيش وما يشبه محكمة التفتيش بين المسلمين

ان كاتب هذه السطور آخر من يؤمن باقناع العقول او بسلطان البرهان فى الاقناع

ان كاتب هذه السطور قد رأى بعينيه اناسا اغرب واصفق ممن ينكرون الشمس فى رائعة النهار

وليس بالمستحيل عندى ان يعاندك المعاند ويكابرك المكابر فى « اثنين واثنين يساويان اربعة وفى واحد وواحد يساويان اثنين »

بل ليس بالمستحيل عندى ان يكابرك المكابرون فى معنى الواحد ومعنى الاثنين وان هذا خمسة



باب قبر النبي ، آية من آيات الفن الاسلامي ، وهو مصنوع من البرونز ومحلى بنقوش رائعة ، والى جانبي الباب عمودان من المرمر الجميل

وليس بواحد وذلك صفر وليس برقم من الارقام

فاذا عاد النبي عليه السلام وقضى قضاءه في احكام الاسلام فلا والله لا يعدم الناس من يشكك في كلامه وبيانه وفي ملامح وجهه وعلامات جثمانه ، ولا والله لن يسلس المقاد ممن يلج في العناد ويضيع عليه الجاه أو الغنى بما قضاه الرسول وتلقاه الناس منه بالتسليم والقبول

غير أنه ، فيما نحسب ، عناد لا ينفع أصحابه ولا يطمعون في الرجاء منه حتى تفجأهم الحوادث بالندم عليه ، وصلى الله على محمد في الاولين والآخرين ، فما هو الا أن يعود فلا تعز عليه هداية المهتدين ورياضة الذين لا يهتدون ، فلا يصدون أحدا عن الدنيا ولا عن الدين

لو عاد السيد المسيح

بقلم الدكتور أمير بقطر

عميد كلية التربية بالجامعة الأمريكية

ترى ماذا يرى السيد المسيح لو عاد الى الارض ليتفقدها ، بعد ان اذاع رسالته فيها ، كما يعود الزارع الى حقله بعد ان القى بذور الحنطة وسقى التربة ورعاها ، وترك وراءه الاعوان والحراس لحمايتها ؟

هذا اذا افترضنا جدلا ، كما يستنتج من عنوان هذا المقال ، انه خالى الذهن مما آلت اليه تعاليمه بعد ان مضى عليها نحو عشرين قرنا من الزمن

لعل اول ما يتفقده فى العالم المسيحى ، اماكن العبادة التى اخذت على عواتقها الاحتفاظ بمبادئه ، والحرص على ذلك الارث الخالد من وصاياه ، ونشر رسالته . ترى ماذا يكون رايه فيها ؟

لا شك انه قد يرضى عن بعضها نوعا ما ، ولكنى اخشى كما يخشى عدد يذكر من رجال الدين انفسهم ، انه لن يفهم ما يدور فى بعض تلك الاماكن من رسوم وطقوس ، وما الغرض من لغات وعبارات لا يفهمها المصلون والمستمعون ، ولا يدرك معانى الشروح والتفاسير التى ترد على السنة الوعاظ والكهنة ، مما لم يخطر بباله يوم ان نادى بدينه ، ومما لم يعنه بتاتا . واخشى ان يغادر تلك الاماكن غاضبا اذا ما استمع الى الجدل فى موضوعات اشتد فيها الخلاف ، واتسعت فيها مسافة الفرقة ، فذهب فيها المسيحيون احزابا ومذاهب وشيعا بغير مسوغ جوهرى . واخشى ان ينطلق صاعدا الى السماء ، متى علم ان الزواج بين بعض هذه المذاهب تحرمه قوانينها ، وان التعاون والاخذ والرد بين معتنقيها لا وجود لها ، او تكاد تكون كذلك ، وكأن كل مذهب منها دين

« لو عاد المسيح لاعاد نشر تعاليمه السماوية بحروف من نار وزاد عليها المناداة بتطبيق المنطق على تفسير الكتب المقدسة ، والضرب بيد من حديد على اولئك الذين يتخذون من الدين وسيلة الى بطونهم ! »

« وعلى الارض السلام .. »

هذه هى العبارة الخالدة التى اقترن بها مولد المسيح . والسلام

للعالم الذى نعيش فيه ؛ حصن السعادة الحصين ، الذى اذا تداعت اركانه ، وتهدمت جدرانه ، او ظل مهددا بالخطر وان لم يتصدع او يصب بسوء ، فقل على طيب العيش وراحة الضمير وهدوء البال السلام بل قل ان الموت خير من الحياة

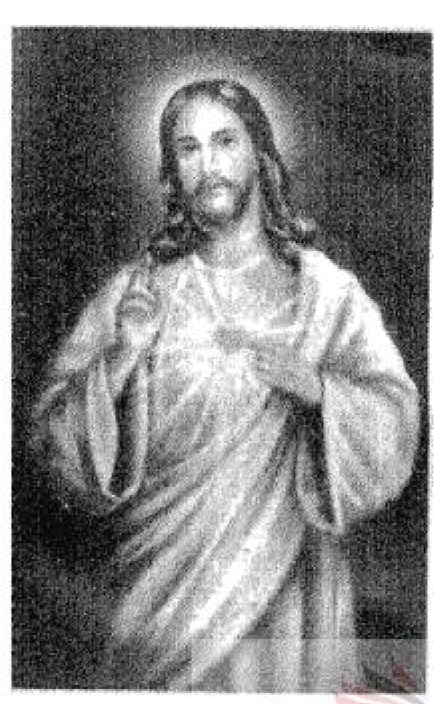
فاين السلام فى العالم المسيحى ، ان لم يكن فى سائر انحاء المعمورة ، والحروب الساخنة تدك ذلك الحصن بشتى ضروب الاسلحة ، والحروب الباردة تظل شاهرة سيوفها فوق الرءوس فتهدده بالخطر صباح مساء بكرة واصيلا ؟

□

لقد صورت لنا الكتب المقدسة المسيح ، حليما فوق كل حلم ، وغفورا فوق كل مغفرة ، ولكنه ابى ان يرى الفساد والفوضى فى الهيكل فالهب العابثين فيه بالسياط وطردهم طردا

وقد ذهب تفكيرى وانا اذكر هذا الحادث ، الى ذلك الصرح الشامخ فى مدينة نيويورك ، وقد انفقت عليه ستون دولة ونيف ملايين الجنيهات وحشدت فيه من مندوبيها ومعاونيهم المئات من السياسيين ، واتخذته معقـــلا دوليـــا لصون الامن وتوطيد دعائم السلام العالمى . وتساءلت : ترى ما الاثر الذى يتركه هذا الصرح ، اذا ما حضر المسيح جلساته ، واستمع الى خطبـــائه والمناقشات التى تدور فيه ، فى سبيل السلام ؟

هل ابعد عن الحقيقة اذا قلت



السيد المسيح

(لفنان ايطالى مجهول)

أن التاريخ يعيد نفسه ، وان المسيح كان يلهب بعض هؤلاء المندوبين والخطباء بالسياط ، ويطردهم طردا ويلقى أوراقهم طعمة للنيران ؟

فى خلال السنوات العشر الماضية القيت الوف الخطب بعدة لغات ، واشترك فى مناقشاتها ممثلو عشرات الدول ، والسواد الاعظم منهم من المسيحيين ، وازدحمت الخزائن بالاوراق والسجلات والتقارير والمنشورات . فهل خلت خطبـــة واحدة ، او ســـجل او تقرير او منشور واحد ، من الوان السباب واللعنات ؟ وهل عف لسان متكلم

عن بذيء القول وما يكال لاعدائه من الاتهامات ؟

ولعلى مخطيء فى هذا التفكير ، فقد يعيد المسيح على مسامعهم هذه الاقـــوال المأثورة التى جاءت على لسانه منذ عشرين قرنا ، فاصبحت اساسا للدين المسيحى ، الا وهى :

« أحبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا للذين يسيئون اليكم .. وان سلمتم على اخـوتكم فقط (وجافيتم الغريب عنكم) ، فأى فضل تصنعون ؟ »

□

لقد اوصى المسيح عباده بالزكاة والصوم والصلاة ، بيد انه اذا عاد الى الارض ندم على ما فعل ، اذ يجد الناس قد اتخذوا هذه العبادات ستارا للنفاق والرياء وباسمها تمادوا فى الضلال ، ولجوا فى الغوايات وركبوا رءوسهم ، ونسوا او تناسوا قوله :

« متى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق ، كما يفعل المراؤون فى المجامع والازقة ، لكى تمجدوا من الناس .. متى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك »

« ومتى صليت لا تكن كالمرائين ، فانهم يحبون ان يصلوا فى المجامع وزوايا الشوارع لكى يظهروا للناس متى صليت فادخل مخدعك واغلق بابك ، وصل الى ابيك الذى فى الخفاء .. وحينما تصلون لاتكرروا الكلام باطلا »

« ومتى صمتم لا تكونوا عابسين كالمرائين ، فانهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين ، اما انت فمتى صمت فادهن راسـك واغسل وجهك لكى لا تظهر للناس صائما »

ومما يزيد المسيح ندما وحزنا ، ان الطبائع البشرية لم تتغير تغيرا يذكر فى خلال هذه القرون الطويلة برغم رسالته الخالدة ، مثال ذلك ان الناس لا يزالون ينهون عن خلق ويأتون مثله ، كما كانوا يفعلون منذ آلاف السنين ، وان المسيحيين فى اكثر المعاملات الدولية على الاخص يبشرون بما لا يفعلون ، ويعيبون الغير بما تغلغل فى نفوسهم من العيوب والنقائص ، وكانهم لم يقراوا او يسمعوا ما جاء فى قوله :

« لماذا تنظر الى القذى الذى فى عينى اخيك ، واما الخشبة التى فى عينيك فلا تفطن لها ؟ وكيف تقول لاخيك دعنى اخرج القذى من عينك وهاهى الخشبة فى عينك ؟ يامرائى اخرج اولا الخشبة من عينـــك ، وحينئذ تبصر جيدا ان تخرج القذى من عين اخيك »

ولعـــل الفيلســـوف الانجليزى « برتراند رسل » قد ضاق ذرعا بالعالم المسيحى ، وبعده عن المبادىء المسيحية ، حينما نشر ذلك الكتيب الذى اتخذ له عنوانا صارخا ـ « لماذا (أنا) لست مسيحيا » . وقد بلغ فيه نهاية التشاؤم حين ذكر فيه عبارته القوية الاخاذة « ان آخر مسيحى قد مات على الصليب » وهذه اكبر لطمة اصابت الدين المسيحى منـذ

نشاته . ومع تسليمنا بهذا التشاؤم فاننا لا نشك انه لم يضع كتابه هذا ، الا انتهارا للعالم المسيحى ، ولعله كان يعنى بريطانيا اكثر من غيرها ، والدليل على ذلك انه ذكر فى كتابه المشهور « لماذا يحارب الناس » (1) ما معناه ان بريطانيا تحاول رفع مستوى الحياة ، فى الوقت الذى تجوع (بتشديد الواو) فيه مستعمراتها لاشباع رعاياها !

□

لو عاد المسيح الى الارض لاعاد نشر هذه التعاليم السامية بحروف من نار ، وزاد عليها المناداة بتطبيق المنطق على تفسير الكتب المقدسة ، بما يلائم العلوم الحديثة التى ظهرت منذ نهاية القرون الوسطى ، لاسيما اكتشافات كوبرنكوس فى الفلك والطبيعة ، وداروين فى علم الاحياء ، وعشرات سواهما فى الانثروبولوجيا والعلوم النفسية والاجتماعية ، فضلا عن حركات الاصلاح والنهضة العلمية والثورة الصناعية التى جاءت نتيجة لذلك . ولعل فى مقدمة مايزيده على الكتب المقدسة ، سفرا جديدا ، يصور فيه الله سبحانه وتعالى على حقيقته ، لا كما تفهمه جمهرة الجهلاء من الناس ، وأن نسيت لن انسى رواية « المراعى الخضراء » التى مثلت على احد مسارح نيويورك ثلاث سنوات متوالية ، مرتين يوميا (ماتينيه وسواريه) ، كان « الله » فيها بطل الرواية . وكانت أهم فكرة فيها تصوير البطل انسانا رحيما يدرك مقاصد الانسان ، ولكنه يحس كالانسان ، يشتد حينا ويلين حينا ، ويطالب الانسان باستعمال عقله ، مع الاسترشاد تارة بعاطفته ، وكانت اكثر المناظر اثرا ، وقوفه مع احد الملائكة على قمة جبل ليطل على بنى الانسان ، فيذعر لما أنبث بينهم من شرور ، ولما تمادوا فيه من ضلالة فيقول : « الكل زاغوا وفسدوا ، واعوزهم مجد الله » ثم يهدد بالاستقالة وهو يقول :

— Even to be a God is no bed of roses.

اى حتى أن تكون الها ، ليس فراشا من ورد !

وشيء آخر يفعله المسيح فيما لو عاد الى الارض ، الا وهو الضرب بيد من حديد على اولئك الذين يتخذون الدين وسيلة لملء بطونهم ، والتنكيل باعدائهم ، والعبور الى عروش المجد والسلطة على قنطرة من جثث الجالسين عليها . ويا حبذا لو انه اعاد كتابة اقواله المأثورة فى هذا الصدد ، على المنشآت العامة ومفارق الطرق وفى كل مكان ، بحروف كبيرة بارزة مضاءة بالكهرباء الا وهى :

« احترسوا من الانبياء الكذبة ، الذين يأتونكم بثياب الحملان ، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة . . وهل تجنون من الشوك عنبا ومن الحسك تينا ؟ »

(1) Why Men Fight.

العالم الاسلامى

بالصور والأرقام

بدأ ظهور الدولة الاسلامية فى منطقة ضيقة فى الطرف الغربى لجزيرة العرب ، ثم سرعان ما امتدت هذه الدولة وانتشر نفوذها حتى عم الجزيرة كلها ، وجاوزها الى مختلف أقطار العالم . ففى آسيا شمل بلاد الشام والعراق وما اليهما فى الشمال . ثم اتجه الى الشرق منتقلا من ايران الى الهند والصين وجاوه والملايو واليابان . وفى أفريقيا شملت الدولة الاسلامية مصر وبلاد النوبة والسودان والحبشة واوغندة ، كما شملت طرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، وكثيرا من الاقطار فى شرق افريقيا وغربها . وفى أوربا امتد الأسلام عبر جبل طارق حتى جنوب فرنسا ، ثم الى البلقان وسواحل بحر اوربا من طريق البوسفور والدردنيل وبحر مرمرة . كما نفذ اليها من طريق سيبريا الغربية حيث تدفقت الشعوب التركية والمغولية الاسلامية وسيطرت على الاناضول وحوض الفولجا وسهولها والطرف الجنوبى الشرقى من روسيا والسواحل الشمالية لبحر قزوين والبحر الاسود . وما لبث النفوذ الاسلامى ان شمل أكثر جزر البحر الابيض المتوسط وفى مقدمتها : قبرص ورودس وكريت وصقلية ومالطة . وكذلك دخل الاسلام امريكا ، وفيها الآن نحو مليون من المسلمين

ويقدر عدد المسلمين فى العالم الآن بنحو اربعمائة مليون ، اكثرهم فى آسيا ، اذ يقدر عددهم فيها بنحو ١٥٠ مليونا ، وتليها أفريقيا ، وبها منهم نحو مائة مليون . كما تحتوى أوربا على بضعة ملايين من المسلمين ، منهم نحو مليونين فى يوغسلافيا ، ونحو مليون فى كل من ألبانيا وبلاد البلقان . ويضم الاتحاد السوفييتى من المسلمين حوالى ٤٠ مليون نسمة

وكانت الخلافة الاسلامية تجمع تحت لوائها الفعلى ، او الاسمى فيما بعد ، أكثر البلاد الاسلامية فى الشرق والغرب ، ثم انفصلت عنها هذه البلاد ، والغيت الخلافة نفسها بالغاء الخلافة العثمانية فى أعقاب الحرب الأولى

العالم الإسلامي

الاتحاد السوفييتي

ليبيا

الجزائر

تركيا

ايران

السودان

الهند

الصين

فيلبين

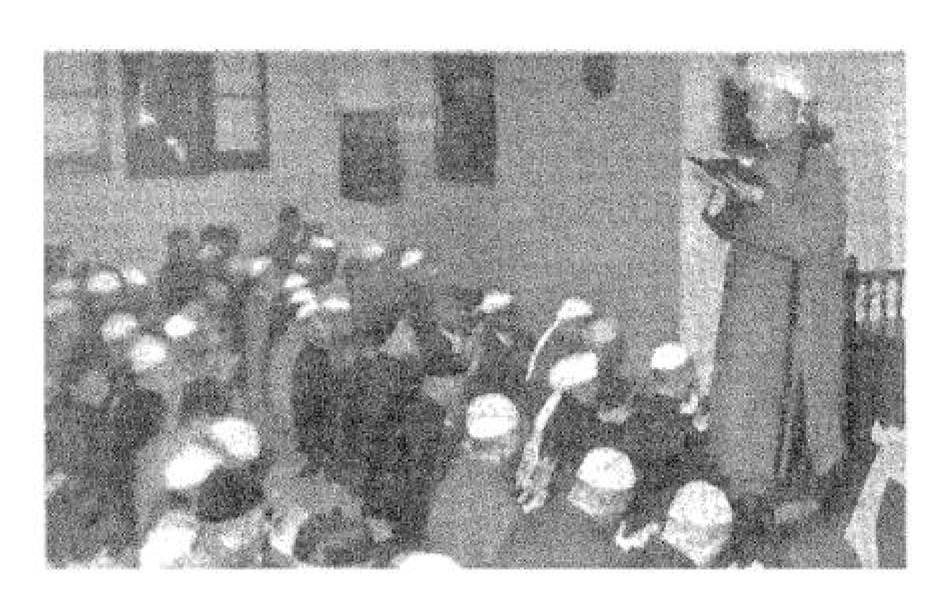
افريقيا

استراليا

دول اسلامية مستقلة

شعوب اسلامية غير مستقلة

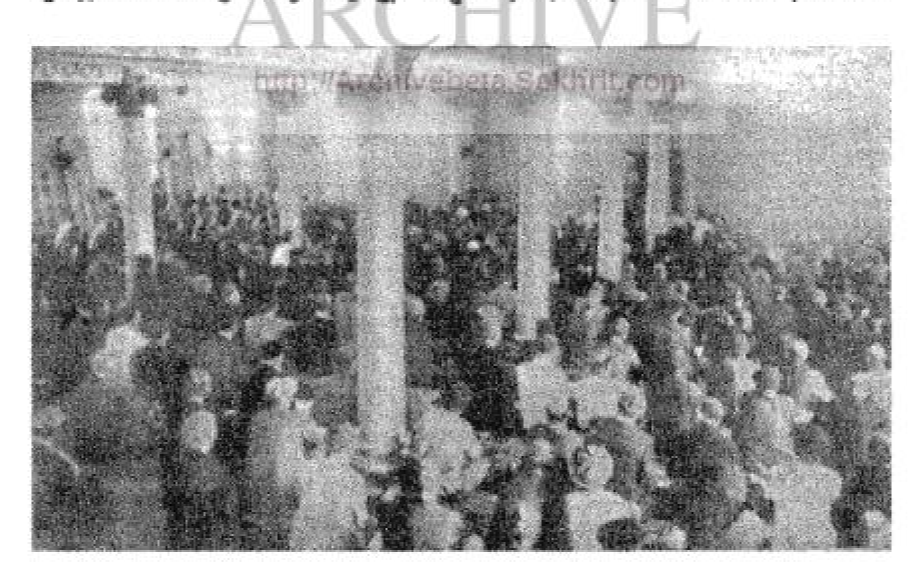


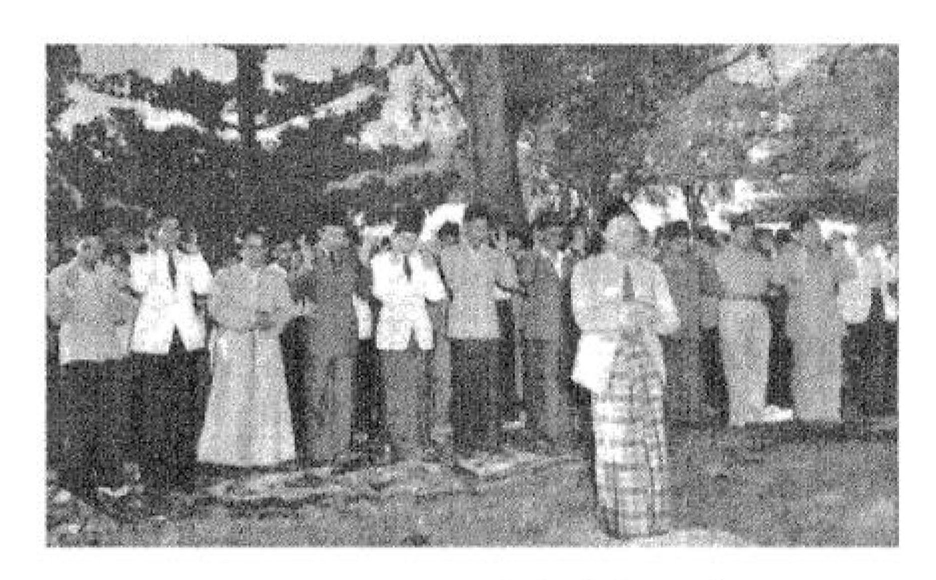


صور من العالم الاسلامي

فى الصين : تضم بلاد الصين أكثر من خمسين مليون من المسلمين أكثرهم فى مقاطعاتها الشمالية ، ولهم كلية للدراسات العليا ، ومدارس حربيـة ودينيـة ومدنيـة . ويرى هنا بعضهم فى مسجد « شنغهاى »

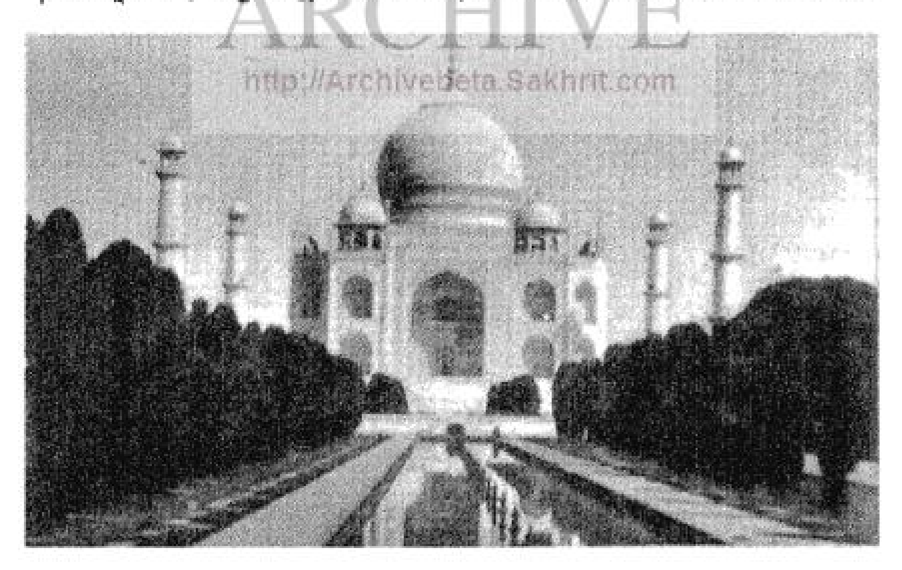
فى روسيا : يضم الاتحاد السوفياتى أكثر من أربعين مليونا من المسلمين ، ينتشرون فى سهول « الفولجا » ، وفى الطرف الجنوبى الشرقى من روسيا .. ولهم مساجد ومدارس كثيرة خاصة بهم ، وأغلبهم يشتغلون بالزراعة . وتمثل هذه الصورة طائفة منهم ، يؤدون صلاة الجمعة فى الجامع الكبير فى « موسكو » عاصمة روسيا

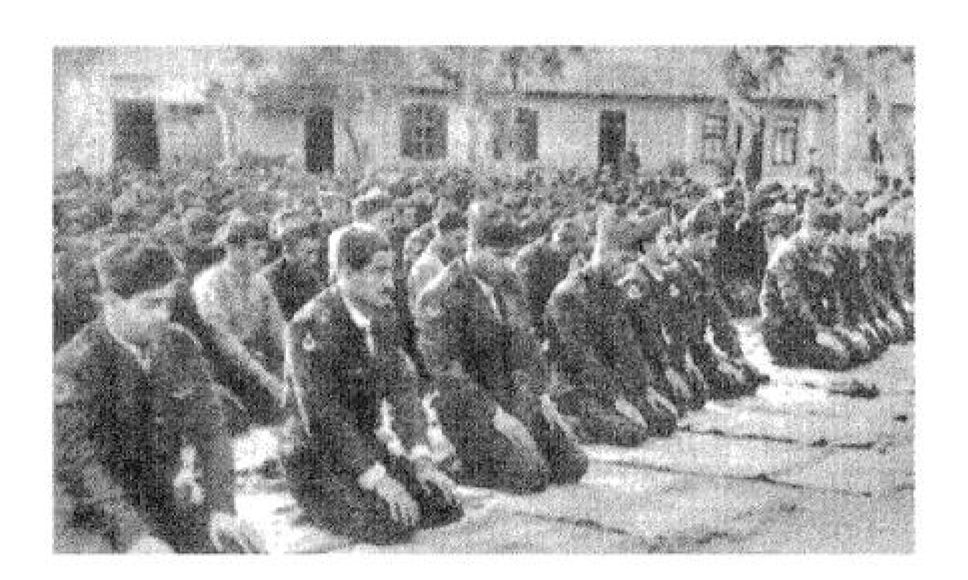




فى اندونيسيا يقدر عدد المسلمين فى اندونيسيا بواحد وسبعين مليونا ، يؤلفون نحو ٩٠٪ من سكانها .. ونظام الحكم فيها جمهورى دستورى ، وعاصمتها « جاكرتا » وكانت مستعمرة لهولندا ثم استقلت بعد ثورات عنيفة ، وعقدت بينهما معاهدة لتنظيم العلاقات . ويرى هنا بعض كبار الساسة والعسكريين وهم يؤدون الصلاة جماعة

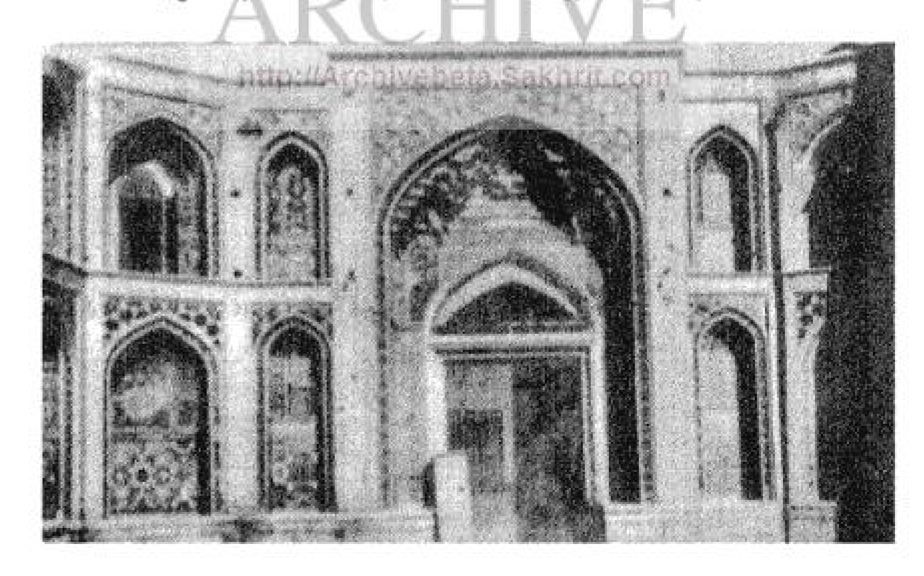
فى الهند : مازالت الهند ـ بعد انفصال باكستان عنها ـ تضم بضعة ملايين من المسلمين ، وبها مساجد كثيرة وجامعات ومدارس وجمعيات اسلامية . وكثير منهم يشتركون فى ادارة الحكومة وفى الجيش ومختلف ميادين الصناعة والتجارة . وكان المسلمون فى الهند قديما هم اباطرتها وحكامها .. ولهم آثار عظيمة اشهرها « تاج محل » الاثرى الفخم

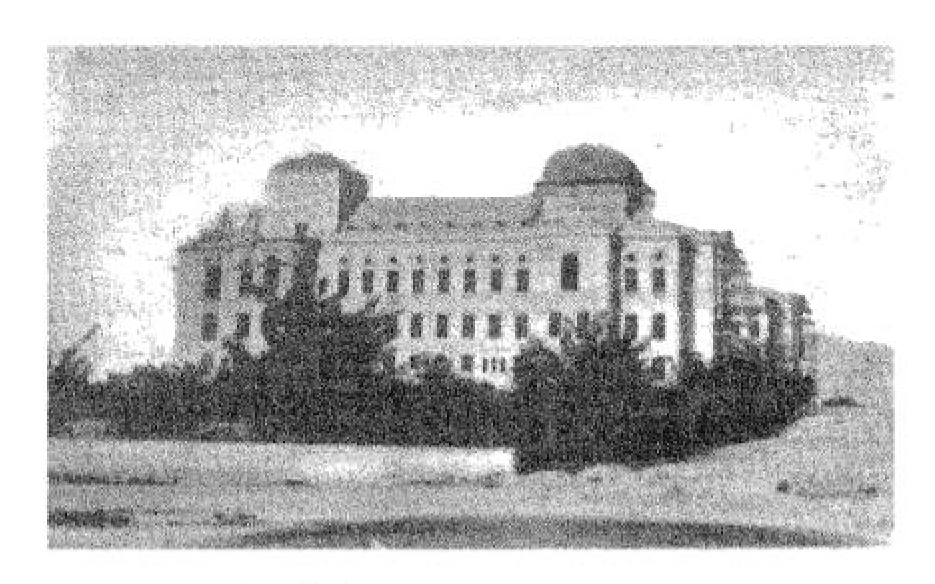




فى تركيا : كانت تركيا حتى عهد قريب أكبر الدول الاسلامية ، باعتبارها مقرا الخلافة العثمانية ، ثم ألغيت الخلافة فيها على يد « أتاتورك » وصار الحكم فيها جمهوريا ، وعاصمتها « أنقرة » . ويوجد كثير من المساجد الفخمة فى مختلف أنحاء البلاد التركية . ويرى هنا ضباط الجيش التركى يؤدون الصلاة أمام ثكناتهم

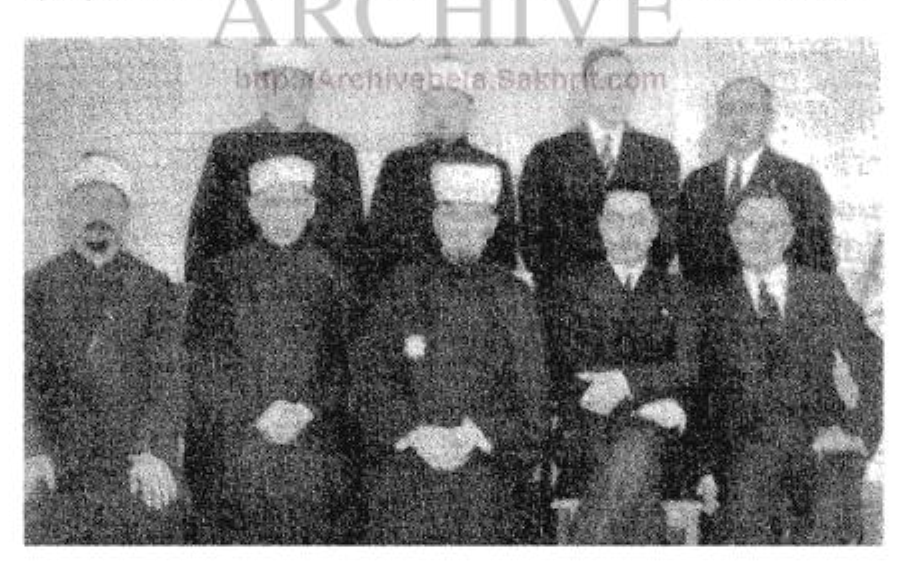
فى ايران كانت ايران قبل الاسلام مقر امبراطورية الفرس المنافسة للامبراطورية الرومانية وقد تغلب المسلمون على الامبراطوريتين . ودخل الفرس الاسلام » وصار لهم نفوذ كبير فى عصور الخلافة العباسية . وفى ايران الآن نحو ١٧ مليون مسلم ، وعاصمتها « طهران » . ونظام الحكم بها امبراطورى دستورى . وبها كثير من المساجد الأثرية ، هذا أحدها





فى افغانستان تحتوى بلاد افغانستان على نحو اثنى عشر مليونا من المسلمين . وعاصمتها «كابول» . ونظام الحكم فيها ملكى دستورى . وكان الانجليز قد احتلوها ثم استقلت بعد حرب طاحنة دارت الدائرة فيها عليهم . ووقعت فيها عدة انقلابات انتهت بانتصار المسلمين المحافظين . وتمثل هذه الصورة الدار الجديدة لوزارة خارجيتها

فى بولونيا : يبلغ عدد المسلمين فى بولونيا أكثر من اثنى عشر الفا . يعيشون مع المسيحيين من مواطنيهم فى سلام وتعاون ودى . ولهم مدارس وصحف وجمعيات خاصة بهم . وفى سنة ١٩٣٨ بدأوا تنظيم شئونهم الدينية وعلاقتهم مع الدول الاسلامية بواسطة مجلس أعلى يرى هنا أعضاؤه الاولون بعد أول اجتماع لهم





فى البانيا : يقدر عدد المسلمين فى البانيا بحوالى مليون . يمثلون أربعة أخماس سكانها . ولهم أكثر من مائة وعشرين مدرسة للعلوم الاسلامية واللغات الحديثة وكثير منهم منتشرون فى منطقة « اشقودرا » وهذا مسجد أثرى بالعاصمة شيد فى عهد الخليفة العثمانى سليمان القانونى

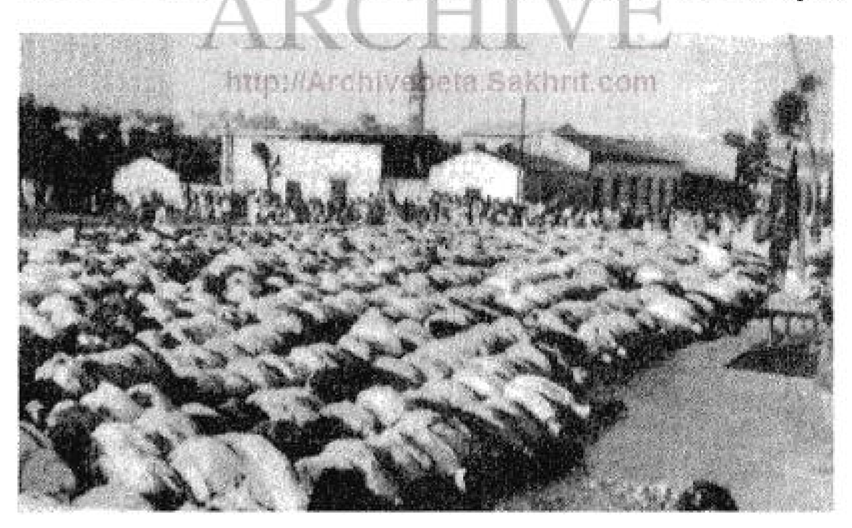
فى اليونان : يبلغ عدد المسلمين فى اليونان نحو مائتى ألف ، يقيم أكثرهم بولاية تراقيا الغربية ، وفى مدن : كوميتين ، وكيستنتى ، ودادا آرج . ولهم دار للافتاء يتولى شئونها ثلاثة مفتين يعدون موظفين فى وزارة العدل بها ، ومنهم أعضاء فى مجلس الشيوخ والنواب ، ولهم أوقاف كثيرة ومعاهد ومدارس خاصة . وهؤلاء بعض طلاب المعهد الاسلامى بها

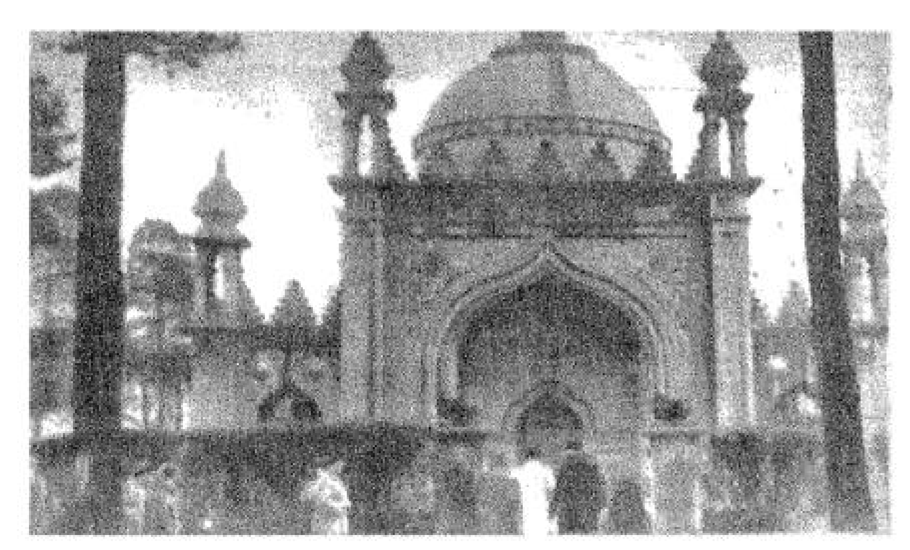




فى يوغوسلافيا : تضم يوغوسلافيا نحو مليونين من المسلمين ، أكثرهم بمنطقة البوسنة والهرسك . ومنهم وزراء ونواب ولهم مدارس ومعاهد تسير على نظام التعليم فى الأزهر . كما أن لهم أكاديمية اسلامية عليا ، ومدارس خاصة بالبنات وترى هنا طالبات احداها . ولهم مساجد كثيرة وجمعيات دينية خاصة بهم فى مختلف الأنحاء

فى شرق أفريقا : تقوم فى شرق افريقيا بلاد اسلامية عديدة غير مستقلة ، منها امارات الخليج الفارسى التى تشمل الكويت وقطر والبحرين وسلطنتى مسقط وعمان وامارات جنوب الجزيرة العربية كالشحر والمكلا وحضرموت وعدن ولحج ، والصومال الانجليزى والايطالى ، واريتريا ، وفى كل منها كثير من المؤسسات الاسلامية





فى انجلترا : يبلغ عدد المسلمين فى الجزائر البريطانية نحو ثلاثين الفا يقيم أكثرهم فى لندن عاصمتها ، وفى مدن : جلاسجو ، ومانشستر ، وكرديف ، وادنبره . ومن بينهم نحو خمسة آلاف من الانجليز انفسهم ولهم مساجد كثيرة فى مختلف المناطق التى يسكنونها . واقدمها مسجد « ووكنج » الذى يرى هنا ، وهو قائم على مسافة ٢٤ ميلا من لندن

فى المانيا لم يدخل الاسلام فى المانيا الا منذ عهد قريب ، ومازال عدد المسلمين فيها قليلا ، لكنه آخذ فى الزيادة . وقد اسست فى « برلين » جمعية اسلامية تضم عناصر مصرية وعراقية وهندية . وبها مسجد للطائفة الاحمدية ، وكثيرا ما يؤدى المسلمون هناك صلاة الجمعة فى دار السفارة المصرية ، كما ترى فى هذه الصورة





فى امريكا : تضم الولايات المتحدة الامريكية اكثر من مليون مسلم ، بعضهم من المهاجرين اليها من البلاد العربية ، ومن التتريين . وبعضهم من اهلها الاصليين . وكثير منهم نجحوا فى الاعمال الحرة ، ولهم مساجد فى مختلف الولايات وجمعيات دينية خاصة ، ومسجد كبير فى « وشنطون » ويرى هنا لفيف من المسلمات الامريكيات يستمعن لاحد الدروس

فى فرنسا : تضم فرنسا حوالى مائة الف من المسلمين ، يقيم اكثرهم فى باريس عاصمتها ، وفى ميناء مرسيليا ، وهذا عدا كثير من الفرنسيين الذين اعتنقوا الاسلام بعد اقامتهم الدائمة فى شمال افريقا ، وخاصة « الجزائر » التى تعدها فرنسا جزءا منها . ويرى هنا بعض الاسر المسلمة عقب صلاة العيد فى مسجد باريس



الفكرة العربية

كيف نشأت وتطورت؟

بقلم الأستاذ محمد رفعت

وزير المعارف السابق

يحدثنا «منثولون» كاتب مذكرات نابليون بونابرت وهو فى الأسر بجزيرة سنت هيلانة أن نابليون قال ان الاقاليم التى تخضع للدولة العثمانية ويتكلم أهلها باللسان العربى لتنادى بضرورة احداث انقلاب سياسى عظيم وانها لتنتظر رجلها المرتقب . ولابد ان يكون الخيال قد شحط بنابليون بعيدا فظن انه كان الرجل المرتقب نفسه حين ساقه القدر يوما ليخضع مصر ويخلصها من حكم المماليك وربقة التبعية العثمانية ، ثم يزحف منها شمالا الى سوريا فشرقا الى العراق فخليج فارس ثم ينشىء من هذه الاقاليم جميعا وحدة تتألف كثرتها من الشعوب العربية ويسيطر عليها بونابرت ، كما سيطر عليها الاسكندر الاكبر فى الماضى البعيد

وما له لا يستهويه الخيال لمثل هذا المشروع وقد حببه اليه الشيخ الشرقاوى شيخ الجامع الازهر فى ذلك الوقت حين اقترح عليه — كما يحدثنا الكاتب نفسه — ان يعتنق هو وجيشه الاسلام دينا ، فلا يلبث ان يدين له بالطاعة جيش عظيم لا يقل تعداده عن مائة الف جندى اذا مادربهم نابليون وأعدهم للحرب استطاع بهم ان يحيى امة العرب ويفتح الشرق !! ثم تبددت الاوهام وتبخرت التخيلات فاذا بنابليون يرتد أمام حصن عكا ، ويجلو لا عن عكا وسوريا فحسب بل عن مصر والميدان الشرقى كله تاركا الشعوب العربية تنتظر رجالها المرتقبين من بين ابنائها العرب لا من الغزاة الفاتحين

وظهرت حركة الوهابيين او السعوديين فى اوائل القرن التاسع عشر وعم نفوذهم شبه جزيرة العرب جميعها واخذوا يدقون ابواب العراق وسوريا وينزلون بالقوات العثمانية التى كانت تعترضهم الهزيمة تلو الهزيمة حتى كادوا يسيطرون على الشرق العربى فى آسيا لو لم يلجأ سلطان العثمانيين الى والى مصر

لنجدته واخضاع تلك الحركة . ولو نجحت ثورة السعوديين حينذاك ، لتوحدت كلمة العرب ولعاد الاسلام الى قوته وسماحته الاولى ولامكن للسعوديين بمضي الوقت وباختلاطهم بأهل الشام وسائر الشعوب التي تسكن سواحل البحر المتوسط ان يوفقوا بين بداوة مبادئهم ومقتضيات المدنية الحديثة — تماما كما فعل الامويون والعباسيون حين آل اليهم تراث الفرس والروم وكما فعل الملك الراحل عبد العزيز آل سعود حين فتح ابواب بلاده لمخترعات الغرب واضواء العلوم الحديثة

□

اما عن جهود مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر فانه لم يسبق فى تاريخ الشرق العربى الحديث ان اسدت حكومة للفكرة العربية مثل ما اسدته لها مصر فى تلك الحقبة من الزمن سواء فى الناحية المادية او الناحية الادبية . فمن الناحيـــة الادبية كانت مصر اول حكومة فى الشرق ادخلت المطبعة الحديثة بالحروف العربية ومنهـا اخرجت مئـات الكتب العربية فى مختلف العلوم ، وكان قد اضطلع بوضع هـذه الكتب او بالاحرى بتعريبها من امهات الكتب الاوربية اعضاء البعثات العلمية الذين اوفدتهم مصر الى الخارج للتزود من ثمرات الفكر الغربى علما وعملا ونقل ذلك كله متى عادوا الى اوطانهم الى اللغة العربية ، وكان فى طليعة هؤلاء الرواد رفاعـة الطهطاوى الـكاتب الاديب والمؤرخ والصحفي ومنشىء مدرسة الالسن التى امدت البـلاد بطائفة ممتازة من الكتـاب والمترجمين والصحفيين الذين قادوا حركة النهضة العلمية العربية فى ذلك الوقت .

هذا فضـلا عن مختلف المدارس والكليات التي انشئت على النمط الحديث . وكانت اللغة العربية اداة التدريس بها بعد أن اصابها من الكنة والسقم فى الماضى ما كاد يودى بالعربية الفصحى

اما من الناحية المادية فان مصر كانت سباقة الى انشاء قواتهـا الحـربية والبحرية وتنظيمها على ايدى خبيرين من الغرب وفق احدث الاساليب العلمية الحديثة

□

وما من شك فى ان الفكرة العربية قد افادت من تاليف قوات مصر المسلحة فوائد قومية بالغة الاهمية فقد اصبح جيش مصر فى ذلك الوقت مثوانا للوحدة القومية ينخرط فيه المسلم والقبطى والمسيحى واليهودى على السواء ، ويشترك فى خدمته المصرى والسورى واللبنانى والحجازى والسودانى جميعهم على قدم المساواة . وقد استطاعت مصر بفضــل تفوقها المادي أن تنشر سلطانها على دولة عربية واسعة النطاق تمتـد حدودها الى الخليج الفارسى شرقا وجزيرة كريت غربا والى جبال طوروس شمالا واعالى النيل الأبيض جنوبا . وسنحت بذلك فرصة فريدة ذكر فيها لاول



مجلس جامعة الدول العربية منعقدا بكامل هيئته فى احدى جلساته

مرة فى التاريخ الحديث اسم مصر كزعيمة لدولة عربية موحدة تنشق من جسم الدولة العثمانية وتجمع بين اشتاتها حكومة مركزية واحدة تربط بينها اواصر من الجنس واللغة والدين وأوشاج من القرابة ووحدة التاريخ

ولكن الدول وخاصة انجلترا لم تطق صبرا على وجود دولة تتزعمها مصر وتسيطر على طريقى التجارة بين الغرب والشرق : طريق السويس وطريق شمالى سوريا ونهر الفرات الى خليج فارس ، فاذا ما انضمت قوات مصر يوما الى صديقتها فرنسا اختل توازن القوى فى البحر الابيض المتوسط وتعرضت مصالح انجلترا للخطر . لذلك عملت الحكومة الانجليزية جاهدة على تقويض الدولة العربية التى اقامتها مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر، فالبت عليها دول اوربا الكبرى ماعدا فرنسا وسارع الحلفاء الى اجلاء المصريين عن البلاد العربية واعادة العثمانيين اليها . وبذلك انكمش المصريون داخل حدود مصر والسودان وطويت صفحة الوحدة العربية وظلت مطوية نحو ٧٥ عاما الى أن أتيح لهـا أن تبعث من جديد فى أثناء الحرب العالمية الاولى على أثر نهضة أدبية سياسية بالغة الاهمية

وفى تلك الحرب كانت الشعوب العربية قد ناصرت الحلفاء فكان انضمامها من أهم الاسباب التى أدت الى نصرة الدول الديمقراطية ضد

المانيا وشريكتها تركيا وخاصة فى الشرق . ومع ذلك فانه حتى قبل ان تنتهى الحرب كان جزاء الشعوب العربية على أيدى الحلفاء أقسى من جزاء سنمار ، فقد اصطنعت الدول مرادفا جديدا للاستعمار والحماية اسموه بالانتداب . وفى نطاقه وضعوا الشعوب العربية ، فاصبحت بعد الحرب اما تحت الانتداب الانجليزى او الانتداب الفرنسى ماعدا مصر وشبه جزيرة العرب . اما شبه الجزيرة فتركت لحالها وصار شريف مكة سلطانا مستقلا على الحجاز . واما مصر فقد امعنوا فى ايلامها ، اذ اعلنت انجلترا عليها الحماية فى اثناء الحرب . ولم تنزل عنها الا بعد ثورة شعبية عارمة استمرت سنوات

□

واشد من ذلك وانكى ما اقترفه الحلفاء قبل نهاية الحرب وبعدها من وزر انبات الشوكة الصهيونية فى ظهر البلاد العربية بفلسطين فكان ذلك مبعثا لعاصفة من السخط وبداية لسلسلة متصلة من الاضطرابات والاغتيالات والقلاقل لم تشهد لها بلاد الشرق الاوسط مثيلا من قبل . وانقضت الفترة بين الحربين العالميتين والشعوب العربية فى كفاح دام مستمر ضد سياسة انجلترا وفرنسا صاحبتى النفوذ او الانتداب فى الشرق

وكان ظهور الصهيونيين فى فلسطين اكبر حافز للعرب على تكتلهم وجمع كلمتهم واسماع صوتهم بالاحتجاج امام العالم اجمع . لذلك لم تر انجلترا بدا من أن تعترف رسميا ولاول مرة بالفكرة العربية الناشئة ، فدعت حكومات العرب للاجتماع فى مؤتمر رسمى انعقد بلندن فى عام ١٩٣٩ قبيل الحرب العالمية الثانية

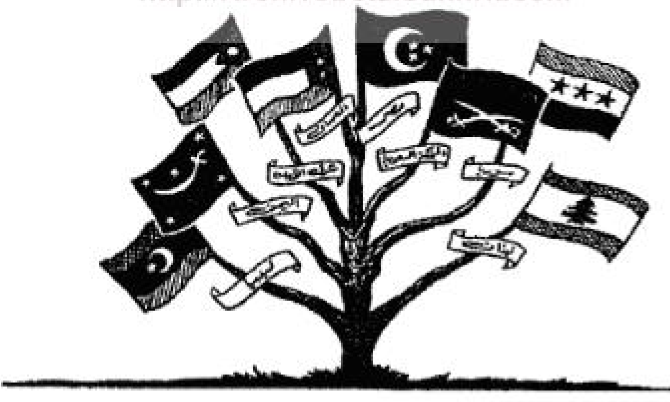
وفى عام ١٩٤١ كانت الحرب العالمية الثانية تتمخض عن اخطر تطوراتها فى الميدان الشرقى حين كان هتلر يعد عدته الجهنمية لغزو روسيا ومنطقة الشرق ، وحين كانت فرنسا تعانى ذل الانكسار والاحتلال الالمانى والولايات المتحدة لم تزل بمعزل عن نطاق الحرب ، وانجلترا وحدها تنوء بحمل أعباء القتال فى ميادين الشرق والغرب ولا تكاد تخرج من محنة أمام قوات المحور حتى تتلقاها محن وهزائم أخرى ، الى أن وصلت قوات الجيش الافريقى الالمانى قرب ابواب الاسكندرية وبات روميل القائد الالمانى يهدد مصر وقناة السويس . فى وسط هذا الظلام الكالح ضبطت انجلترا اعصابها واحتفظت بفضيلتى الكدح والمثابرة وقررت أن تعالج الفكرة العربية التى طالما عملت فى الماضى على مناوأتها وعرقلة مساعيها . فأعلن وزير خارجيتها فى مايو سنة ١٩٤١ تصريحه الشهير فى البهو التاريخى بقصر محافظ لندن يقول فيه :

« ان روابط الصداقة التى تجمع بيننا وبين العرب ترجع الى زمن بعيد فلنا بينهم أصدقاء عديدون كما أن لنا بينهم أصدقاء حميمين ..

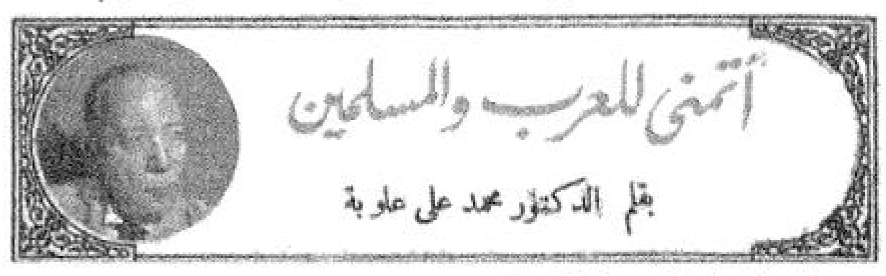
ولقد كان من اعز اماني عدد كبير من مفكرى العرب وقادة الراى فيهم أن تنعم الشعوب العربية بوحدة اوسع مدى مما بلغته الآن.. ونحن لا يسعنا الا الاستجابة الى ندائهم . لان تقوية الروابط الاقتصادية والثقافية بل والسياسية ايضا بين الدول العربية أمر اعتبره فى الحقيقة طبيعيا وعادلا . ولهذا فان حكومة جلالة الملك تعلن انها ستناصر كل مشروع يرمى الى تحقيق هذه الاغراض متى كان المشروع حائزا لرضاء الجميع »

ويعتبر هذا التصريح أول بشارة رسمية بتطور الفكرة العربية وبلوغها مرحلة التنفيذ . فلم تمض الا أيام معدودة على هذا التصريح حتى اتبعته انجلترا وقوات فرنسا الحرة بتصريح آخر تعدان فيه باستقلال سوريا ولبنان بعد انتهاء الحرب ، وكان ذلك توطئة لهجوم الحلفاء على قوات حكومة فيشى الفرنسية واجلاء الفرنسيين عن سوريا ولبنان

ومن ثم تهيأت جميع الاسباب لتحقيق الفكرة العربية . وكانت مصر منذ أن تخلت تركيا عن الخلافة العثمانية ونحت فى سياستها العامة اتجاها غربيا صريحا قد آلت اليها زعامة العرب مختارة فسارعت حكومتها الى احتضان الفكرة رسميا وبدأت اتصالاتها بشقيقاتها ومازالت بهن حتى وافقت الدول العربية نهائيا على ميثاق الجامعة الجديد فى مارس عام ١٩٤٥ . وبذلك تكون الجامعة قد سلخت عشر سنوات من عمرها الطويل وهى مع الاسف لاتزال طفلا لم تكتمل له بعد اسباب النمو السياسى ولا برزت له جميع اسنانه وانيابه ، ولكن المسئولين دائبون على موالاة الطفل بالرعاية والعلاج والتقوية حتى تتحقق آمال العرب فيه كاملة ان شاء الله



خمس أمنيات يتمناها الاستاذ الكبير محمد على علوبة للعرب والمسلمين .. ونحن نتمنى معه ان تحققها الايام



طلب الى ان اكتب كلمة عما اتمناه للعرب والمسلمين . فجال بخاطرى ان الامانى يختلف عديدها باختلاف الامم قلة وكثرة . فالامم التى حازت القوة والمنعة والسؤدد ، تنحصر امانيها فى الابقاء على قوتها ومنعتها وسؤددها ، وتنكب ما عساه يضرها او ينال من مكانتها . والمواطن فى امة رفيعة المكانة ، يسهل عليه تحديد ما يتمناه لامته كى تحفظ كيانها وتزيد فى رقيها . انما الصعوبة هى فى تحديد ما يتمناه المرء لامته ان كانت متخلفة أضعفتها عوامل شتى

واذا نظرنا الى العرب والمسلمين واردنا ان نبسط ما نتمناه لهم ، ظهر لنا بأجلى وضوح انهم اثخنوا بالجراح ، وعطلوا عن المضى فى مدارج القوة والعظمة بعوامل كثيرة يتحتم على الباحث ان يسرد اهمها املا فى تفهم الحقائق وتفادى العوائق وتعرف الادواء

وما كنت اطرق هذا الباب لو كنت يائسا ، بل انى اعتقد اعتقادا راسخا ان العرب والمسلمين سلالة اصول مجيدة راقية . فقد كان لهم تاريخ مشرق ، وكانوا سادة فى الارض ، واصولهم تمت الى شعوب قديمة ثبت تبريزها فى العلم والمعرفة والرقى والسيادة .. وآباؤهم ساهموا فى رفع شأن الانسانية وامدوا بنتاج قرائحهم اصول النهضة العالمية الحديثة التي يبهرنا الآن ما فيها من علم ومعرفة والتى نسميها مدنية القرن العشرين

وهذا كله يقنعنى بأن ما اصابهم من محن فى القرون الاخيرة ، وتخلفهم عن باقى الامم ، انما هو عارض لا يتصل بحقيقة السلالات . ويزول — لا محالة — اذا فكرنا فى ازالته . فالامراض التى انتابتنا والمآسى التى حلت بنا ، لم يكن لنا يد فى وقوعها ، وانما هى نتيجة ضربات سددها الينا من ارادوا بنا الشر من الفاتحين الجهلاء . وان فى مكنتنا لو وعينا وعملنا ان نسترجع ما فاتنا وان نخدم العلم والبشرية فى التاريخ الحديث كما فعلنا فى التاريخ القديم

ويمكننى بعد هذه المقدمة ان احصر ما اتمناه للعرب والمسلمين فى امور اهمها :

١ ـ زوال الاستعمار

الاستعمار اصل المصائب وأس البلاء والتأخر . فالطغاة المستعمرون اوقعوا بالبلاد العربية والاسلامية نكبات فتاكة اصبح الاحرار بسببها عبيدا والسادة مسخرين . والغاصب يأبى الا ان يبعد المغصوبين عن عوامل الرقى ، وهى تنحصر فى الاخلاق والعلم والثروة والقوة . وبلادنا جردت تماما من هذه العوامل . جردت من الاخلاق ففشا فيها الجبن والخداع وفشا فيها الجهل والتواكل وفشا فيها الحسد والتخاذل ، وضعفت النفوس الى حد ان بعض المستعبدين اصبحوا اعوانا للغاصبين

وكما افسد المستعمر الاخلاق ، افسد كذلك العلم وسعى فى اغلاق دوره والحط من مدارك المستعبدين حتى لا يفكروا يوما بعقول راجحة فى الفكاك من نير الاستعباد . وحتى لا تتقد فيهم شعلة الوطنية وينمو فيهم الوعى القومى اللذان بدونهما لا تكون وسائل للخروج من ربقة الظلم والاستبداد

اما عن القوة فالمستعمر يجرد منها الشعوب التي اخضعها ، فلا تجد قوة مسلحة فى يد شعب محتل اللهم الا تلك المخلوقات التي اذلها وسخرها لامره يستخدمها اذا شاء فى محاربة ابناء جنسها وغيرهم ، فتتطاحن الامم الصديقة المغلوبة ويزداد بينها الشقاق وتضيع بذلك الاهداف المشتركة وينسى المغلوبون آمالهم فى رفع شأنهم وصيانة بلادهم وبحرمان المغلوبين من صناعة الاسلحة ومن التدريب العسكرى ومن التكتل يسهل استعبادهم ويهون امر حكمهم ويطمئن الغاصب على وجوده بما اقترفه من آثام

٢ ـ الحب والتضامن

اتمنى ان يستل العرب والمسلمون من نفوسهم سموم الفساد والتحاسد وان يسيروا سيرة الشرف والتضامن ـ كما تدعو الى ذلك اديانهم ـ وان يعرف كل عربى ومسلم ان ما يصيب اخاه من خير او شر فانه يصيبه . وان يعتقدوا انهم جسم واحد اذا شكا منه عضو تداعى له سائر الاعضاء . ونحن لا نطالب فقط كل فرد عربي ومسلم بذلك ، وانما نطالب به الحكومات العربية والاسلامية حتى لا تؤذى حكومة اختها وحتى تكون علاقاتها بعضها علاقات الحب والتضامن والتساعد . فان خطة الشرف والتضامن هى لمصلحة الجميع ، والتقصير فى هذا انما هو تقصير نحو انفسنا وذواتنا ، وانتحار من حيث لا نعلم واعطاء الفرصة لمن يريد الشر بنا جميعا

٣ ـ العلم والاخلاق

اتمنى ـ بعد ان نطهر انفسنا مما علق بها من ادران اخلاقية افرادا وحكومات ـ ان نطهر عقولنا من الجهل فليس ينفع صلاح بغير علم ولا ينفع علم بغير اخلاق

ودیننا جمیعا یمقت الجهل ویعادیه والادیان السماویة لیست دیانات صوامع وعکوف عن العمل والجد وانما هی دیانات تطهیر النفوس والعقول بتطهیرها من الخبائث ومن الجهل. واذا اردت شیئامن الصراحة فانی اقول انزیادة الانتاج الزراعی عبادة والتکافل الاجتماعی عبادة واغاثة الملهوف والمحتاج عبادة واقامة مصانع زراعیة او صناعیة عبادة واختراع سیارة او طائرة مدنیة او عسکریة عبادة واختراع اسلحةللدفاع عن کیاننا عبادة . کل هذا یجب أن یفهمه العربی والمسلم

ورغبة فی بسط هذا المعنی اقول ان بسمارك مستشار الامبراطوریة الالمانیةقد انتصر علی اعدائهبجیوش اقل عددا من جیوش اعدائه . ولما سئل فی ذلك قال کلمته المشهورة ان الفضل فی انتصار الالمان یعود الی المدرسة ، ومعنی ذلك بکل وضوح انالنصرللعلم والعقل والفکر. واضیف هنا ملاحظة هی ان قوة المدرسة او قوة التعلیم لا تکون بکثرة عدد المدارس والتلامیذ وانما تکون باهلیة المعلم وکفایته حتی یربی تلامیذ جدیرین بالعلم والعلم جدیر بهم . وکما یجب قبل أن نفتح مستشفی ان نهیئ له الاطباء والاعوان الصالحین وقبل ان ننشئ کتیبة فی الجیش ان نهیئ لها الضباط الصالحین ، یجب قبل ان نفتح مدرسة ان نهیئ لها المعلم الصالح ولیست العبرة بکثرة المدارس والمستشفیات والجند وانما العبرة باسس هذه المؤسسات وهی المعلم والطبیب والضابط

٤ ــ الثراء المزدهر

اتمنی للعرب والمسلمین ان تنمو ثرواتهم ویزدهر اقتصادهم واساس ذلك بداهة ما سبق ذکره من اخلاق متینة وعلم راسخ، فهذان یکفلان زیادة الثراء . فالمعلم الکفء مثلا یهیئ المواطن الصالح المجد والعالم المفکر والمخترع المبدع والعامل النشیط المنتج ، وهؤلاء بحسن سعیهم وعظیم جهودهم یزیدون فی ثراء البلاد . واعتقادی اننا بالخلق القویم والعلم الصحیح والثراء المزدهر نصل ببلادنا الی ما نبتغیه من رفعة فی زمن قصیر

٥ ــ تبادل المنافع

اتمنی ان یحقق العرب والمسلمون لانفسهم القوة ، وذلك بتبادل المنافع وتشابك المصالح وترابط البلاد . فتتقارب المعاهد العلمیة والاندیة الریاضیة وتنعقد المؤتمرات العامة وتتالف الشرکات الصناعیة والتجاریة المشترکة وترتبط بلاد العرب والمسلمین ببعضها ارتباطا وثیقا بمختلف وسائل المواصلات من طرقات وسکك حدیدیة وملاحة وطیران لان اشتباك مصالحهم یساعد علی اندماجهم وتکتلهم فیصبحون قوة لها خطرها ولها وزنها ولها تاثیرها فی استقرار السلام العام

« فى حضارتنا ميزة اجتماعية تحفظ كيانها ، وتجعلها تستمر فى البقاء وتحفظ للمجتمع الذى يتمثل بها كيانا موحد الاركان »



المستقبل لنا..

نحن العرب والمسلمين

بقلم السيد نجيب الراوى

سفير العراق فى مصر

بين ايدينا ذخيرة هائلة من الثقافة الاسلامية والحضارة العربية ، وخلفنا ماض مملوء بالامجاد والمحن ، ونحن فى حاضر يتمخض عن حادث جليل ينتظره مستقبل العروبة والاسلام . اما الذخيرة فهى فى قرآننا المجيد ، وفى جوامع ما أثر عن الرسول ، وما تركه العرب من أدب وخلفته الحضارة الاسلامية من علم وفن . وقد أصاب هذه الامجاد ما أصابها من المحن فى غزو المغول والتتار وتركت فيها جروحا صعب عليها أن تندمل بسهولة ويسر ، فأصابت حضارتنا غفوة عميقة فى حين من الدهر ، وقد هيىء لها بين حين وآخر أن تفتح عينها ، وكانت أشد ما تكون عليه من اليقظة فى منتصف القرن التاسع عشر حين كانت الخلافة الاسلامية تتأرجح بين اصبعى القدر وحين كان الغرب ينظر الى الامبراطورية العثمانية على أنها «رجل مريض على فراش الاحتضار »

فى هذه الفترة من الزمن تمخضت الحركة العربية الاسلامية عن دعوة صادقة فى الرجوع الى صفاء العقيدة والى أصول الايمان وقواعد الحضارة والثقافة العربية والاسلامية . وقد حمل مصباح هذه الدعوة السيد جمال الدين الافغانى ، وطاف لذلك أرجاء العالم فى الشرق والغرب ، فاستيقظ العالم العربى على صوته الخفاق الذى أخذ يدوى بالمناداة لوحدة اسلامية شاملة، ووضع خطة مكتملة لتكوين رأى اسلامى عام يكون له شأنه ، وجعل له مدرسة خاصة تخرج منها تلامذة ناضجون كان لهم الاثر البين فى توجيه الناس الى منابع العقيدة وأصولها والى مايجرى حولهم من اندفاع هائل فى ايجاد حضارة

جديدة ، وكان من وراء هذه الدعوة نشاط عظيم فى الكتابة والخطابة والبحث العلمى واظهار المآثر الرائعة من هذه الذخيرة الثمينة

وقد أضاف السيد جمال الدين وتلميذه الشيخ محمد عبده والسيد الكواكبى الى اليقظة الدينية واليقظة الفكرية والسياسية ، فقد حركت كتاباتهم وخطبهم ودروسهم فى الصحف والمحافل وحلقات الدرس كوامن المواهب وهزت مشاعر القوم واستمرت هذه الحركة تسير فى خطى وئيدة تقف أحيانا فى وجهها العوائق والسدود واحيانا تندفع اندفاعا هائلا . والحاضر الذى بين أيدينا نتاج هذه الحركة الاسلامية التى انبعثت فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر يتجه فيه التفكير الاسلامى العربى الى افهام ناشئة العرب والاسلام معنى الحضارة الاسلامية التى تتميز بروحية سامية أبرز مافيها العدل والاخاء والمساواه والعمل المثمر

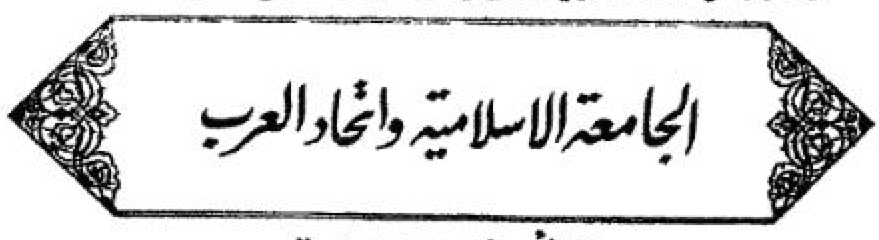
ان فى حضارتنا ميزة اجتماعية تحفظ كيانها وتجعلها تستمر فى البقاء وتحفظ للمجتمع الذى يتمثل بها كيانا موطد الاركان ، فان الروحية لا تسمو الا اذا كانت مقرونة بالعمل الذى هو وسيلة لاستمرارها وبقائها . لقد افسدت المادية الخالصة على الامم نظمها الاجتماعية فهى جافة مثلها كمثل الثمرة خلت من اللب وبقيت لها القشرة ، فاذا عادت الحضارة العربية والاسلامية تختال بروحيتها السامية فلينتظر العالم من العرب والاسلام عهدا زاهرا فى العلم والعمل وجوانب الاقتصاد

اننا نرى اتجاها ممتازا فى الشرق العربى ، اتجاها الى الاخذ بأسباب الروحية السماوية التى تتجلى فى آثارنا وامجادنا . ومن وراء ذلك رغبة شديدة فى تعريف ناشئتنا بأصول العقيدة ومزاياها التى تمتاز بها ، واى ميزة أجلى من هذه الميزة المتجلية بالقول المأثور « اعمل لدنياك كانك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا »

عملان تتجلى بهما الشخصية المسلمة ، عمل سماوى وعمل دنيوى يتوقف عليهما تكوين المجتمع وثباته وتوطيد أركانه . ولكلا العملين أصول وقواعد تفصيلية اخذت بها أصول الشريعة ووضحتها ، وبينت الروابط بينها ، ومن بين هذه الروابط السمو الروحى الذى يتجلى بصلة العبد بربه ، تلك الصلة التى تدعو للمثابرة والعمل مع خلق متين وخشية غير مصطنعة

مثل هذه الرغبة فى بعث حضارة الاسلام ستبعث مجتمعا عربيا اسلاميا فى هذا الشرق الادنى فيه كل الخير للعرب والامم الاسلامية جمعاء ، واننا لنرجو أن يتحقق هذا المستقبل المنتظر

« لا تعارض بين العمل للجامعة الاسلامية والعمل لاتحاد العرب ، فالعمــلان يصدران عن الثقافة الدينية التاريخية ويستهدفان مصالح مشتركة محققة »



الجامعة الاسلامية واتحاد العرب

بقلم الأستاذ محمد شفيق غربال

وكيل وزارة المعارف السابق

الاسلام دين وجامعة وثقافة ، والعروبة صورة خاصة من الجامعة الاسلامية والثقافة الاسلامية . وهذه المدلولات ظاهرة فى التاريخ وفى الواقع فالاسلام دين ، وهو جامعة جمعت وتجمع الشعوب الاسلامية ، وهى جامعة لم تقتض ولا تقتضى وجود الادارة او السلطة المركزية — كما نفهمها — بل ان اقاليم العالم الاسلامى حتى فى العصور الاولى للخلافة الاسلامية تمتعت فى الواقع بمقدار من الحرية مكنها من التمتع بحياة اقليمية خصبة مثمرة . والاسلام ايضا ثقافة ، بمعنى انه « طريقة حياة » ، او — كما كان يقول السلف — « آداب » . وقــد شرح ذلك ابن خلدون فى قوله : « ان الحضر لهم آداب فى احــوالهم ، فى المعاش والمسكن والبناء وامور الدين والدنيا ، وكذا سائر اعمالهم وعاداتهم وجميع تصرفاتهم . فلهم فى ذلك آداب يوقف عنــدها فى جميع ما يتناولونه ، ويتلبسون به من اخذ وترك ، حتى كأنها حدود لا تتعدى» فالحياة الاسلامية ثقافة بهذا المعنى الشامل لامور الدين والدنيا

وكانت هذه الثقافة من صنع الشعوب الاسلامية ، ومن عناصرها ما يرجع لأحوال الشعوب قبــل الاسلام ، ومنها ما يرجع لما اقتضته حاجات تطورها ، الا ان تلك العناصر تنطبع جميعا بالطابع الاســلامى ، وبناء على هذا فبينما تتنوع الثقافة الاسلامية تنوعا عظيما — اذ هى فى الاندلس مثلا تختلف عنها فى الهند ، وهى فى الغــابات او المراعى او السواحل الافريقية تختلف عنها فى الشام او فى العراق — فاننا نجد من وراء التنوع ذلك الطابع الاسلامى المشترك الذى اشرنا اليه

وكان بناء الثقافة الاسلامية على هذا النحو من اعجب فصول التاريخ الانسانى واعظمها . فهى ثقافة واسعة سمحة ، مكنت الشعوب التى عملت

فيها من أن تجاري مزاجها الخاص او عبقريتها القومية ، وقبلت شعوبا على درجات متفاوتة من الحضارة او كانت تنتسب لسلالات بشرية مختلفة او لأصول تاريخية متباعدة فقبلها البدوى والحضرى ، وقبلها السامي والحامي والآرى ، ونعم بها ذو العقل البدائي كما نعم بها ذو العقل الراقى ، وهكذا . ووجد فيها الزاهد ما يغنيه كما وجد فيها المقبل على شئون دنياه ما يفي باقباله . وفيها العناصر التى ترضي المتصوف والعناصر التى ترضي الفقيه ، ولا يقل عن هذا كله اهمية ان المجتمع الاسلامى افسح مكانا لغير المسلمين كانوا فيه غير غرباء عنه ، فهو مجتمعهم ، والثقافة الاسلامية ثقافتهم . وقد يقول قائل ان الثقافة الاوربية الحاضرة يشترك فيها اصحاب الاديان المختلفة . وهذا صحيح ، ولكن الثقافة الاوروبية استطاعت ان تقبلهم بعد ان تخلت عن نصرانيتها . وهذا فى نظر العارفين سر بلواها . واما الثقافة الاسلامية فبقيت سمحة وبقيت اسلامية

□

وان مما يؤسف له حقا ان نصيب الشعوب فى بناء التاريخ الاسلامى ينظر اليه فى الغالب من ناحية تاريخ الحركة الشعوبية وحدها . ولا شك فى عظم اثر الشعوبية ، ولكن مما لا شك فيه ايضا ان الادباء استولوا على الشعوبية فخاضوا فيها بحكم الصناعة وبحكم الذوق وبتحكم «النكتة» والبراعة مما جعل التصوير الادبى الشعوبية اقل مطابقة للواقع من التصوير التاريخى الصحيح

ومما لا شك فيه ان العروبة كانت دائما صورة متميزة من صور الثقافة الاسلامية ، ولكن الذي يهمنا الآن هو « عروبة » العصر الحاضر . كما يهمنا البحث فى شبهة خطرت وتخطر على اذهان كثير من الناس ، الا وهى : هل يوجد تعارض بين الحركة العربية والجامعة الاسلامية؟ وهذا على اعتبار ان الحركة العربية مما يقوم على اساس العصبية القومية اللادينية ، وان الجامعة الاسلامية تقوم بحكم الأسم على الاساس الدينى

وقد يعين على ازالة الشبهة ان نحدد اثر العصبية فى وجود العروبة فى زماننا وان نتتبع فى ايجاز عمل العاملين فى الحركة العربية

فأما العروبة فى اوضاعها الراهنة فلم تنشأ عن العصبية ، بل نشأت من فعل عوامل تاريخية طارئة كان من آثارها شطر العالم الاسلامى الى شرق أقصى يقع شرقي العراق والى وسط يمتد من العراق الى مصر والى مغرب يقع غربى مصر . والشطر فى حد ذاته قديم ، وهو الى حد ما طبيعى متأثر بحقائق التاريخ والجغرافيا . ولكن كانت جناية

العوامل الطارئة انها فصلت هذه الاقسام بعضها عن بعض . فالهت كل قسم بكوارثه ونكباته ، وصرفته الى الذود عن حياضه ، فانطوى على نفسه ، وجمد على ما هو عليه وخشى الحركة ، ومنع عن نفسه الاتصال بالغير

وبعد ، فما هي تلك الاحداث ؟ كانت الحروب الصليبية فى الوسط وكانت اكتساحات التتار فى الشرق وكانت اجلاء المسلمين عن الاندلس ثم مهاجمة المغرب ثم حركات التطويق البحرية الكبرى التى املكت الاوروبيين السيطرة على آسيا وادت — فيما ادت اليه — الى املاك الاوروبيين السيطرة على الاقاليم العربية على اعتبار انها تخترقها اقصر الطرق الموصلة بين الاوروبيين ومناطق سيطرتهم فى آسيا

والحروب الصليبية ادت قطعا — فيما ادت اليه — الى قيام جبهة اسلامية متصلة من الجزيرة والشام ومصر تواجه الصليبيين للدفاع فى أول الامر ثم لاجلائهم عما ملكوه فى بيت المقدس والساحل . ووقفت الجبهة الاسلامية نفسها ترد عن الشام ومصر محاولة التتار التقدم غربا للاتصال بالصليبيين . والمهم فى هذا كله ان الجبهة لم تكن عملا حربيا فحسب ، بل اقتضت مقدارا من التثبيت — وان شئت الجمود — للحياة الدينية والعلمية يحول دون انفراط العقد وتشتت الافكار ، اى دون التفرق والضعف . كما اقتضت ايضا تسليم الزمام لرجال السيف ، فعلت كفة السياسة السلطانية على كفة السياسة الشرعية ، وضعفت الرياسة الدينية تبعا لذلك ضعفا بينا ، وكان ايضا من جراء الحروب المتواصلة وتسليم الزمام لرجال السيف ان استنفدت موارد مصر والشام المالية فى سبيل اغراض هذا النوع المسرف من التنظيم العسكرى الادارى : السلطنة والامراء والمماليك والطوائف الثانوية من عصابات المرتزقة والبدو

□

ولا حاجة بنا للافاضة فيما كان من اكتساح التتار للاقاليم الشرقية الاسلامية وما ادى اليه هو ايضا من انفصال تلك الاقاليم عن الاقطار العربية ، وما حدث من محاولات بذلت خلال الحروب الصليبية وفيما بعد زمن تلك الحروب لتاليف جبهات متحدة من التتار والاوروبيين ضد الاقاليم العربية تعمل من الشرق ومن الغرب ، برا وبحرا . وقد ترتب على هذا الانفصال عن سائر اقاليم العالم الاسلامى ان الشرق الايرانى اكتسب هو ايضا بدء أوضاعه التاريخية الحديثة : فارس ، الامارات الاسلامية فى أواسط آسيا ، افغانستان ، الهند الاسلامية

ثم كانت محاولة الدولة العثمانية ان تعيد بناء الوحدة الاسلامية ، الا

ان المهمة كانت اكبر واشق مما تصورت ، ولم يتم منها الا اخضاع العرب ـ او أكثرهم ـ لحكمهم . اضف الى هذا استحكام العداء بين العثمانيين والايرانيين ، وتحكم الفرقة بين السنيين والشيعة . كما نضيف اليه فشل الدولة العثمانية فى طرد البرتغاليين من البحار العربية ، وكانوا قد وصلوا اليها فى اواخر القرن الخامس عشر وبدأوا منذ ذلك الحين اغلاق المنافذ البحرية العربية والفارسية وخنق التجارة الاسلامية خنقا تاما . وتبع البرتغاليين قدوم الهولنديين والانجليز والفرنسيين للمياه الاسيوية ، ولولا ما كان من التنافس فيما بينهم لاختفت راية العرب من البحار . ومع ذلك فقد تمكن الاوروبيون وبخاصة الانجليز من اخضاع السواحل العربية والفارسية لنفوذهم . وتبع ذلك فى القرن التاسع عشر امتداد السيطرة من السواحل الى قلب الاقاليم العربية فى الوسط والمغرب وفى فارس

وعلى هذا النحو كان بدء العروبة كما عرفها التاريخ الحديث

ولما آن للعرب ان يستيقظوا ، وان يهبوا لاصلاح شئونهم ، تنوعت لديهم اساليب الاصلاح ومناهجه طبقا لما املته عليهم ظروف اوطانهم . والتنوع شىء آخر غير التعارض

ونحن نعرف ان من المصلحين من انتسب لاوطان عربية تحكمها الدولة العثمانية حكما عجز فى كثير من الاحوال عن تحقيق مصالح اهلها الحسية والمعنوية وعمل فى اواخر ايامه على اهدار عروبتهم ، ومن المصلحين من انتسب لاوطان عربية تحت السيادة العثمانية انما ازمة الحكم فى ايدى دول اوروبية . ومن المصلحين من انتسب لاوطان اسلامية غير عربية تخضع لحكومة من الحكومات الاوروبية . كما ان من المصلحين من تأثر تأثرا قويا بالفكر الاوروبى فوضع خطته للاصلاح على اسس الفكر الاوروبى الحديث . واهمها اساسان احدهما اللادينية والآخر العصبية القومية

وبناء على اختلاف الظروف وعلى اختلاف الرجال فى الحكم على ماهو عملى وما هو غير عملى ، اختلفت البرامج ، ونشأت حركات يصفونها بأنها اسلامية واخرى يصفونها بأنها عربية . ونحن نذهب الى ان القائمين بها لم يروا تعارضا فيما بينها ، اللهم الا فيما كان بين القوميين اللادينيين والمصلحين الذين قدروا ان الاستمساك بالاصول التاريخية للثقافة شرط اساسى للعمل والنجاح

ولا ادرى كيف يستطيع احد ان يتصور ان الاصلاح الدينى كما قرره ـ مثلا ـ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده يعطل فى قليل او كثير

عمل العاملين لاستقلال العرب او جمع كلمتهم أو تآخيهم او تعاونهم، وقد ذكر شيخ الاسلام المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق فى مقدمته لمقالات العروة الوثقى ان دعوة الشيخ محمد عبده تنتظم امورا ثلاثة :

١ ـ تحرير الفكر من قيد التقليد حتى لا يخضع العقل لسلطان غير سلطان البرهان ، ولا يتحكم فيه زعماء الدنيا ولا زعماء الاديان

٢ ـ اعتبار الدين صديقا للعلم له وظيفة يؤديها . وهما حاجتان من حاجات البشر لا تغنى احداهما عن الاخرى

٣ ـ فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف ، والرجوع فى كسب معارفه الى ينابيعها الاولى

وهل فى هذه الا الاساس الوحيد لاية حركة عربية استقلالية اتحادية ؟

وقد يظن ظان ان اختلاف العرب دينا يقتضى تجريد حركتهم من عنصر الدين حرصا على جمع الكلمة ومجاراة لما اتجهت اليه بعض الحركات القومية الحديثة . وهذا وهم ، اولا لانه يناقض ما اثبته التاريخ عن مشاركة غير المسلمين فى بناء الثقافة التاريخية وثانيا لانه يناقض ما اثبته التاريخ الحديث من مشاركة غير المسلمين فى بناء الحركة العربية التحريرية الاستقلالية ، وثالثا لانه يعطل المصلحة العامة الكبرى الا وهى جمع الكلمة على اصلاح دينى أسلامى مسيحى يصد نزعات الالحاد والمادية

ثناء المنافقين

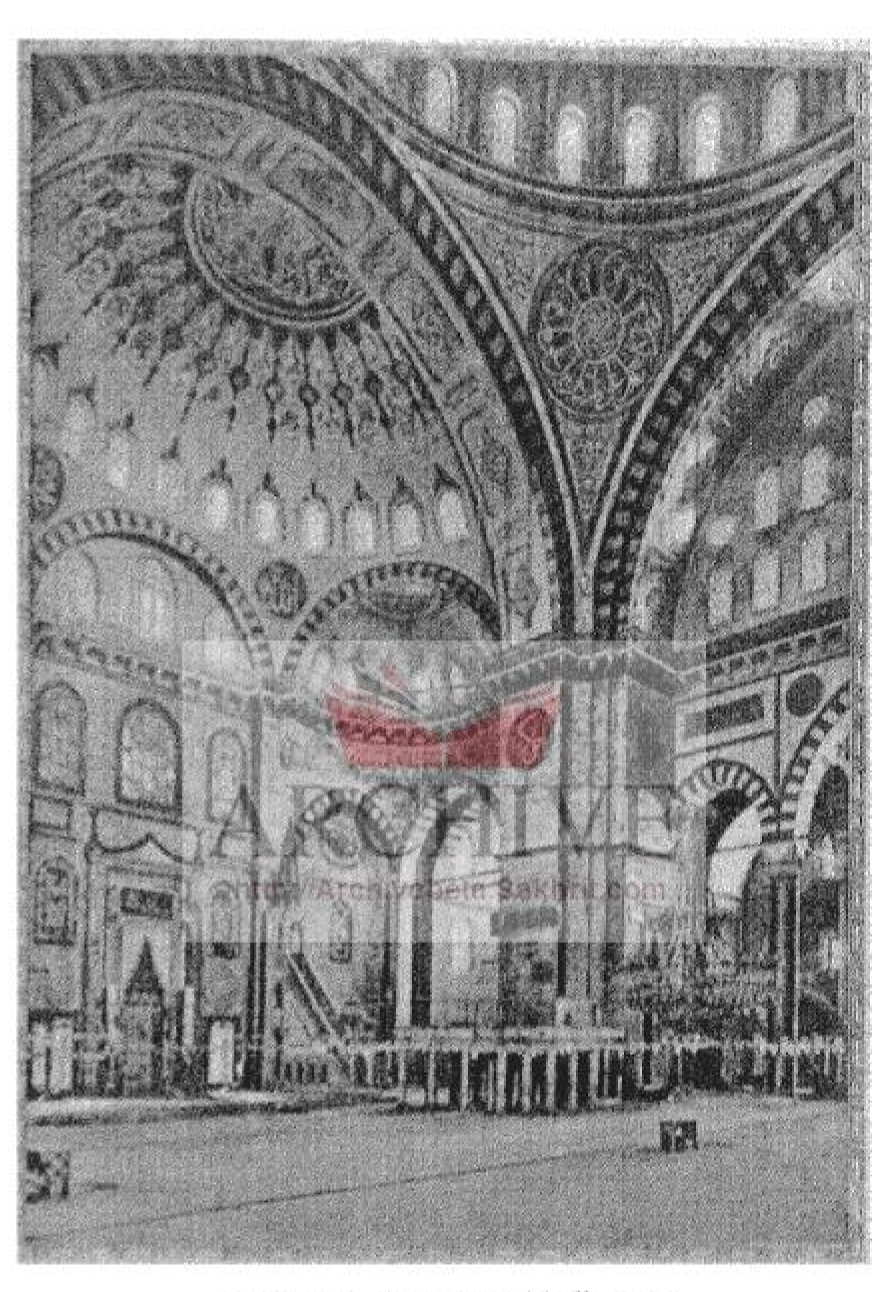
اثنى احد المنافقين على الامام على بن ابى طالب ، فبالغ وأسرف ، فقال له علي : « انا فى نفسي أقل مما تقول ، ولكنى فوق ما فى نفسك ! »

من السيد ؟

قيل للأحنف بن قيس : « من السيد ؟ » فقال : « الذى اذا اقبل هابوه ، واذا ادبر عابوه ! »



قصر الحمراء بغرناطة باسبانيا



مسجد السلطان سليمان الاول باستانبول

الاسلام والمسيحية

هل يمكن التوحيد بينهما ؟

بقلم الدكتور أحمد زكى

المدير السابق لجامعة القاهرة

سؤال خطير لاشك هذا الذى يسألنى اياه سائلكم ، وهو يمتحننى به امتحانا مرا . وانى لاخشى أن يطلع عليه المسيحى المتبتل ، فيلعن به ، بالسؤال دون أن يدرى ما الجواب ، سائلا ومسئولا . وانى لاخشى ان يطلع عليه المسلم المتبتل ، فيلعن به كذلك سائلا ومسئولا

لهذا اسارع بالجواب ، لكى اطمئن واطمئن ، فاقول انى أومن بأن يكون بين الاسلام والمسيحية اتحاد لا توحيد

سمعت قصة : بعث احد المستشرقين المسيحيين الاوروبيين كتابا الى الشيخ الجليل حسن الطويل وهو من شيوخ جيل مضى ، يطلب أن ينزل عنده اذا هو جاء مصر . ثم جاء ، ونزل عنده بالريف ، ومضى يوم فيوم . وعلم المستشرق ان الضيافة ثلاثة ايام ، ولم يشأ أن يثقل . ففى صبيحة اليوم الثالث افضى الى الشيخ بحاجته التى جاء من أجلها . وعلى المائدة التى كان عليها الفول المدمس ، والبيض واللبن استفتح يحدثه عن المسيحية ، ويحدثه عن الاسلام . وامتد الحديث وامتد الافطار .

> ان غاية الاسلام والمسيحية واحدة .
> تلك تمجيد الله والايمان به وباليوم الآخر والاخوة الانسانية وحسن المعاملة بين البشر

وهو فى حديثه يحاول ان يقنع الشيخ بأن فى الامكان التوحيد بين النصرانية والاسلام . والشيخ يصغى ساعة ولا يقول شيئا . فلما اطمأن المستشرق الى ان الشيخ الجليل اقتنع بالذى يقول ، سأله السؤال الحاسم الاخير : « واذن أفلست ترى معى امكان التوحيد بين النصرانية والاسلام ؟ » . وانتظر الجواب الحاسم للسؤال الحاسم . فكان جواب الشيخ بليغا فى قصره ، عميقا فى اثره

قال له : « كل فولا . . كل فولا ! »

وتخيلت ما كان الشيخ صانعه لو لم يكن صاحبنا ضيفه

وتخيلت كذلك ما كان يكون الحال لو ان الشيخ كان قسا أوروبيا والضيف باحثا متغالا مسلما مصريا .. فما وجدت ان سوف يكون فى النتيجة كثير تغيير وتبديل .. الا احتمالا فى الغول !

ان الاسلام يستطيع ان يعيش مع المسيحية جنبا الى جنب ، وكذلك المسيحية تستطيع ان تعيش مع الاسلام جنبا الى جنب

ولست اجعل من التاريخ فى ذلك سندى ، ولا اتخذ منه دليلى ، فالتاريخ الماضى كان تاريخا يملؤه الظلم ، ويملؤه العدوان ، وتملؤه الاثرة ، وتملؤه الغلبة بالقوة حينا وبالخداع حينا ، لم يرع فيه نصرانى حرمة نصرانى او حرمة مسلم ، ولم يرع فيه مسلم حرمة مسلم ولا حرمة نصرانى . وذلك فى الكثير ، والحكم انما يكون بالكثير . وهو تاريخ مصبوغ بالدماء ، لم تنفع فيه عظة قرآن ولا حرمة انجيل

واقرا التاريخ الاسلامى فأجد ثلاثة من الخلفاء الاربعة الراشدين قتلوا . ويأتى بعدهم بنو أمية فأجد الحسين يقتل ، ومع الحسين زمرة كريمة من اسباط النبى وعشيرته ، ويستمر القتل والتقتيل . ويأتى العباسيون فيمضى من خلفائهم نحو سبعة وثلاثين اكثرهم مات وهو قتيل . فهؤلاء هم الخلفاء والامراء فكيف بحال كان للرعية من غير الخلفاء والامراء ؟ وكلهم مسلمون . وجرت القرون من بعد ذلك حمراء

واقرا التاريخ المسيحى ، فأجد الدماء ، واجد الشقاء

ان هذه كانت صفة تلك الازمان .. والذى جرى بين المسلمين والمسيحيين من حروب انما كان بسبب ذلك المزاج الانسانى الشامل وقد تغير اليوم هذا المزاج . اما المسيحيون فغير من مزاجهم ، فى هذه الناحية ، العلم . غير اكثره ، وبقيت بقية . واما المسلمون فغير من مزاجهم رجوع الى ما كان فى دينهم اول الامر من تسامح . وذكرهم ، من بعد نسيان ، بعض آيات القرآن : « ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وانهم لا يستكبرون » .. وغير من مزاجهم ما اسهموا فيه من هذا التعقل الذائع المنتشر فى هذه الايام

وتدع التاريخ ، وتنظر فى الموضوع ذاته ، فيما بين المسيحية والاسلام من شبه ، وما بينهما من خلاف .. فتجد الاشباه كثيرة ، وتجد الخلاف من النوع الذى لا يمنع جارا ان يسكن الى جاره او يسكن حتى معه

ان غاية الاسلام وغاية المسيحية واحدة ، تلك تمجيد الله . وانما اختلفت الوسائل ، وهى لم تختلف بحيث تنقلب بها الغايات

كل يؤمن بالله ، ويؤمن بأن الله خير لا يدعو الا الى خير . والايمان من الاشياء التى تستر فى القلوب . فانا القاك فلا

اعرف ماقي قلبك . وقالوا هـذا وحد ، وهذا ثلث . وما حاجتي الى عرفان ذلك بحسبانك جاري ، وبحسبانك معاملي ، وتلقاني والقاك في الحياة ؟ انما حاجتي الى مايصنع هذا الايمان الخفي في يدك اذيحركها بخير هو يحركها ام بشر . . وفي قدمك اذ يجريها ، الى مسرة وهي تجري أم مساءة ، وفي قلبك اذ يبعث فيه الحرارة ، أحرارةاضطغان هي تدعوالى سفك دمي ، امدفءمن رحمة آخذ بيدي ، آس لجرحي

ان الدين المعاملة .. وصدق رسول الله

ان الاسلام يدعو الى الرفق بالفقير ، وكذلك النصرانية .. والاسلام يدعو الى مؤاساة المريض ، وكذلك النصرانية .. وكلاهمايدعوالى العدل وكلاهمايدعوالى الاحسان من بعدعدل ، وكلاهما يدعو الى الصفح والمغفرة وكلاهما يؤمن بالله مسيطرا على هذا الوجود ، وكلاهما يؤمن بالرجعة وباليوم الآخر

وللمسلمين مساجد هي عندهم بيوت الله .. وللمسيحيين كنائس هي عندهم بيوت الله . ولهؤلاءمآذن ولهؤلاء نواقيس ، كلاهما يدعو الى عبادة الله . وعند ذكر الله يخشع فيهما الخاشعون ، ويخشى الله بينهما المتقون . وعند النصارى صلاة وعند المسلمين صلاة . وعندهم صيام وعندهم حج . واشتركوا في بيت المقدس حجا . وبيت المقدس كان قبلة الاسلام الاولى . « قد نرى تقلب وجهك في السماء . فلنولينك قبلة ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره»

وفي المجتمع بنى الاسلام تعاليمه على الاسرة ، وحدة هذا النظام . واقر ما بين الولد والوالد من علاقة، علاقة فروض وواجبات . واقر ما بين الزوج والزوجة ، وقضى بوصل الارحام . وكذلك فعلت المسيحية . وورث الاسلام وورثت المسيحية . ونظام الاسلام اشتراكي وكذلك نظام المسيحية . وفي المسيحية « العين بالعين والسن بالسن » . وفي الاسلام « ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب » . والاسلام يحرم السرقة ويحرم القتل ، وكذلك تفعل المسيحية

ومن العبث أن يذكر المرء وجوه الشبه ، ثم لا يردفها بوجوه الخلاف .. انه اذن الميل

وليس احد بمنكر ان بين المسيحية والاسلام خلافا في العقائد .. فعند المسلمين الاله واحد ، وعندالنصارى انه ثلاثة كواحد ، الاب والابن وروح القدس . والمسلمون يؤمنون بعيسى نبيا ، وبموسى وابراهيم وسائر الانبياء . والنصارى لا يؤمنون بمحمد نبيا . الى غير ذلك

وانا اقول في هذا الخلاف ، وفي أضراب له ، انه مما لا يضر مسلما ان يكون مثله عند مسيحي ، ولا مسيحيا ان يكون مثله عند مسلم ، على ظهر هذه الارض . اما بعدها فلهم الى الله مرجع ومآل

واختلف الناس فى هذه العقائد اختلافا كبيرا .. ففى المسلمين فرق انتهى بهم الخلاف الى ان كفر بعضهم بعضا ، واقتيد المخالفون فى عهود كثيرة ، وفى عهد المأمون وعهد المعتضد الى السجون

والنصارى منهم الموحدون صرفا. بداوا فى الاوسط من أوروبا فى أواسط القرن السادس عشر ، وامتدوا الى انجلترا والى امريكا . ولهم اليوم كنائس ولهم شعوب وطوائف . وتبعهم فقهاء وتبعهم علماء . وممن تبعهم بريستلى العالم الكيماوى الانجليزى الشهير. ويقول صاحبهم «الترى» فى شرح مذهبهم : « ان العبادة يجب ان لا يتوجه بها العبد الا لله الحق ، ذلك الاب وحده» وانكر التوجه بالصلاة الى عيسى ، صلوات الله عليه . واعتبر الموحدون ان لا فرق بين عيسى وبين سائر الخلق الا الحظوة عند الله . وهم بذلك قاربوا ما يقول به المسلمون ، بل هو ما يقول به المسلمون

ولست اذكر هذا ترويجا لمذهب او نصرة لعقيدة . وكيف افعل ، وانا اعلم ان من المسلمين فئات صنعوا عكس ذلك ، فالهوا الرجال ؟

وتسال : وما الحاجة الى الاتحاد (ولا اقول التوحيد) ؟

والجواب : ان الحاجة اليه تدعو اليها المناصرة حتى يبقى ذكر الله يعمر هذه الارض ، فتعمر به قلوب تمحل وتجدب وتذوى اذا هى فرغت من ذكره .. وكذلك تختبل افهام

انه ظهرت فى كل عصر فئات من الناس ، هواها فى أن تهدم ثم لا تبنى. تنفى الله ، ثم لا تقيم حتى صنما مكانه ، يستمد منه الانسان الضعيف العاجز الفانى ، حتى العون . وهم يريدون الحياة طعاما وكساء ثم فناء، فى عماء لا أول له ولا آخر . وطبيعتنا طبيعة البشر ، فيهـا حس باطن يابى هذا . والعقول عاجزة. والعقول اذا عجزت ، واظلم ما حولها، فلابد من ضياء . فلم يبق الا ضياء الطبع هاديا ، والحس الباطن مرشدا

أن الحياة ، لو كانت طعاما وشرابا ولا شيء غير هـذا ، فما أرخصها حياة ، وهى لا تساوى ما ينفق فيها من جهد ، وما يحصل فيها الناس من شقاء

ففى سبيل التمسك بمسالك الحياة هذا ، تتحد المسيحية والاسلام ، وكل ذى دين يعبد ربا ، هـو رب هذه الارض ورب هذه الافلاك فى السموات العلى

لك المجد ، سبحانك

نبى الاسلام

فى رأى الغربيين

■ اعتقد ان رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم فى العالم بأجمعه لتم النجاح فى حكمه ، ولقاده الى الخير وحل مشكلاته ، على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة

(برناردشو)

■ كان محمد مؤسسا لأمة ، ومقيما لامبراطورية ، وبانيا لدين ، فى وقت واحد . وهو وان كان أميا ، فقد أتى بكتاب يحوى أدبا وقانونا واخلاقا عامة ، وكتبا مقدسة فى كتاب واحد . وهو كتاب يقدسه الى يومنا هذا سدس مجموع النوع البشرى .. لأنه معجزة فى دقة الأسلوب وسمو الحكمة وجلال الحق

(الكاتب الانجليزى ب . سميث)

■ ان حياة محمد وقوة تأمله وتفكيره وجهاده ووثبته على خرافات امته وجاهلية شعبه ، وشهامته وجرأته ، وثباته على الدعوة ثلاثة عشر عاما فى وسط أعدائه ، وتقبله سخرية الساخرين ، وحميته فى نشر رسالته وايمانه بالفوز والنجاح ، ونجاح دينه بعد موته .. كل ذلك ادلة على انه كان يعيش على الحق ، ولم يكن يعيش على باطل

(الشاعر الفرنسى لامارتين)

■ لقد كان محمد على نقيض من سبقه من الانبياء ، فانه لم يكتف بالمسائل الالهية ، بل تكشفت له الدنيا ومشاكلها ، فلم يغفل الناحية العملية الدنيوية فى دينه ، فوفق بين دنيا الناس ودينهم . ولذلك تفادى أخطاء من سبقوه من المعلمين الذين حاولوا خلاص الناس من طريق غير عملى . لقد شبه الحياة بقافلة مسافرة يرعاها الله ، وان الجنة نهاية المطاف

(الجنرال الامريكى د . ف . بودلى)

■ لم يقل محمد عن نفسه انه هو وحده نبى الله ، بل اعتقد فى نبوة موسى وعيسى . وقال ان اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم واعتناق الاسلام . وفى سنى دعوته الاولى احتمل كثيرا من اضطهادات أصحاب الديانات القديمة ، ولكنها لم تثنه عن دعوته

لا ريب ان هذا النبى من كبار المصلحين الذين خدموا المجتمع البشرى خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا انه هدى أمة كبيرة الى نور الحق

(تولستوى)

[عن كتاب « نبى الاسلام فى مرآة الفكر الغربى » للأستاذ عز الدين فراج]

رؤساء الدول الاسلامية والعربية



كان لنهضة العرب والمسلمين فى القرن العشرين اثرها العظيم فى قيام دول اسلامية وعربية مستقلة ، وفى نهوض شعوب اخرى للوصول الى حقها فى الحرية والاستقلال ، وقد تكونت حتى الآن ملكيات وجمهوريات حرة يرأسها ملوك ورؤساء جمهوريات نتحدث فيما يلى بايجاز عن كل منهم

الملك سعود بن عبد العزيز

ملك المملكة العربية السعودية ، فى الثالثة والخمسين من العمر ، خلف اباه المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود ، منشىء المملكة التى تحمل اسم الاسرة . وقد ولد سعود فى ١٥ يناير سنة ١٩٠٢ وكانت ولادته مقترنة بانتصار والده على الامير عجلان وفتح الرياض . وكان والده يتفاءل به وقد صحبه فى عدة غزوات ، وهو صورة من ابيه فى هيئتــــه وملامحه واخلاقه وشخصيته البارزة

الملك فيصل الثانى

ملك العراق ، وهو ابن غازى الاول ، ابن فيصل الاول ، ابن الحسين ابى الثورة العربية الكبرى ، وقد ولد فى سنة ١٩٣٥ فهو فى العشرين من عمره . وقد تعلم علومه الاولى فى العراق واجاد العربية والانجليزية ، وسافر الى انجلترا حيث اتم تعليمه . وهو يجيد الى جانب هاتين اللغتين الفرنسية والتركية . ويمارس حقوقه الدستورية منذ شهر مايو سنة ١٩٥٣

الامبراطور محمد رضا بهلوى

فى العالم رئيس دولة اسلامية واحدة يحمل لقب امبراطور ، وهو شاه ايران محمد رضا بهلوى ، وقد ورث العرش عن أبيه مؤسس الاسرة البهلوية ، فهو اذن ثانى ملك من هذه الاسرة . والشاه الآن فى نهاية العقد الرابع من العمر ، وقد تزوج فى سنة ١٩٣٩ « الاميرة » فوزية شقيقة الملك المخلوع فاروق . وطلقها فى سنة ١٩٥١ . ثم تزوج الامبراطورة ثريا وهى ايرانية مثله

جلال بايار

رئيس جمهورية تركيا ، وهى اول جمهورية اسلامية نشأت فى الشرق الاسلامى ، وقد نودى بها فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٣ عقب الفوز العظيم الذى ادركته الثورة الوطنية التركية . واول رئيس لها كمال اتاتورك مؤسسها ، وقد توفى فى نوفمبر سنة ١٩٣٨ فاجتمع المجلس الوطنى واختار الفريق عصمت اينونو خلفا له . ولما اعتزل الحكم خلفه جلال بايار ، فهو ثالث رئيس للجمهورية التركية

الدكتور سوكارنو

اول رئيس لجمهورية اندونيسيا ، بعد تحررها واسترجاع سيادتها . لعب دورا رئيسيا فى الصراع الذى اسفر عن استقلال اندونيسيا فكافأه الشعب بانتخابه لارفع منصب فى الدولة

عاش مدة من الزمن فى مصر . وهو ما زال فى مقتبل العمر

هاشم الاتاسى

رئيس الجمهورية السورية . اقدم سياسى فى بلاده

رافق الحركة الوطنية وترأسها منذ البدء ، وكان بعد محمد على العابد ثاني رئيس للجمهورية السورية سنة ١٩٣٦ ، وقد قاسى انواع الارهاق والاضطهاد ، ثم ابعد عن الرياسة فى اثناء الانقلابات العسكرية وعاد اليها بعد تلك الانقلابات فى سنة ١٩٥٤



كميل شمعون

رئيس الجمهورية اللبنانية ، كان مجاهدا صلبا قبل عهد الاستقلال ، ومن الزعماء الذين طاردهم الاستعمار . حمله نواب الامة الى منصب الرياسة فى سنة ١٩٥٢ ، بعد حركة شعبية ارغمت سلفه الشيخ بشارة الخورى على الاستقالة ، بعد ما سلك سياسة اثارت الشعب ضده ، فاقاله من منصبه ، واختار بدله الرئيس الحالى

الامام احمد بن يحيى

ملك اليمن . خلف اباه الإمام يحيى محمد حميد الدين ، بعد فترة قصيرة تخللتها ثورة عبد الله بن الوزير واغتصابه العرش بضعة اسابيع . وقد استطاع ان يسترجع ملك آبائه ، وان يوطد عرشه ، ويوثق العلاقات السياسية بين بلاده والبلاد الاخرى وفى عهده انشأت الدولة اليمنية مفوضياتها الاولى فى الخارج

الملك حسين الثانى

ملك المملكة الاردنية الهاشمية ، فى العشرين من العمر الآن . خلف اباه طلال الاول الذى تنازل له عن العرش . وهو حفيد عبد الله بن الحسين . يحمل لقب حسين الثانى على اعتبار ان ملكه امتداد لملك جده الحسين بن على . احتفل بممارسته حقوقه الدستورية فى وقت واحد مع الملك فيصل

جمال عبد الناصر

الرئيس البكباشي أركان الحرب جمال عبد الناصر، رئيس مجلس قيادة الثورة، ورئيس مجلس الوزراء، يرجع اليه والى أعوانه من قادة الثورة فضل القيام بثورة عسكرية شعبية الغت النظام الملكى ونظام الاقطاع الفاسد فى مصر، وأعلنت النظام الجمهورى الحالى، لاول مرة فى التاريخ. وبذلك أصبح حكم البلاد بأيدى ابنائها، وعادت أرضها الطيبة للفلاحين الكادحين فيها

وقد وفق الرئيس جمال وصحبه القادة الابطال الى حل مشكلة السودان التى أعيت جميع الحكومات فى العهود الماضية، كما وفقوا اخيرا الى اجلاء القوات الاجنبية عن البلاد، بعد أن استمرت فيها منذ سنة ١٨٨٢.

محمد ظاهر شاه

تولى عرش افغانستان فى اكتوبر سنة ١٩٣٣، خلفا لابيه محمد نادر شاه، اول ملك من هذه الاسرة بعد ثورة باجى سقا وانهيار عرش امان الله. وقد اصبحت افغانستان فى عهده وعهد أبيه من قبله تسير قدما نحو التقدم فى خدمة الاسلام وخدمة الافغانيين، وهم جميعا يدينون له بالولاء والاخلاص

سيدى محمد الأمين

ملك تونس، خلف الشهيد محمد المنصف باى. اول من أطلق عليه شعبه لقب ملك. فى عهده ازدهرت الحركة القومية ودخلت تونس فى مفاوضات مع فرنسا بهذا الشأن. وما زالت النهضة الوطنية فيها تسير بخطوات حثيثة بفضل توجيهاته وتشجيعه للقائمين بها

محمد بن يوسف

ملك المغرب، ابعده الفرنسيون عن العرش ونفوه الى جزيرة مدغشقر وعينوا محله محمد بن عرفة.

ولكن الشعب المغربي والشعوب العربية وحكوماتها كلها لم تعترف بهذا العمل وظلت تعد مولاى محمد ابن يوسف سلطانا شرعيا للمغرب . وهو مثل سيدى محمد الامين اول من اطلق عليه شعبه لقب ملك

وقد فكرت فرنسا منذ حين فى المباحثة معه لاعادته الى بلاده وعرشه ، وقيل انه رفض الشروط التى عرضتها عليه



الحسن بن المهدى

خليفة سلطان المغرب فى المنطقة التى تحتلهااسبانيا لم يعترف بمحمد بن عرفة واعلن بقاءه على الولاء لمولاى محمد بن يوسف واعتبار المغرب كله وحدة لا تتجزأ . يعده المغاربةكلهم اليوم ممثل الاسرة المالكة الشرعية

غلام محمد

« حاكم » باكستان . كان هذا لقبه كما كان لقب محمد على جناح منشىء الدولة الباكستانية ، الى ان قرر ممثلو الامة اختيار النظام الجمهورى واطلاق لقب رئيس الجمهورية على الحاكم

كان اول حاكم لباكستان محمد على جناح ، وغلام محمد هو الثانى

ادريس السنوسى

ملك مملكة ليبيا المتحدة ، هو اول امير سنوسى يحمل لقب ملك . كتب له ان تتخلص ليبيا فى عهده من الاستعمار الايطالى . هو فى آن واحد زعيم سياسى

وزعيم دينى . وقد استطاع فى فترة قصيرة ان يشيد بنيان مملكته على اساس وطيد

عبد الله السالم الصباح

امير الكويت ، وهو فى العقد السابع من عمره ، ويعد اغنى رجل فى العالم بما تدره عليه منابع البترول الغزيرة فى امارته . وهو يميل الى حياة البساطة والبعد عن البذخ ، ويعرف عنه الصلاح والتقوى وقد انشأ فى بلاده جيشا منظما ، وكثيرا من المستشفيات والمدارس

خليفة بن محارب

سلطان زنجبار ، من أسرة «آل بو سعيد» العريقة وهو فى العقد الثامن من عمره ، واسرته تحكم بلاد زنجبار منذ عدة قرون . وهى مرتبطة بمعاهدة مع الانجليز

وهناك امارات عربية صغيرة يحكمها امراء وسلاطين جميعهم خاضعون لنفوذ انجلترا والحكم متوارث فى تلك الامارات فى نطاق الأسرة . واشهر الأسر الحاكمة الآن فى الامارات العربية هى :

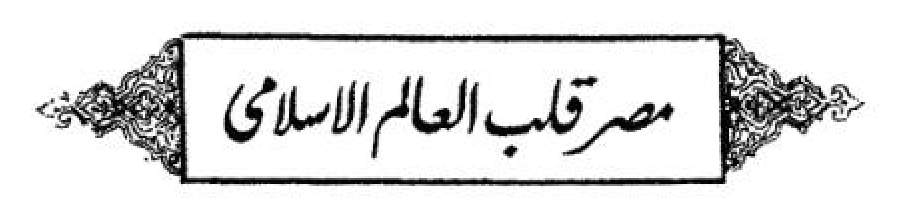
١ ـ آل كثير فى حضرموت
٢ ـ والعبادلة فى سلطنة لحج
٣ ـ وآل القعيطى فى المكلا والشحر
٤ ـ وآل سعيد فى مسقط وعمان
٥ ـ وآل خليفة فى البحرين
٦ ـ وآل مكتوم فى قطر

ادريس السنوسى

عبد الله الصباح

خليفة بن محارب

«مصر هى قلب العالم العربى والخادم الاول للعروبة الذى يحمل لواء التعاون الوثيق بين جميع الاقطار العربية»



مصر قلب العالم الاسلامى

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

وزير المعارف السابق

لئن كانت الجزيرة العربية هى المهد الاول للعروبة ، فانها كانت بمثابة الينبوع الذى لم يلبث ان تفجر ، وفاض وانتشر ، وملأ عالما فسيح الارجاء ، هو الذى ندعوه اليوم بالعالم العربى . وقد نشأت فى هذا العالم منذ اقدم الازمنة ، اقطار عريقة فى العروبة ، لم تلبث ان ملأت الدنيا حضارة ومجدا ونورا

ولئن فات مصر ان تكون جزءا من الجزيرة العربية ، فانه لم يفتها ان تلاصقها ملاصقة شديدة ، وان تجاورها مجاورة قوية ، وان تتلقى منها فيضا لا ينقطع من الدماء العربية والثقافات العربية ، وذلك منذ فجر التاريخ ، بل لعل ذلك يرجع الى ما قبل التاريخ

كانت مصر من أول الأقطار التى ازدهرت فيها الحضارة ، وانبعث منها نور المعرفة والهداية ، وكانت الحضارة التى نشأت فى مصر قوامها الثقافة العربية ، واللغة المصرية القديمة لم تكن سوى فرع من فروع الدوحة السامية ، التى ينتمى اليها ايضا لساننا العربى المبين

لذلك كان من الخطأ ما يزعمه الزاعمون ان اشتغال مصر بدراسة حضارتها القديمة ، قد يناقض نشاطها فى خدمة العروبة ، فان حضارة مصر القديمة ، كحضارة بابل وآشور ، وحضارة السريان والفينيقيين ، كلها مظاهر للنشاط العربى فى مختلف صوره وعناصره وعصوره ، التى تستغرق الآلاف من السنين

وقد قضى لمصر موقعها الجغرافى بأن تكون الخادم المخلص للعروبة منذ العهود الاولى ، ولئن كانت خدمتها يعتريها القصور احيانا ، بسبب ما تتعرض له من احداث الزمن ، وتقلبات الدهر ، فان مما يعوض ذلك طول مدة الخدمة وشدة الاخلاص فى تاديتها

وموقع مصر الجغرافى يؤهلها

لخدمة العروبة فى نواح عديدة ، فالوطن المصرى يصل ما بين قارتين كبيرتين : آسيا وافريقية ، ويلتقى فيه بحران عظيمان : بحر القلزم وبحر الروم ، ومن وراء بحر القلزم المحيط الهندى ، والعالم الضخم الذى يحيط به ، ووراء بحر الروم أوربا ، ومن ورائها المحيط الأطلسى، او بحر الظلمات كما كان يدعوه القدماء فمصر حلقة الاتصال بين الشرق والغرب ، وبين الشمال والجنوب ، ويتلاقى عندها البر والبحر . وهذا الموضع الجغرافى الممتاز قد احتلته العروبة واتخذته محلا مختارا

ويطول بنا الحديث اذا حاولنا ان نتتبع تاريخ العروبة فى مختلف الأزمنة ، والدور الذى قامت به مصر فى خدمتها ، وحسبنا ان نشير هنا الى العهد العربي الاسلامى ، فقد كان الفتح العربى لمصر فى القرن السابع الميلادى حادثا جليلا فى تاريخ العروبة ، فلم يكن مجرد فتح لقطر من الأقطار ، بل فاتحة لانشاء وطن عربى اسلامى فى القارة الافريقية ، يتناول بلاد المغرب والاندلس من ناحية ووادى النيل والأقطار التى تحف به من ناحية أخرى . ولم يلبث هذا العالم العربى الافريقى ان أصبح من أخصب أوطان العروبة ، ومن أكثرها انتاجا ثقافيا عربيا ، وبواسطة هذا الفتح ، اتصلت العروبة اتصالا مباشرا بأوربا ، عن طريق اسبانيا وصقلية .. ولم تمض أجيال ، حتى كان للثقافة العربية مراكز هامة فى المغرب فى قرطبة وفاس وتونس وغيرها ، وأصبح العالم العربى كالطائر الخفاق يبسط جناحين عظيمين ، احدهما يمتد الى المشرق والآخر الى المغرب ، وكانت نقطة الاتصال بين الجناحين العظيمين هذا الوادي الخصيب من بلاد النيل ، الذى يلتقى فيه ابناء العروبة من جميع الاقطار

ازدهرت هذه المراكز المغربية ، ولمعت فيها أسماء ساطعة فى ضروب الفنون المختلفة من ادب وعلم وفلسفة ، وصارت لهم فى كثير من الشئون الثقافية آراء ومذاهب خاصة بهم ، وأصبح الناس يتحدثون ويقارنون بين مذاهب المشارقة والمغاربة ، وامتاز الجناح الشرقى للعالم العربى بميزات والجناح الغربى بميزات .. وانفردت مصر بأنها ليست من المشرق ولا من المغرب ، وانما هى حلقة الاتصال ، يؤمها العلماء والفقهاء والادباء من المشرق والمغرب ، فيلقون فيها رحالهم ويتخذون من أرضها مجالا جديدا لنشر علومهم ، فكانت بذلك وسيلة للتقريب بين العلماء والأدباء ، وعاملا قويا فى تقوية الصلات بين الجناح الشرقى والجناح الغربى ، وكان من حسن الحظ ان مصر واقعة على طريق الحج بالنسبة لهذا العالم المغربى العظيم ، ولم يكن بد من ان يجد العلماء من أمثال ابن خلدون فرصة للالتقاء بعلماء من المشرق ، وان يقضوا فيها على الرحب والسعة فترة من الزمن قد تطول او لا تطول

ولكنها على كل حال كافية لتعريف المشارقة بالمغاربة ، وإطلاع كل فريق على النتاج العقلى للفريق الآخر

ولا شك أن هذا الاتصال بين المشرق والمغرب قد أثمر أجل الثمار، اذ ساعد على مبادلة الرأى والابتكار وافساح مجال جديد فى التفكير ، وتوسيع عظيم للأفق الثقافى . وقد استطاعت مصر ان تؤدى هذه الخدمة بحكم موقعها الجغرافى ؛ وقد لا يكون للمصريين انفسهم فضل كبير فى ذلك ، سوى أنهم يسروا لبلادهم ان تؤدى وظيفتها الطبيعية على الوجه الأكمل ، وبذلوا فى سبيل ذلك ما وسعهم من المعاونة الصادقة

وقد ساعدت ظروف الموقع على ان تؤدى مصرللعروبة خدمة أخرى، وذلك انها كانت مركزا لانتشار العروبة فى اعالى النيل ، فان اتصالها القديم بجنوب الوادى ، جعل مثل هذا الانتشار حادثا طبيعيا حتميا.

وقد زحفت القبائل العربية قحطانيها وعدنانيها من الشمال الى الجنوب على جانبى النيل ، ولم تكد تتجاوز اقليم النوبة حتى انتشرت فى جميع الأرجاء ، وأتاحت للعروبة أوطانا واسعة شاسعة واقاليم جديدة فى القارة الافريقية

وهكذا شاءت الظروف الطبيعية ان تجعل من مصر الخادم الاول للعروبة ، وهذا الواجب المقدس لم ينهض به أبناء مصر وحدهم ، بل شاركهم فى ذلك أفواج من ابناء الأقطار الشقيقة ، على شرط أن ينزلوا مصر ويستوطنوها ويتخذوها محلا مختارا . وهؤلاء قلما يستطيعون ان يؤدوا للعروبة الخدمة الواجبة وهم فى ديارهم ، ولكنهم لا يلبثون ان ينزلوا على ضفاف النيل ، حتى يسمع بهم العالم العربى كله ، وحتى تنتشر آثارهم فى الشرق والغرب .

وقد اسس الجامع الأزهر منذ اكثر من الف عام ، كما أنشىء غيره من دورالعلم والثقافة العربية فىالمشارق والمغارب ، انشأته اسرة غريبة عن مصر ، ولعلها أن تكون قد أنشأت غيره فى بلاد المغرب . ولكن الأزهر وحده دون الجامعات العربية ، هو الذى انتشر نفوذه الى جميع الأقطار التى تمت الى العروبة بصلة ، وهو وحده الذى كتب له العمر الطويل على مدى القرون والأجيال ، وعلى الرغم من تتابع الخطوب وتقلبات الحدثان

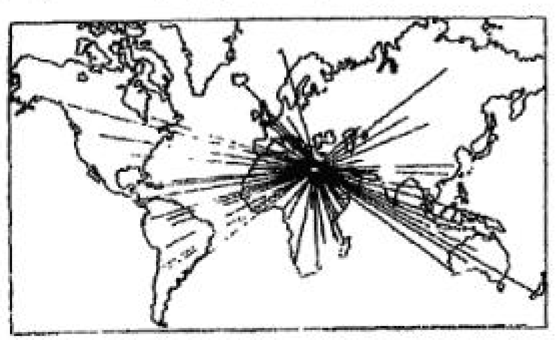
وليس من الضرورىان يكون أبناء مصر أنفسهم هم الذين يحملون رسالة العروبة الى سائر الاقطار ، بل ينهض بحمل هذه الرسالة أفواج من أبناء الاقطار العربية والاسلامية بل وأفراد من الاوربيين أحيانا.ومع ذلك فاننا فى العصر الحديث قد شاهدنا ظاهرة جديدة ، وهى التعاون الثقافى المنظم بين مصر والاقطار العربية الاخرى. وأصبحنا نشهد المئات ، ولعلهم الآن قد تجاوزوا الألف ، منأبناء مصر وبناتها ينتقلون افواجا الى البلاد العربية الشقيقة ، والى بعض الاقطار

الاسلامية ، لكى يقدموا لشباب هذه البلاد ما وسعهم من عناصر الثقافة العربية والغربية ، هـذا النشاط الجديد اخـذ يظهر شيئا فشيئا بعد الحرب العالمية الاولى . واذكر اننا فى ذلك الوقت احتفلنا بطالب من دار العلوم انتدب لتدريس اللغة العربية فى سنغافورة وكنا فى ذلك الوقت نرى هذا شيئا عجيبا. غير ان هذه الحالات الفردية لم تلبث أن نمت وتناولت اقطارا عديدة ، ثم ازدادت هـذه الحركة ازديادا عظيما بعد نهاية الحرب الاخيرة . واصبحت مصر لاتكتفى بأن تستقبل أبناء العروبة فى معاهدها ، بل ارسلت أبناءها الى مختلف الاقطار العربية والاسلامية

وقد نما السكان فى مصر نموا عظيما فى عشرات السنين الاخيرة ، وبذلك اصبحت مصر سوقا عظيما للغلات المادية والادبية ، وصارت ميدانا كبيرا للنشاط الثقافى بفضل هذا العدد الكبير من القراء والطلاب والباحثين . وكل هذه الظروف قد مكنت لمصر من انشاء المطابع والصحف والمجلات ، وامكن لدور النشر ان تضارع فى جمال انتاجها دور النشر فى الأقطار المتقدمة . وبذلك نشأت بمصر صحافة عربية من الطراز الممتاز ، تجمع بين سمو المادة الثقافية ، وجمال الاخراج . وهذه من غير شك خدمة عظيمة قدمتها مصر للعروبة ، ولا تزال تقدمها لهم فى كل صباح ومساء

وان مصر لتفخر بأن هذا الجهاز الثقافى العظيم ، لم ينهض به أبناء مصر وحدهم ، بل ساهم فى انشائه وتدعيمه فوج عظيم من أخوانهم من ابناء الأقطار العربية الشقيقة . وذلك لان رسالة مصر هى خدمة العروبة بالتعاون مع جميع أبنائها

لقد كان جرجى زيدان رجلا عظيما من غير شك ، ورسولا من اعظم رسل الثقافة العربية ، ولكنى لا أستطيع أن أتصور أن تنشأ دار الهلال ، وتبلغ الشأو الذى بلغته فى قطر آخر غير مصر ، لأن مصر هى الخادم الاول للعروبة ، والتى تحمل لواء التعاون الوثيق بين جميع الاقطار منذ زمن بعيد .. وهـذا واجبها الذى يفرضه عليها موقعها الجغرافى وسط العالم العربى



« ان حب المسلمين العرب واعظامهم اياهم وتطلعهم اليهم ، ليحمل العرب تبعات جساما واعباء ثقالا »

مكانة العرب بين الامم الاسلامية

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام
سفير مصر فى المملكة السعودية

الاسلام والعـروبة .. كلمتـان مصطلحبتان متصادفتان متلازمتان .. مرت صحبتهما وصداقتهمـا ، بحقب طويلة ، وخطوب شديدة ، وغير كثيرة .. فلم تهنا ولم تتفرقا

للعرب قبل الاسلام تاريخ فيـه حضارة واسعة ، وفيه مجدوعظمة فى جزيرة العرب وما يتصل بها من بابل واشور وغيرهما . وللعـرب قبل الاسلام اخلاق ومكارم ومآثر ولكن تاريخ العرب الحق ، ومجدهم الأعظم ، ومكانتهم فى الانسانيـة ، وآثارهم الخالدة .. كل اولئك يبدأ مع الاسـلام ، ويعظـم بالاسـلام ، ويدوم وينمو ويزداد عظمـة وبهجـة ما بقى فى صحبة الاسلام وكفالته

والاسلام دين انسانى عظيم ، جاء به خـاتم النبيين الذى بعث رحمة للعالمين . وهو دين يكره للحدود ، حدود الاقوام ، وحدود الاوطان ، ويدعو الى اخوة البشر كلهم وتعاون الامم جميعا ، لا يخص قبيلا دون قبيل ، ولا يميز امة على امة . ولكن الله اختار لرسـالته نبيا من العرب ، فأدوا امانته وبلغوا رسالته ، وجاهدوا لحمل الامانة ، وتبليغ الرسـالة ، فى الشرق والغرب ، واحتملوا من النصب والعناء والاغتراب، ولقوا من السيوف والحتوف ، ما كانوا اكفاءه بل اكبر منه ، فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله ، وما ضـعفوا وما استكانوا . والله يحب الصابرين

حملوا هذه الرسالة العظيمة ما بين الصين فى الشرق وفرنسـا فى الغـرب ، وبلغوا فى الشمال والجنوب بلادا قاصية وفيافى نائيـة ..

ولم يعرف التاريخ لغير الاسلام ، ولم يشهد لغير العرب المسلمين ، هـذه الهمة التى لا تحد ، وهذه العزيمـة التى لا تقهر ، وهذا الجهاد الذى لا يفتر ،

الاستاذ عبد الوهاب عزام

وهـذا الاخـلاص فى الحق ، والاستشهاد فى سبيله ، وماعرف العالم دعوة كالاسلام خلطت الامم امة واحدة ، وجعلت الاوطان وطنا واحدا ، ولا عرف كالعـرب دعاة جمعوا الامم فى عدل الله واخـوة الحق ، لا يفرقون بين قبيل وقبيل ولا يميـزون لونا من لون ، بل شعارهم قول القرآن الكريم :

« يا أيها الناس انما خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شـعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

خالطوا الامم ، فخلطوا بعضها ببعض فجعلوها امة واحدة تنتشر من اقصى الشرق الى اقصى المغرب شعارها : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله »

وان فى الاسـلام والعروبة لمثلا عاليا للمذاهب والامم ، يرى فيهما البشر كيف يسير الحق القوى ، والمذهب القويم ، فى حضانة امة قوية قويمة مخلصة ، فتغير سير الزمان ، وتبدل مجرى التاريخ ، وتعلو على الحـدود والقيود الى المثل العليا التى لا تخص جيلا ولا قبيلا ، بل تعم الناس جميعا

حفظ المسلمون للعـرب انهم سبقوا الى حمـل الامانة واداء الرسـالة ، فقرنوا ذكرهم بذكر الاسلام ، وعظموهم واحبـوهم ، واتخذوهم مثلا عاليا واسوة حسنة

وان حب المسـلمين العـرب واعظامهم اياهم ، وتطلعهم اليهم ليحمل العرب تبعات جساما واعباء ثقالا :

على العـرب ان يعرفوا صلتهم بالاسـلام ، ومكانتهم بين المسلمين فيجعلوا أنفسهم قدوة حسـنة ، واسوة طيبة . فان حسنتهم عنـد المسلمين حسنات ، وسيئتهم فى أعين المسلمين سيئات . وهم اولى بالامامة والهداية ، والمسلمون يتطلعون كل حـين الى امامتهم وهـدايتهم ، فليكونوا أهـلا للامامة ، حقيقين بالهداية وجديرين بأن يحققوا فيهم رجاء اخوانهم ، ويصدقوا ظنهم ، ويعلموهم انهم كما عهدوا حفاظ القرآن ، وحماة الاسلام

على العـرب ان يجزوا المسلمين عنـاية بعنـاية ، وودا بود ، ونصرا بنصر . والا يألوا جهدا فى رعايتهم والاهتمام بهـم ، على العلات وعلى كثرة العقبات !

أيها العرب : هـذا مكانكم من التاريخ ، وهذه مكانتكم بين الدول الاسلامية ، تخفق بحبكم قلوبها ، وتنصركم السنتها ، وتود أن تنصركم أفعالها ، وتطمح اليكم عيونها ، ويسمو اليكم رجاؤها . فكونوا أهلا للرجاء. واعرفوا حقكم وواجبكم ، وما ألقى عليكم الاسلام والتاريخ من تبعات. واذكروا قول القرآن فى سلفكم :

« والزمهم كلمة التقوى . وكانوا احق بها وأهلها ، وكان الله بما تعملون بصيرا »

• لقد بذل المستشرقون جهودا كبيرة فى دراسة ما خلفه العلماء المسلمون من ذخائر ومصنفات فى الادب والفقه والتاريخ والجغرافيا والفنون والعلوم •

اهتمام الغرب بالحضارة الاسلامية

بقلم الدكتور محمد مصطفى

مدير متحف الفن الاسلامى

عنى الغرب بشئون الاسلام منذ بدا الغرب يتطلع الى المدنية والثقافة والحضارة . وقد ازدهرت الحضارة اليونانية ، ثم الرومانية ، فى الجنوب الشرقى لاوربا ، ولكنها تركزت فى حوض البحر الابيض المتوسط ، ولم تنتشر فى أواسط أوربا أو شمالها فبقيت تلك البلاد متخلفة زمنا طويلا

ثم انتشرت الحضارة الاسلامية فى الجزء الاكبر من العالم الذى كان معروفا فى فجر الاسلام ، وانبسطت الامبراطورية الاسلامية من اقاصى الهند شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ومن بلاد القوقاز شمالا الى أواسط افريقيا جنوبا ، فاتيح للمسلمين أن يسودوا فى البر والبحر ، وان يتسع نطاق تجارتهم اتساعا عظيما لم يبلغه اى شعب آخر قبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وامريكا فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى

وكان من الطبيعى أن تجوب قوافل التجار المسلمين فى بلاد الفولجا واواسط أوربا ، بل شمالها ايضا ، كما تدل على ذلك قطع العملة الاسلامية الكثيرة التى ترجع الى القرون الخمسة الاولى للهجرة ، والتى عثر عليها فى روسيا وفنلندا والسويد والنرويج وغير ذلك من البلاد الاوربية ، مما يشهد بما كان للمسلمين من نفوذ تجارى فى تلك البلاد . فكان التجار يجلبون من أوربا أنواع الفراء والجلود والسيوف والدروع والاغنام ، ويحملون اليها ما يرد من الصين والهند من أصناف التوابل والمسك والعود والكافور ، أو ما يصنع فى مصر وبلاد الشرق الادنى من التحف المعدنية والمنسوجات

وكان من الطبيعى أن يعنى المؤرخون والجغرافيون المسلمون بشئون بلاد الغرب ، فيسافروا اليها ليستطلعوا أمورها ويكتبوا عنها فى مؤلفاتهم عن التاريخ وعلم تقويم

البلدان ، فكانوا بذلك يعتمدون فيما يكتبونه على الرحلة والمشاهدة ، واصبحت كتبهم مراجع نستقي منها الآن أخبار البلاد الاوربية ، وماكانت عليه في تلك العصور

وصاحب كتاب الاعلاق النفيسة ـ ابن رسته ـ كان من أوائل الرحالة المسلمين الذين وصفوا بلاد جنوبي روسيا وأواسط أوربا ، وما كانت عليه في حوالي سنة ٢٩٠هـ(٩٠٢م) ثم تلاه ابن فضلان الذي سافر في سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١م) مبعوثا من الخليفة العباسي المقتدر بالله الى ملك البلغار في جنوبي روسيا ، وكان قد أسلم وبعث الى الخليفة يطلب من يفقهه ويعلمه شرائع الاسلام

واختار روجر الثاني ، ملك صقلية الشريف الادريسي ليؤلف له كتابا في علم تقويم البلدان ، فوضع له كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وانتهى من تأليفه في سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٤م) ، فكان هـذا بمثابة اعتراف بما للمسلمين من تفوق علمي في ذلك العصر . وظل هـذا الكتاب مرجعا يعتمد عليه في الدراسة في أوربا حتى القرن الثامن عشر . وطاف الادريسي في بلاد الاندلس وشمال افريقيا وآسيا الصغرى ، كما يقال أنه زار فرنسا وانجلترا . وقد تبعه الى هذه المناطق الشمالية الجغرافي القزويني ، صاحب كتاب عجائب المخلوقات ، في رحلة قام بها في فرنسا والمانيا وهولنده في القرن السابع الهجري (١٣ م) والف عنها



لوحة للسلطان قانصوه الغوري وعلى رأسه عمامة يخرج منها قرنان ، بريشة جان تينو احد أعضاء البعثة التي أرسلها اليه لويس الثاني عشر ملك فرنسا

كتابا سماه آثار البلاد وأخبار العباد

□

وهكذا بدأ الاتصال بين الغرب والاسلام ، حين تطلع الغرب الى مدنية الشرق ، ثم الى ثقافته وحضارته ، وأخذ يعجب بالمدنية الاسلامية ويتغنى بما تنتجه من تحف ومنسوجات ، وينهل من ينابيع الثقافة والحضارة الاسلامية عن طريق صقلية وايطاليا والاندلس مما نجد أثره واضحا في كتب الادب والفلسفة والعلوم الاوربية

وبدأت الحركات السياسية القومية في أوربا في القرن السادس الهجري (١٢م) واستقلت فرنسا وايطاليا وغيرهما من البلاد ، من الدولة الرومانية الشرقية ، وزاد اهتمام

الغرب بالشرق وحاولوا الاستيلاء على الاماكن المقدسة ، فاشتعلت نيران الحروب الصليبية ، ثم انتهت هذه الحروب وانقشعت عن علاقات أوثق لما كان بين الغرب والشرق من روابط الثقافة والحضارة

ودار الدهر دورته ، واخذت هذه الدول الاوربية الغنية تقوى وتنمو وتبحث عن مناطق نفوذ لها ، وعن طريق يوصلها راسا الى بلاد الشرق الاقصى ، حيث توجد كنوز اللؤلؤ والجواهر والاحجار الكريمة والتوابل والمسك والعود والكافور ، دون ان تلجأ فى الحصول عليها الى وساطة



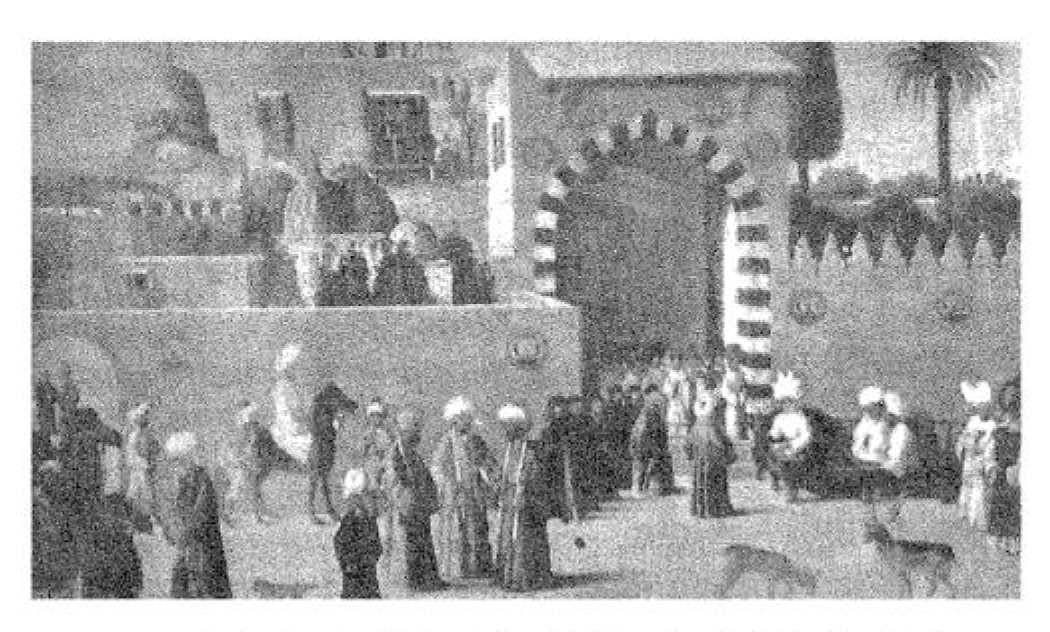
السلطان قايتباى يلبس العمامة التى تحليها القرون الطوال ، وقد شاع استعمالها فى عصره ولبسها امراء المماليك وسلاطينهم فى ذلك العصر

البلاد الاسلامية ، وتخضع لما يفرض على تجارتها من مكوس باهظة

وبدأ عصر الرحلات والاسفار من الغرب الى الشرق ، فسافر ماركو بولو - الذى ولد فى مدينة البندقية سنة ١٢٥٤ م - الى الهند والصين عن طريق آسيا الصغرى وشمالى العراق ، وكتب عن رحلته هذه سفرا كبيرا . ثم جاء فاسكو دى جاما من البرتغال ، فاكتشف طريق راس الرجاء الصالح فى سنة ١٤٩٧ وأصاب بذلك دولة المماليك فى مصر بضربة قضت على اقتصادياتها وايراداتها ، اذ تحولت الى هذا الطريق تجارة البهار من الشرق الاقصى الى أوربا ، بدلا من مرورها بمصر ، فخسرت مصر ما كانت تجبيه من ضرائب باهظة كانت تؤلف الجانب الاكبر من ايرادات الدولة

وكثر الرحالة الغربيون الى بلاد الشرق ، كما كثر ما كتبوه فى وصف هذه البلاد ، جاء بعضهم يقصد الحج الى الاماكن المقدسة ، وجاء البعض الآخر فى بعثات سياسية ليؤكد صداقة ملوك الغرب لسلاطين الشرق

ومن بين الحجاج الذين وفدوا الى الشرق ، الفارس الالمانى ارنولد فون هارف ، جاء يقصد الحج الى بيت المقدس فى رحلة طويلة استغرقت ثلاث سنوات (١٤٩٦ - ١٤٩٩) ، زار خلالها مصر واثيوبيا وفلسطين



السلطان الاشرف قانصوه الغورى يستقبل بعثة أهل البندقية وقد جلس فى الحوش السلطانى بقلعة القاهرة ووقف الى اليسار أعضاء البعثة . وهذه الصورة محفوظة بمتحف اللوفر فى باريس وهى من رسم احد مصورى مدرسة البندقية

وبعض البلاد الاخرى ، واثبت مشاهداته وتجاربه فى كتاب باللغة الالمانية بلهجة سكان منطقة الرين . ومن طريف ما يرويه هذا الرحالة انه قابل فى مصر بعض المماليك من مواطنيه الذين حافظوا على تقاليد بلادهم ، فاستضافوه فى منزلهم وقدموا له شراب البيرة المصنوعة على الطريقة الالمانية

▭

وكان سلطان مصر الاشرف قانصوه الغورى غاضبا على الفرنج، حتى ساءت العلاقات السياسية بينه وبينهم ، بسبب سقوط غرناطة فى ايديهم فى سنة ١٤٩٢ ، وعلى الاخص لتحول تجارة البهار عن مصر الى طريق راس الرجاء الصالح ، وما اصابه من خسائر فادحة نتيجة لذلك . فجاءت الى مصر بعثتان سياسيتان لاسترضاء السلطان وتأكيد الصداقة له:احداهما أوفدها ملك فرنسا لويس الثانى عشر فى شهر مارس سنة ١٥١٢ ، وعلى راسها سفيره اندريه لوروا . وكان بين اعضاء هذه البعثة اديب اسمه جان تينو ، كتب وصفا مسهبا لرحلتهم الى مصر ، ورسم صورة للسلطان الغورى وعلى راسه عمامة يخرج منها « قرنان »

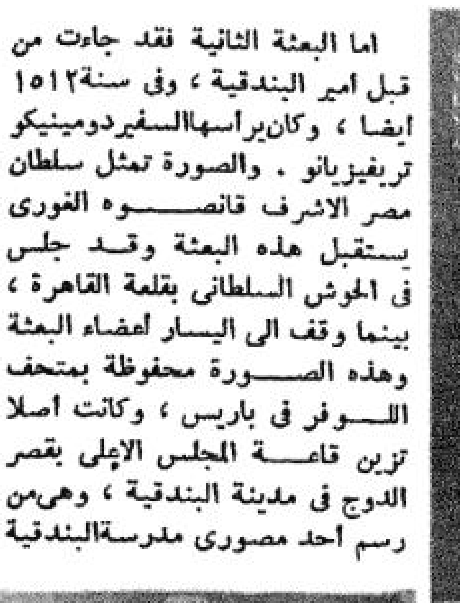
وقد كانت التخافيف ــ العمائم التى تحليها «القرون» الطوال ــ زيا جديدا ابتدع فى عصر السلطان



صورة اخرى للسلطان الغورى وهي من رسم احد مصورى مدرسة البندقية

قايتباى ، ولبسها امراء المماليك وسلاطينهم . ويتندر المؤرخ المصرى ابن اياس بهذه « التخافيف التى بالقرون الطوال » ويقول أن الامراء المقدمين اقبلوا على لبسها حتى «خرجوا فى ذلك عن الحد» وأورد البيتين الآتيين فى وصف ذلك :

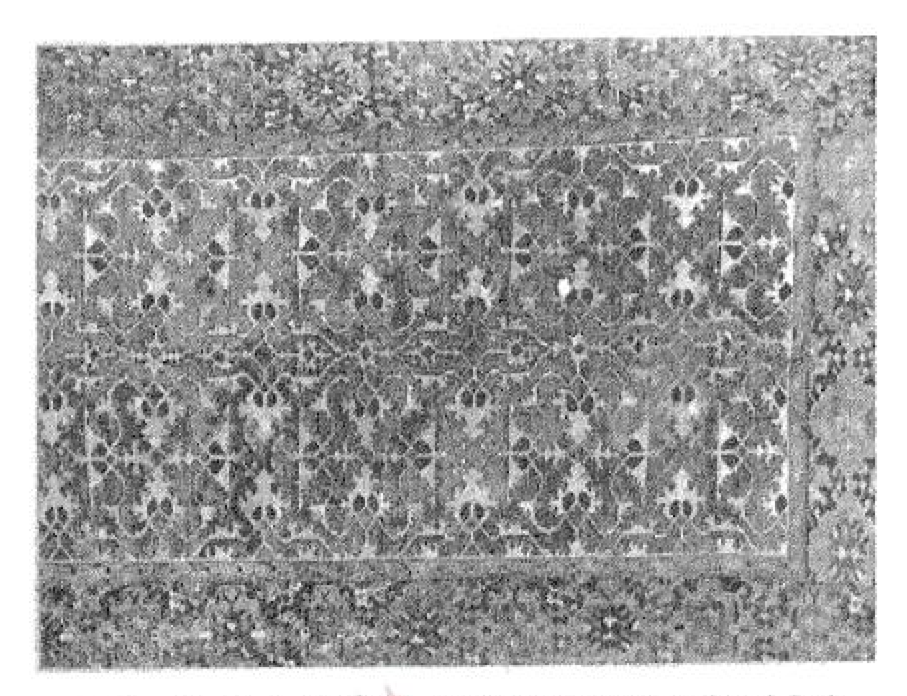
يقول اميرنا لما تبدا
انا فى الحرب ذو القرنين دعنى
انا كبش واعداى نعاج
اذا برزوا فانطحهم بقرنى



اما البعثة الثانية فقد جاءت من قبل امير البندقية ، وفى سنة ١٥١٢ ايضا ، وكان يرأسها السفير دومينيكو تريفيزيانو . والصورة تمثل سلطان مصر الاشرف قانصوه الغورى يستقبل هذه البعثة وقد جلس فى الحوش السلطانى بقلعة القاهرة ، بينما وقف الى اليسار أعضاء البعثة وهذه الصورة محفوظة بمتحف اللوفر فى باريس ، وكانت أصلا تزين قاعة المجلس الاعلى بقصر الدوج فى مدينة البندقية ، وهى من رسم أحد مصورى مدرسة البندقية



صورة السلطان صلاح الدين الايوبى وهى من رسم أحد مصورى مدرسة البندقية



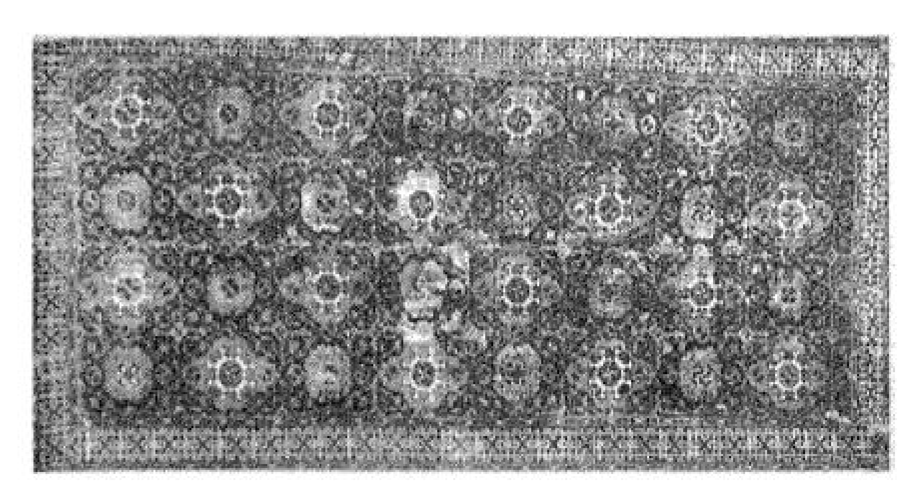
لوحة لسجادة من صناعة آسيا الصغرى فى أوائل القرن السادس عشر من رسم المصور « هولباين » الذى كان يعجب بهذا النوع من السجاد الشرقى

ومتأثرة بأسلوب المصور بلليني . والمعروف ان المصور جنتيلي بلليني رسم الكثير من صور سلاطين مصر وتركيا ، كما رسم لوحات اخرى يظهر فيها الاشخاص بملابس شرقية وتنسب الى هذه المدرسة أيضا صورة السلطان الغورى وصورة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وهذه بلاشك خيالية

وعلى ذكر المصورين الغربيين الذين استهوتهم فنون الاسلام وأزياؤه ، ننشر هنا صورتين لسجادتين من صناعة آسيا الصغرى فى أوائل القرن السادس عشر ، تنسبان للمصور هولباين ، لانه أعجب برسوم هذا النوع من السجاد فكان يرسمه فى لوحاته كغطاء للمائدة أو أرضية تحت قدمى صورة العذراء وحذا حذو هولباين فى ذلك غيره من مصورى عصر النهضة الاوربية أمثال جرلندايو وفان أيك ومملنج وغيرهم من الفنانين

□

اما فى العصر الحديث ، عصر المادية والاستعمار ، فان عناية الغرب بشئون الاسلام كان أساسها الاغراض



لوحة لسجادة اخرى من رسم المصور « هولباين » الذى كان يعجب بالفن الشرقى فى هذا النوع من السجاد

السياسيه ، حتى يستطيع الغرب ان يحل مكان « الرجل الهرم المريض » فى سيطرته على البلاد الاسلامية . ولكننا لا نستطيع سوى أن نشيد بجهود العلماء الذين رافقوا نابليون بونابرت فى حملته الى مصر ، وكتبوا المؤلفات الضخمة فى وصف مصر وجغرافيتها وآثارها وتقاليد اهلها وكل ما يتعلق بنواحى الحياة الاجتماعية فيها ، فانهم حفظوا لنا تفاصيل فترة تحول فى تاريخ بلادنا

وجاء « المستشرقون » بعد ذلك ، وبذلوا جهودا كبيرة فى دراسة ما خلفه العلماء المسلمون من ذخائر ومصنفات ، فى الادب والفقه والتاريخ والجغرافيا والفنون والعلوم ، وما انفرد المسلمون بترجمته من الكتب اليونانية ، التى ضاعت أصولها ، فى الفلسفة والطب والفلك وغير ذلك من العلوم . واذا كان قلة من هؤلاء قد أعماهم التعصب ودفعهم الى قلب بعض الحقائق ، فاننا لا ننكر انهم قد دفعونا ايضا الى العناية بدراسة تاريخ حضارتنا بطريقة علمية صحيحة

ولكن جيل القرن العشرين من المستشرقين ، يقبلون على دراسة الحضارة الاسلامية دراسة علمية تدفعهم اليها الرغبة والاعجاب وروح التعاون . وحسبنا ان نذكر — على سبيل المثال — ما صنفوه فى تاريخ الفنون الاسلامية ، مما يعتبر الآن مراجع لاغنى لنا عنها

ومن يدرى فقد يدور الدهر دورة أخرى !

زعيمات

فى ميادين الفكر والاجتماع

ان هذا النجاح الباهر الذى بلغته الحركة النسائية فى مصر والشرق العربى ، وتجلت مظاهره فى مختلف ميادين العلم والادب والفن والاجتماع وغيرها .. لا شك ان الفضل الاول فيه يرجع الى المثقفات الاوليات اللاتى تولين هذه الحركة منذ نشأتها بالتعهد والرعاية ، وكن رائداتها وقائداتها . وفيما يلى نقدم خمساً من هؤلاء القائدات المجاهدات

عائشة تيمور

كانت فى منتصف العقد الرابع من عمرها حينما توفى زوجها ، بعد عشرين عاما من حياة زوجية موفقة حافلة بزينة الحياة الدنيا من المال والبنين . وكان والدها قد توفى قبل ذلك بسنوات ، فلم تجد ما تتعزى به فى فقد الزوج والوالد الا مضاعفة العناية بتربية اولادها ، ومعاودة مطالعة كتب الأدب ودواوين الشعر ، واستكمال تعلم العروض وعلوم اللغة . وكانت قد بدأت ذلك قبل زواجها ، حيث حفظت القرآن الكريم ، ودرست قواعد اللغتين العربية والفارسية ، بجانب تعلمها فن التطريز

وبلغت بفضل ذكائها واجتهادها درجة أهلتها لنظم كثير من القصائد الجيدة فى مختلف الموضوعات ، كما انشأت كثيرا من الرسائل النثرية البليغة فى مختلف المناسبات ، وضمنتها طائفة من الآراء السديدة والنظرات التى استخلصتها من مطالعاتها وتجاربها . ثم شاء القدر فابتلاها بفقد كبرى بناتها وهى تستعد لزفافها ، فاسقمها الحزن ، وانشأت كثيرا من القصائد فى رثاء ابنتها العزيزة . وبعد سنوات أخرجت ديوان شعر تركى طبع فى تركيا ، وديوان شعر عربى طبع بمصر وسمته « حلية الطراز » كما نشرت رسالة اخرى فى مصر سمتها «نتائج الاحوال » . وهذا كله عدا المقالات الاجتماعية التى نشرت لها ، ونادت فى احداها بوجوب تربية البنات ، وقد عاشت عائشة حوالى ٦٢ عاما ، وتوفيت سنة ١٩٠٢

وردة اليازجي

كان ديوانها « حديقة الورد » اول ديوان طبع لشاعرة عربية ، بعد عائشة التيمورية ، اذ طبع لاول مرة فى سنة ١٨٦٧ ببيروت بعد سنة من زواجها ، وكانت يومئذ فى الرابعة عشرة من عمرها. ولا عجب فى أن تنبغ مثلها فى الشعر والنثر ، فابوها هو الشاعر العربى الكبير الشيخ ناصيف اليازجي ، كما كان زوجها فرنسيس شمعون من خيرة المعلمين الأدباء فى ذلك العصر

وفى سنة ١٨٩٩ هاجرت من لبنان الى مصر بعد وفاة زوجها ، وأقامت وأولادها فى الاسكندرية ، ولبثت فيها حتى توفيت فى الحادية والاربعين من عمرها.

وقد طبع ديوانها مرة ثانية سنة ١٨٨٧ ، ثم مرة ثالثة سنة ١٩١٤

وكانت قبل نزوحها الى مصر تتبادل الرسائل مع السيدة عائشة التيمورية ، وقد نوهت عائشة بها فى مقدمة ديوانها

ومما يؤثر عن وردة اليازجي أنها نشرت مقالا فى جريدة « الضياء » التى كانت تصدر فى مصر ، نددت فيه بتقليد المرأة الشرقية لزميلتها الغربية فى شئون الأزياء وفى التخاطب باللغة الاجنبية بدلا من العربية

باحثة البادية

حينما سمحت وزارة المعارف المصرية بتقدم الفتيات لامتحان الشهادة الابتدائية لاول مرة سنة ١٩٠٠ ، كانت «ملك حفنى ناصف » أول فتاة مصرية نجحت فى هذا الامتحان .

وكانت يومئذ فى الرابعة عشرة من عمرها . ثم حصلت على الدبلوم بعد ذلك بثلاث سنوات وعينت معلمة بالمدرسة السنية التى أتمت تعليمها فيها ، بعد أن بدأت حياتها التعليمية فى مدرسة فرنسية

وبدأت ملك منذ ذلك الحين تنشر فى « المؤيد » و « الجريدة » قصائد وبحوثا بتوقيع « باحثة البادية » الذى اشتهرت به . كما انشأت جمعية النساء التهذيبية» وأعدت مشروعا لانشاء مشغل للفتيات الفقيرات يتعلمن فيه ما يعينهن على الحياة فى مستقبلهن . كما أعدت مشروعا آخر لاقامة ملجأ للنساء العاجزات المحتاجات ، وجعلت من منزلها مدرسة خاصة لتعليم التمريض. وفى الوقت نفسه اخذت تلقى الخطب والمحاضرات

وبعد زواجها بثلاث سنوات ، اخرجت كتابا سمته « النسائيات »

وكانت وفاتها سنة ١٩١٨ ولما تجاوز من عمرها الثانية والثلاثين

مى زيادة



بدأت حياتها الادبية بنظم الشعر باللغة الفرنسية التى تعلمتها حيث نشأت فى لبنان . . وحينما هاجر والدها المرحوم الاستاذ الياس زيادة الى مصر وأصدر جريدة « المحروسة » ، كانت قد برعت فى الكتابة باللغة العربية أيضا. فنشرت فيها مقالات عدة وقدمتها باسم « مى » وهو مقتبس من اسمها « ماري » . فاشتهرت بذلك الاسم والتحقت بقسم الآداب فى الجامعة المصرية القديمة حيث درست تاريخ الدول الاسلامية والفلسفة وتاريخ الادب العربى . ثم تعلمت اللغات الايطالية والاسبانية والالمانية ، والفرنسية والانجليزية . وابدت نشاطا ممتازا فى علاج مختلف المشكلات الانسانية والادبية والاجتماعية بالقاء الخطب والبحوث والمحاضرات

ولم تنس « مى » بحث النهضة النسوية فى مصر فأرخت لها فيما كتبته عن عائشة التيمورية ووردة اليازجى وملك حفنى ناصف . وبقيت على اتصال بأقطاب الادب فى البلاد العربية والمهجر ، الى ان دهمتها العلل ، فاعتزلت العلاج بلبنان ومصر . ثم ماتت سنة ١٩٤١

هدى شعراوى

عرفت منذ فجر شبابها بالذكاء المتقد والثقافة الواسعة والمساهمة فى الدعوة الى الاصلاح الاجتماعى بنصيب كبير . وكان لها اشتراك عملى مشكور فى الاعداد لثورة الشعب فى سبيل الحرية والاستقلال سنة ١٩١٩ ، ولا عجب فقد كان زوجها المرحوم على شعراوى أحد الزعماء الثلاثة الذين بدأوا هذه الثورة . وقد اختيرت رئيسة للجنة الوفد المركزية للسيدات ، وعقد لها لواء الزعامة النسوية فى مصر ، اعترافا بما قدمته قبل ذلك من معاونات كبيرة مادية وأدبية لمختلف المشروعات النسوية الاصلاحية

والى هذه الزعيمة يرجع الفضل الاكبر فى تنظيم الحركة النسائية فى مصر والبلاد العربية ، فقد الفت الاتحاد النسائى المصرى سنة ١٩٢٢ واشتركت فى المؤتمرات النسوية العالمية ، وانشأت كثيرا من المؤسسات لخدمة بنات الشعب الفقيرات

وكان آخر أعمالها تأليف لجان لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بصون حقوق العرب فى فلسطين ، وفاجأتها المنية سنة ١٩٤٧ بينما كانت تستعد لعقد الاجتماع الاول لهذه اللجان

عنى الشيخ محمد عبده بنواح ثلاث من نواحي الاصلاح : الاصلاح الدينى ، واصلاح اللغة العربية ، والاصلاح السياسى

امام القرن العشرين

الشيخ محمد عبده

بقلم الأستاذ على عبد الرازق

وزير الأوقاف السابق

كتب الشيخ محمد عبده نبذة الم فيها بشيء من تاريخ حياته . وقد بين فيها مذهبه فى الاصلاح ورايه فى الحياة بيانا كافيا فقال : « ارتفع صوتى بالدعوة الى امرين عظيمين : الاول .. تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الامة ، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى .. واما الأمر الثانى .. فهو اصلاح اسلوب اللغة العربية فى التحرير . وهناك امر كنت من دعاته والناس جميعا فى عمى منه ، وبعد عن تعقله

« ذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة

« جهرنا بهذا القول والاستبداد فى عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه، ويد الظالم من حديد ، والنا س كلهم عبيد له اى عبيد »

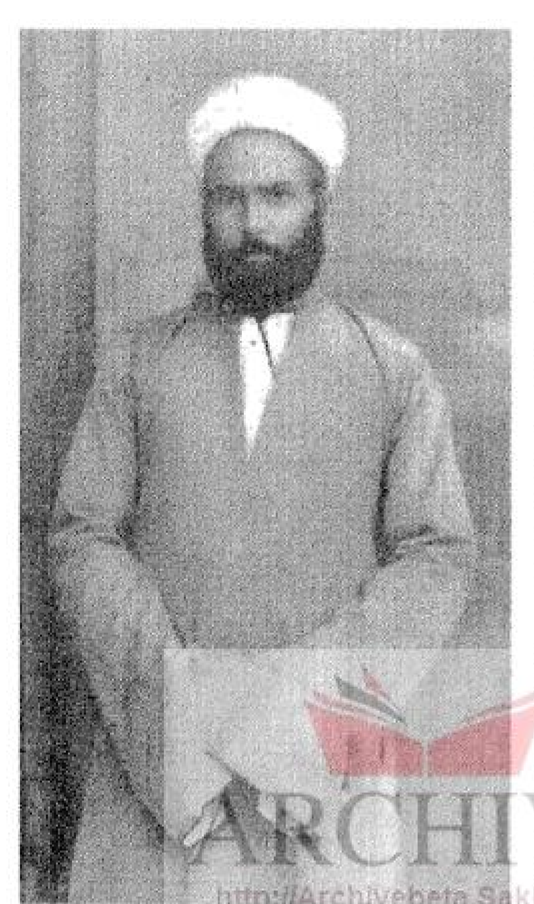
بهذه الكلمات جمع الشيخ محمد عبده مذهبه تحت ثلاثة عناوين :

الاول : الاصلاح الدينى

والثانى : اصلاح اللغة العربية

والثالث : الاصلاح السياسى

اما الاصلاح الدينى .. فقد كان اول اغراضه واهم ما شغل قلبه واستنفد جهده .. ويقول تلميذه الشيخ مصطفى عبد الرازق : « ان وجهته فى الاصلاح الدينى مظهر شخصيته ومركز الدائرة فى تفكيره وعمله » . جريدة السياسة ١١ يوليه سنة ١٩٢٢


الشيخ محمد عبده اثناء نفيه فى الشام

كانت وسائل الشيخ فى هذا الاصلاح متعددة . وربما كان اقواها وابعدها اثرا عنايته بتفسير القرآن عناية تكاد تستغرق كل مجهوده ، ودروسه فى تفسير القرآن كانت حاشدة يتوافد عليها الطلاب من كل ناحية . وكان الشيخ يصدع فيها بالدعوة الى تحرير الفكر من قيد التقليد ، والى التوفيق بين العقل والدين . ولا جرم ان اثر هذه الدروس كان بعيدا وداويا وكان عمله فيها ناجحا

ومن اظهر وسائل الاصلاح الدينى عمله على اصلاح الجامع الأزهر . ولقد حاول الشيخ ذلك جهد المستميت واحتمل فيه اذى كثيرا . ولكنه بقى يثابر ويكافح حتى الجىء الى الاستقالة من مجلس ادارة الأزهر اضطرارا ، واوصد فى وجهه باب العمل على اصلاح الأزهر . فلقى من ذلك خيبة أمل ردته أو كادت ترده يائسا ، ثم لم يلبث أن توفى على اثرها وهو ينشد :

ولست أبالى أن يقال محمد   أبل أم اكتظت عليه المآتم
ولكنه دين اردت صلاحه   أحاذر أن تقضى عليه العمائم

يقول تلميذه الشيخ مصطفى عبد الرازق :

« .. واذكر اننى كنت اسير مرة مع الاستاذ الشيخ محمد عبده عقب استقالته من الازهر ، فقال فى حديثه رحمة الله عليه :

« يظنون اننى بخروجى من الازهر تركته مرعى خصيبا لشهواتهم ترتع

حيث تشاء ، الا انى القيت بين جوانب هذا المكان شعلة لا تنطفىء .. ان لم تلتهب اليوم أو غدا فستلتهب فى ثلاثين عاما ، وستكون ضراما » .. (جريدة السياسة ٢٩ اغسطس سنة ١٩٢٣)

هنالك وسائل اخرى دون ذلك الاصلاح الدينى . فقد ولى الشيخ مركز مفتى الديار المصرية وهو مركز دينى له فى مصر شأن مرعى . وكانت بعض فتاوى الشيخ الصادرة عن مركزه هذا تحمل دعوة قوية الى ما يعمل له من الاصلاح الدينى . وكذلك قد سعى سعيا حثيثا الى اصلاح المحاكم الشرعية ، واصلاح الأوقاف واصلاح المساجد .. الخ

أما الاصلاح السياسى ، فقد كان له فى حياة الشيخ شأن خطير . كان مذهبه السياسى مقتبسا من مذهب استاذه جمال الدين . وجمال الدين رجل جديد ثائر لا يرى من وسيلة للاصلاح السياسى الا الثورة . وكان الشيخ محمد عبده لا يخلو من شىء من العنف ايضا فى طبيعته . وكان على ذلك ضيق الصدر حرجا بما فى مصر من اضطراب وفساد ، فلا غرو أن تكون دعوة جمال الدين قد صادفت فى قلب تلميذه مكانا طيبا صالحا . لذلك هبا معا يدعوان لهذا الاصلاح الثائر . وقامت ثورة عرابى بمصر سنة ١٨٨٢ ، فأحاطت الشبهة بعنق الشيخ محمد عبده وحوكم وحكم عليه بالنفى من مصر ثلاث سنين وثلاثة أشهر

وفى خلال هذا النفى استطاع أن يلتقى فى باريس باستاذه جمال الدين . واذا بهما يعاودان العمل للاصلاح الثائر فينشئان جمعية العروة الوثقى ، وهى — كما يقول السيد محمد رشيد رضا — جمعية سرية ، ويصدران مجلة العروة الوثقى التى كان لها صدى بعيد فى بلاد الشرق عامة والاقطار العربية خاصة . لذلك صودرت مصادرة عنيفة فاحتجبت بعد ثمانية اشهر من ظهورها

▭

عاد الشيخ محمد عبده الى مصر بعد انقضاء مدة النفى ويظهر انه قد لقى من تصاريف الأيام ومن تجاريب الحياة ودروسها ما جعله يؤمن بأن الاصلاح السياسى قد ينال بالرفق والاناة وحسن التدبير باحسن مما ينال بالثورة والعنف

وكذلك اخذ الاستاذ يسلك للاصلاح السياسى طريقا جديدا غير الطريق الذى سار فيه من قبل مع استاذه جمال الدين . وعين الشيخ عضوا فى

مجلس شورى القوانين فوجد فيه مجالا فسيحا لدعوة الاصلاح السياسى على مذهبه الجديد . واستجاب له كثير من أصدقائه وزملائه فكان ذلك اساسا لمدرسة سياسية جديدة قامت فى مصر ، وكان لها اثر بالغ فى تاريخ النهضة السياسية المصرية

بقى الاصلاح الذى حاوله الشيخ فى اللغة العربية وقد كانت سبيله اليه هى الدروس التى القاها فى دار العلوم وعمله على ترقية الكتابة فى الجريدة الرسمية للحكومة المصرية « الوقائع المصرية » التى كان رئيس تحريرها . وكذلك أنشأ جمعية احياء اللغة العربية التى احيت كثيرا من ذخائر اللغة العربية فقامت بطبعها وتصحيحها

هذه بعض جوانب الاصلاح التى نهض بها الاستاذ محمد عبده العمل عليها وتحقيقها . اما النتيجة التى استطاع ان يحصل عليها ويحققها فقد بينها هو فيما كتبه بقلمه اذ يقول : « نعم ، اننى فى كل ذلك لم اكن الامام المتبع ولا الرئيس المطاع ، غير اننى كنت روح الدعوة ، وهى لا تزال بى فى كثير مما ذكرت قائمة . ولا ابرح ادعو الى عقيدتى فى الدين واطالب باتمام الاصلاح فى اللغة ، وقد قارب

« أما أمر الحكومة فتركته للقدر يقدره وليد القدر بعد ذلك تدبره ، لأننى قد عرفت أنه ثمرة تجنيها الأمم من غراس تغرسه وتقوم على تنميته السنين الطوال . فهذا الغراس هو الذى ينبغى أن يعنى به الآن والله المستعان

« ... أصبت نجاحا فى كثير مما عنيت به ، واخفقت فى كثير مما وجهت عزيمتى اليه . ولكل ذلك أسباب بعضها مما غرز فى طبعى وشىء منها مما احتف حولى .. وطائفة من آصالتى فى الرأى أو خطلى .. »

وقد يكون فى بعض ما سبقت الاشارة اليه ما يدل على بعض ما نجح فيه الاستاذ الامام وما اخفق فيه . يقول تلميذه الشيخ مصطفى عبد الرازق :

« على أننا لا نجعل ما بلغته دعوة الشيخ من النجاح معيارا لقيمتها ، فان قيمتها سامية غاية السمو فى ذاتها وفى نتائجها ، واذا لم تبلغ كل نجاحها اليوم فستبلغ نجاحها غدا »

(هذا المقال من كتاب « هذا مذهبى » الذى ستصدره سلسلة كتاب الهلال قريبا بمعاونة مؤسسة فرنكلين ش . م . ، القاهرة ـ نيويورك)

ان المسلمين اينما كانوا او في اي بلد حلوا ، تقع عليهم افرادا وجماعات مسئولية دراسة المثل العليا في الاسلام والعمل بها ونشرها»

أول اتحاد اسلامي

في نصف الكرة الغربي

بقلم الأستاذ نديم المقدسي

من الاساطير التي تتردد في بعض مناطق المغرب الاقصى ان عرب الاندلس اكتشفوا امريكا قبل ابحار « كولومبس » اليها بعدة أجيال . على ان الثابت في التاريخ ان عدد المسلمين في العالم الجديد حتى نهاية القرن الماضي لم يزد على اصابع اليد . ولعل أول هؤلاء كان « مصطفى العربي » الدليل الذي رافق « ماركوس دي نيزا » في الرحلة الاكتشافية التي قام بها سنة ١٥٣٩ الى الصحارى التي تقوم عليها الآن ولاية « اريزونا » . ثم يليه « الحاج علي » سائق الجمال التي استوردتها الحكومة الاميركية من بلاد العرب منذ حوالي قرن لتجرب تربيتها في صحراء اريزونا ، فلما فشلت هذه التجربة انتقل الحاج علي الى ولاية « كاليفورنيا » حيث أصبح منقبا عن الذهب

قاهرة أمريكا

وهناك مسلم ثالث بأمريكا تروى عنه حكاية تشبه الخيال ، ولكنها مدونة في كتاب عن تاريخ مقاطعة « كاتسكيل Catskill » في ولاية نيويورك ، فقد سجل كاتب هذا التاريخ ان بلدة « القاهرة » الواقعة على نهر « الهدسون » في تلك المقاطعة يرجع الفضل في تسميتها الى شاب مصري كان يقطنها في اوائل القرن السادس عشر ، ويدعى ناصر الدين . وكانت له مزرعة فيها . ثم حدث ان تراهن مع رجل هولندي على ان يدفع له الف جنيه ان استطاع الزواج بأميرة هندية حمراء فائقة الجمال اسمها « لوتوانا » كانت تسكن مع والدها القائد العظيم في اعالي الجبال . واستطاع ناصر الدين ان يكسب صداقة هذا القائد ، ثم خطب اليه ابنته فوافق راضيا مغتبطا ، ولكن الاميرة نفسها رفضت الزواج منه في آخر لحظة معتذرة له ولوالدها بأنها متعاهدة من قبل على الزواج بأحد فرسان القبيلة الشجعان . وهكذا خسر ناصر الدين الرهان .

ثم لم يسعه الا ان ينتقم لنفسه من الاميرة ، فدس لها السم فى كأس شربتها ليلة زفافها ، فماتت لساعتها ، وضبطه رجال القبيلة وهو يحاول الفرار عقب ذلك ، فاقتصوا منه بأن علقوه على شجرة وحرقوه حيا !

وفى أوائل القرن الحاضر ، بدات تهاجر الى امريكا عائلات كثيرة من مسلمى سوريا ولبنان ، مدفوعة الى ذلك بما سمعت عن النجاح الذى احرزه مواطنوها المسيحيون الذين سبقوها الى الهجرة ، كما اقبل من مصر واليمن وغيرهما من البلاد العربية الاخرى عشرات من المهاجرين المسلمين اكثرهم من البحارة الذين هجروا سفنهم فى موانىء امريكية. ولحق بهم كثيرون من ايران وتركيا واندونيسيا والهند (قبل التقسيم) حيث استوطن بعضهم الولايات الغربية

على أن أكثر المهاجرين المسلمين الاول الى امريكا كانوا من القبائل التترية التى اجتاحت روسيا وشرقى اوربا مع جيش جنكيزخان واستوطنت بعض المناطق فى شرقى بولندا وغربى روسيا . فقد هاجر الى امريكا منهم أكثر من الفى شخص واستوطنوا حى بروكلين فى مدينة نيويورك

ثمانون الف مسلم بامريكا

ان عدد المسلمين فى أمريكا يقدر الآن بنحو ثمانين الف ، من بينهم نحو ثلاثة آلاف ليسوا من ابناء المهاجرين المسلمين ، بل هم امريكيون مسيحيون اعتنقوا الدين الاسلامى

ومن الطريف انهم اسلموا فى الوقت الذى كان فيه مئات من رجال الدين المسيحى الامريكيين يبشرون بالدين المسيحى فى البلاد الاسلامية . ويرجع الفضل فى اسلام اكثرهم الى حركة دينية قام بها فى «هارليم» ــ حى الزنوج فى نيويورك ــ رجلان من المسلمين سنة ١٩٣١ ، واحدهما زنجى يدعى صوفى عبد الحميد نشأ فى « شيكاغو » وعاش حينا فى الشرق الاوسط ، والآخر يدعى حافظ الحكيم ، وكان متضلعا فى العلوم الاسلامية ، ويرجع نجاح حركتهما الى ثلاثة عوامل رئيسية هى :

أولا ــ ان عقائد الدين الاسلامى سهلة الفهم

ثانيا ــ اطلاق الحرية التامة لكل قاطن فى امريكا ليعتنق الدين أو المذهب الذى يريده

ثالثا ــ عدم التفريق العنصرى بين الشعوب الاسلامية التى تتألف من اجناس والوان مختلفة ، مما دعا زنوج « هارليم » الى اعتناق الاسلام

ويروى الذين راوا الرجلين ان صوفى كان يقف على منضدة يضعها فى وسط سوق ، أو على رصيف شارع ويدعو الناس بصوته الرخيم الى الاسلام . وعندما يتجمهر عدد كبير منهم حوله يبدأ حافظ فى شرح تعاليم القرآن الكريم للحاضرين ثم يدعوان من لهم رغبة فى الاستزادة الى حضور الدروس الدينية فى الدار التى اعدت لذلك . وفى سنة ١٩٣٦ بلغ عدد المترددين على تلك الدار للاستماع الى صوفى وحافظ حوالى



مدخل جامع واشنطون الذى عقد فيه مؤتمر اول اتحاد اسلامى

ثلاثمائة ، اسلم منهم ٢٥٠ . ومما يذكر أن صوفى وحافظ ماتا فى أسبوع واحد سنة ١٩٣٧ ، وكانت وفاة الاول فى حادث طائرة ، ومات الثانى متأثرا بمرض عضال

مؤسسات وجمعيات اسلامية

وفى سنة ١٩٣٨ قام احد تلامذة صوفى وحافظ ، ويدعى عبد الودود بتأسيس « المركز الاسلامى الغربى الوطنى » فى « هارليم » واخذ ينظم مع زوجته « رزقة » الاجتماعات الدينية لنشر التعاليم الاسلامية بين زنوج نيويورك . وفى سنة ١٩٤٢ قامت سيدة هندية تدعى البيجوم عطية بتأسيس « المعهد الاسلامى » . وبعد سنتين اسس عبد الودود « الجمعية الاسلامية الدولية »

ومنذ أواخر العقد الرابع من القرن العشرين بدأت بعض العناصر الاسلامية المهاجرة فى نيويورك من غير زنوج « هارليم » تنضم الى المؤسستين وتسهم فى نشاطهما الدينى والاجتماعى . ومن هؤلاء نحو ٢٠٠ من السودانيين ، و ١٥٠ من الصوماليين . وبرأس الاخيرين الآن

شاب منهم اسمه ابراهيم غالب ، ويرأس المعهد الاسلامي زنجي من « هارليم » يدعى حسن ابراهيم

ويقدر عدد المسلمين الزنوج فى نيويورك الآن بثلاثة آلاف شخص ، بينما يبلغ عددهم فى فيلادلفيا نحو الف ، وفى كل من ديترويت وشيكاغو نحو الفين

وفى نيويورك جاليات اسلامية أخرى ، منها جالية السودانيين ، وجالية اليمنيين ، وجالية السوريين واللبنانيين ، وجالية الباكستانيين ، وجالية التتر البولنديين . وهذه الاخيرة أكثرها عددا اذ تتألف من اربعة آلاف شخص . ومن الطريف أن افرادها يرجعون أصلهم الى بعض فرق جنكيزخان التى بقيت فى بولندا واستوطنتها بعد غزو التتر لشرقى اوربا فى القرن الثالث عشر . وقد قاسى هؤلاء التتر مختلف أصناف العذاب تحت حكم قياصرة روسيا . وفى اوائل القرن الحالى هاجرت بعض عائلاتهم الى الولايات المتحدة ، ثم تبعتها عائلات عديدة فى السنين العشر التالية . ويقطن أكثرها حتى الآن حى بروكلين فى نيويورك وقلما يختلطون مع بقية المسلمين فيها ، اذ ينحصر نشاطهم الاجتماعى والدينى فى جامعهم الذى بنى منذ خمسة عشر عاما ، وفى الجمعية المحمدية الامريكية التى أسسها بعضهم منذ عشرة أعوام . وبينهم كثيرون احترفوا صناعة دبغ الجلود ومهروا فيها ، كما أن لبعضهم متاجر خاصة لبيع المصنوعات الجلدية المختلفة

وقد هاجر الى الولايات المتحدة فى السنوات الثلاثين الاخيرة نحو الفين من المسلمين الباكستانيين ، استوطن ربعهم مدينة نيويورك ، ولهم فيها ناد خاص فى حى مانهاتن ، اطلقوا عليه اسم « نادي العصبة الاسلامية » ويرأسه الآن السيد على رباج . وتعنى العصبة الاسلامية بجميع الشئون الدينية لباكستانيي نيويورك . وأكثرهم يعملون فى المصانع ، ولبعضهم مطاعم فخمة عامة

وفى مدينة « سكرامنتو Sacramento » فى ولاية كاليفورنيا جالية باكستانية أخرى أصابت نجاحا ملموسا فى الزراعة ، ويملك بعض افرادها مزارع كبيرة يزيد ثمن المزرعة منها على مائة الف دولار . ولعل أكبرها مزرعة السيد نظل محمد خان الواقعة قرب مدينة « بوت سيتى Butte City » فى كاليفورنيا

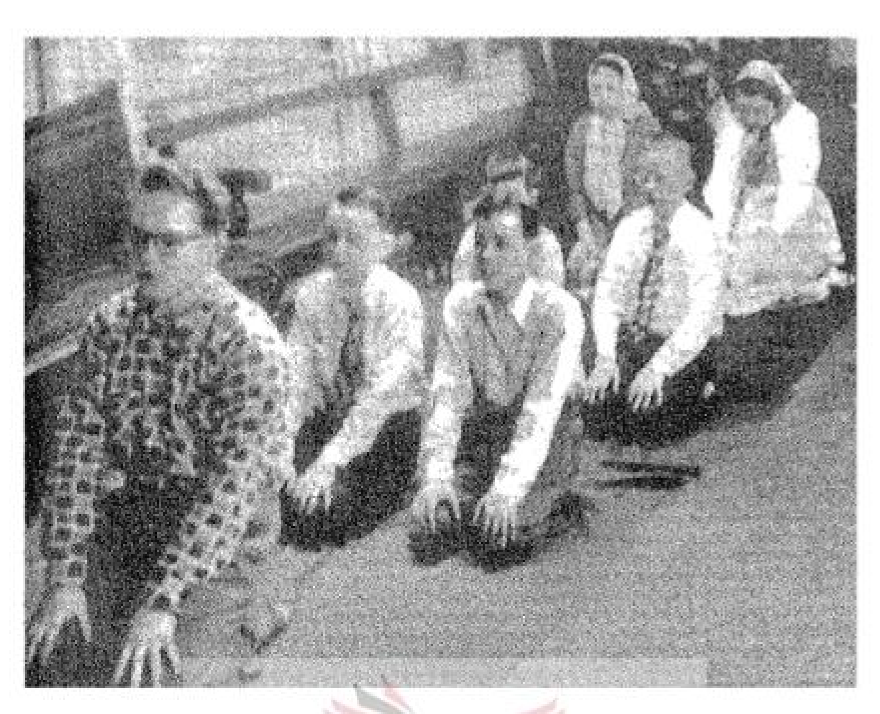
وللباكستانيين فى كاليفورنيا منظمتان هما : المؤسسة الباكستانية ، وجمعية باكستان

وتقطن حى بروكلين جالية يمنية تضم حوالى ٣٠٠ شخص ، انصرف أكثرهم الى العمل فى المصانع ، كما ان بينهم عددا من البحرية

وفى بروكلين ايضا جالية مصرية صغيرة لها جمعيتها الخاصة ، واسمها « الجمعية المصرية العربية الامريكية »

نشاط المسلمين الاقتصادى

وبينما نجد الجاليات الاسلامية فى نيويورك تتألف من جماعات ذات



ابناء الجالية الاسلامية فى نيويورك يسجدون لله خاشعين

أصول عنصرية مختلفة ، فاننا لا نجد بينها جماعة تمثل أكثرية الخمسة عشر الف مسلم الذين يقطنون أكبر مدينة فى الولايات المتحدة . على أن هذه ليست الحال فى ديترويت حيث يسكن عشرة آلاف مسلم جلهم من المغتربين السوريين واللبنانيين ويمثلون أكبر الجاليات الاسلامية فى امريكا

وقد هاجرت اول العائلات الاسلامية من سوريا ولبنان الى ديترويت فى أواخر القرن الماضى ، ولم تلبث أن لحقت بها فى السنين العشرين التالية جماعات أخرى ، التحق أكثر أفرادها بمصانع السيارات التى كانت تنمو وتتوسع بسرعة فائقة فى تلك الايام . على أن بعضهم مالبثوا أن اتجهوا الى العمل الحر ، فأنشأوا لانفسهم متاجر مختلفة للسمن والبقالة ، واشتهروا بهذه التجارة فى جميع الولايات الوسطى . واكثرهم نجاحا اليوم السيد محمود حمادة الذى يملك أكبر عدد من محلات السمانة الكبرى فى منطقة الولايات الغربية الوسطى ، وقد هاجر السيد حمادة من قرية صغيرة فى لبنان منذ ٥٠ سنة ، واستوطن مدينة « فلنت » القريبة من « ديترويت » . وبعد أن عمل فى المصانع سنوات ، أنشأ

بما ادخره من مال محلا صغيرا لبيع السمن . ثم اخذ محله ينمو مع نمو صناعة السيارات

وفى ديترويت ايضا جالية البانية صغيرة يتزعمها الامام وهبي اسماعيل الذى تلقى العلوم الدينية فى الجامع الازهر . وكان والده يشغل منصب مفتى مدينة فالونا فى البانيا . ولهذه الجالية الصغيرة جمعيتها الخاصة المعروفة باسم « الجمعية الالبانية الامريكية الاسلامية »

١٢ مسجدا بامريكا

فى امريكا الآن نحو اثنى عشر مسجدا ، فى مقدمتها مسجد واشنطن الجديد ، واصغرها مسجد الجالية الباكستانية فى مدينة سكرمنتو فى ولاية كاليفورنيا . وهناك عدد كبير من المصليات

ولعل اول مسجد بنى فى نصف الكرة الغربى كان مسجد الجالية السورية اللبنانية فى ديترويت ، وقد تم العمل فيه سنة ١٩٢٢ . وقد شرعت الجالية منذ خمسة عشر عاما فى بناء مسجد كبير بدلا منه . واكبر مسجد قديم فى امريكا مسجد فى ولاية ايوا Iowa الذى تم بناؤه سنة ١٩٣٥ وهناك ثلاثة مساجد فى ديترويت : اثنان منها للجاليات السورية اللبنانية ، والثالث للجالية اللبنانية

واما المسجد الوحيد فى نيويورك فيخص الجالية التترية البولندية . وقد تم بناؤه سنة ١٩٤٥ . ويستخدم الدور الارضى منه لعقد الاجتماعات ولتدريس العلوم الدينية للشبيبة . وقد بدات اخيرا حملة دعاية لبناء مسجد ومركز اسلامى فى نيويورك ليفى حاجات جميع المسلمين الدينية . وتشرف على تلك الحملة لجنة تمثل القسم الاكبر من الجاليات برياسة السيد حمدان غنام وهو تاجر فلسطيني الاصل

وفى « توليدا » بولاية «اوهايو» بدا فى السنة الماضية تاسيس مسجد لجالية تلك المدينة التى تضم نحو خمسة آلاف شخص

وفى مدينة « لوس انجلوس » بنى امريكى اعتنق الاسلام اسمه محمد عبد الله رينولدز اول مسجد على شاطىء امريكا الغربى

وليس فى كندا سوى مسجد واحد حتى الآن بنى فى مدينة « البرتا » حيث تقطن منذ زمن بعيد جالية اسلامية ناجحة

وقد انتهت منذ اسابيع اعمال البناء فى مسجد « وشنطن » الذى يعد اكبر المساجد الامريكية واجملها ، والحق بمعهد للدراسات الاسلامية ومركز للتعاون الثقافى بين الشرق والغرب . وترجع فكرة تأسيسه الى زمن بعيد ، ولكن تنفيذها لم يبدأ الا سنة ١٩٤٥ عندما تألفت لهذا الغرض لجنة من سفراء الدول العربية والاسلامية ووزرائها ومن بعض وجهاء الجاليات الاسلامية فى امريكا

ويتألف المركز الاسلامى من المسجد وجناحين احدهما خصص للمعهد الذى يضم قاعة كبيرة للمحاضرات ومكتبة تحتوى على آلاف الكتب القيمة من جميع

انحاء العالم . اما الجناح الآخر فخصص لمسكن المدير والمكاتب التابعة للمعهد

وتولى ادارة المركز الدكتور محمود حب الله من علماء الأزهر

الاتحاد الاسلامي بامريكا وكندا

وكانت فكرة تأسيس منظمة شاملة تضم جميع العناصر والفئات الاسلامية تراود زعماء الجاليات المختلفة . وقد قام بعضهم بعدة محاولات لتحقيق هذا الهدف ولكن النجاح لم يحالفهم الا سنة ١٩٥٢ عندما وجهت الجالية الاسلامية في ولاية « ايوا » دعوات الى الجاليات المختلفة في الولايات المتحدة وكندا لترسل مندوبين عنها ليجتمعوا في تلك المدينة ويدرسوا امكانية تأسيس منظمة شاملة . وفي ذلك المؤتمر انتخب المندوبون لجنة اناطوا بها مهمة وضع دستور للمنظمة المقترحة . وقرر المندوبون ايضا ان يعقدوا مؤتمرا في كل عام في مدينة مختلفة واختاروا مدينة «توليدو» بولاية « اوهايو » لعقد مؤتمر سنة ١٩٥٣ . وفي ذلك المؤتمر قام المندوبون بدراسة الدستور المقترح للمنظمة وقرروا ان يوسعوا مسئولياتها وان تسمى « اتحادا » بدلا من « جمعية »

وفي الصيف الماضي عقد المؤتمر في مدينة شيكاغو ، وحضره اكثر من خمسمائة مندوب ومندوبة يمثلون سائر الجاليات والجمعيات في الولايات المتحدة وكندا . وقام الاعضاء بدراسة اقتراحات لجنة الدستور ، وما لبثوا أن وافقوا على اكثريتها وصوتوا على تسمية منظمتهم الجديدة « اتحاد المنظمات الاسلامية في الولايات المتحدة وكندا »

وانتخب السيد عبد الله عجوم اول رئيس لاول اتحاد اسلامي في نصف الكرة الغربي ، وذلك اعترافا بالجهود الجبارة التي قام بها لانجاح فكرة الاتحاد

وقد وردت في مقدمة الدستور فقرة تعرب بجلاء عن أهداف الاتحاد اذ تقول :

« ان المسلمين اينما كانوا وفي اي بلد حلوا ، تقع عليهم افرادا وجماعات مسئولية دراسة المثل العليا في الاسلام والعمل بها ونشرها »

وما اختتم المؤتمر اعماله في شيكاغو وعاد الاعضاء الى مدنهم حتى نشطت الجاليات المختلفة الى العمل بمقترحات الدستور ، فاجتمع في نيويورك مندوبون من ثماني منظمات اسلامية ، وقرروا تأسيس مجلس اعلى للشئون الاسلامية في اكبر مدينة امريكية . اما المنظمات الثماني فهي : الجمعية الاسلامية الدولية ، والاكاديمية الاسلامية ، ومؤسسة بناء المسجد ، وجمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الشابات المسلمات ، وعصبة الباكستان ، والجمعية المصرية العربية الامريكية ، ومنظمة وادي النيل

وكان أول قرار اتخذه المجلس الاضطلاع بمسئولية بناء مسجد ومركز اسلامي ، وانتخب الاعضاء لجنة لتشرف على حملة جمع التبرعات لتحقيق ذلك الهدف النبيل

اذا ذكرت النهضة الحديثة فى البلاد العربية والشرقية ، وما بلغته الآن من نجاح عظيم فى مختلف الميادين السياسية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، فيجب أن يذكر بالاجلال والتقدير أولئك القادة الاوائـــل ، الذين رسموا طريق هذه النهضة ، ومهدوه ، وابرزوا معالمه . وقادوا الخطوات الاولى فى مختلف شعابه ، ضـــاربين لمن خلفهم أروع الامثال فى الاقدام والتضحية ، للوصول الى ابعد الاهداف

بناة النهضة الحديثة

فى الشرق الاسلامى

السيد جمال الدين الافغانى

كان فى الثامنة عشرة من عمره حينما انتقل مع أسرته الكبيرة العريقة النسب ، الى « كابل » ـ عاصمة أفغانستان ، بعد أن تنكر لها الملك محمد خان واستولى على أملاكها فى جهة « كنر » التى ولد فى قرية « أسعد أباد » التابعة لها سنة ١٨٣٩ ٠ ولم تطب له الاقامة بالعاصمة ، فغادرها الى الهند حيث أمضى سنة وبضعة أشهر ، أكمل خلالها دراسة بعض العلوم الرياضية على الطريقة الغربية الحديثة ٠ وكان قد أتم فى وطنه دراسة العلوم الدينية والعقلية والتاريخية واللغة العربية ٠ ثم غادر الهند الى الحجاز لاداء الحج ، ومن هناك عاد لوطنه

وحينما تولى الحكم محمد أعظم خان ، اتخذ جمال الدين وزيرا أول ، فكان عند حسن الظن به ، وكاد بحسن سياسته وتدبيره أن يقضى على الفتن القائمة بالبلاد ، ولكن ظروفا خارجة عن ارادته ، انتزعت الحكم من صاحبه ، اذ تغلب عليه أخوه شير على بمساعدة الانجليز ، واضطر جمال الدين الى مغادرة البلاد قاصدا الى الحجاز من طريق الهند٠ فاحتفلت الحكومة الهندية باستقباله ، ولكنها قيدت نشاطه فى بلادها ، وأخرجته منها بعد بضعة أشهر فى سفينة حملته الى السويس ،فأقام بمصر أربعين يوما اتصل خلالها بكثير من طلبة الازهر وأفاض عليهم من علمه وأدبه وحكمته ، ثم آثر السفر الى تركيا ، وهناك لقى حفاوة وتكريما من الامـــراء والوزراء والعلماء ، وعين بعد ستة أشهر عضوا فى مجلس المعارف ، ولكن دسائس رجال الدين هناك ما لبثت أن أخرجته من تركيا ، فاتجه الى مصر مرة أخرى وأقام بها من سنة ١٨٧١ حتى سنة ١٨٧٩ ، وتتلمذ عليـه كثـيرون فى السياسة والفلسفة والدين ٠ وقد غادرها مبعدا بأمر الخديو توفيق ،فاقام



جمال الدين الأفغانى



محمد عبده

بحيدر أباد الدكن فى الهند حيث كتب رسالته « الرد على الدهريين » . ثم سافر الى أوربا حيث أقام بلندن أياما ، وانتقل الى باريس وهناك وافاه تلميذه الشيخ محمد عبده وأصدرا مجلة العروة الوثقى

ودعاه بعد ذلك شاه ايران الى بلاده حيث ولاه نظارة حربيتها واعدا اياه بمنصب رياسة الوزارة . وبعد قليل أحس جمال الدين أن الشاه يخشاه على ملكه ، فسافر الى روسيا ثم الى بطرسبرج حيث نشر مقالات سياسية أحدثت دويا كبيرا فى العالم ، وفى طريقه الى باريس لقيه فى مونيخ شاه ايران واصطحبه الى طهران ثانية . لكنه ما لبث أن تنكر له مرة أخرى فنفاه من بلاده ، فأقام حينا بالبصرة ، ثم سافر الى لندن حيث أخذ يعمل لخلع الشاه ، وفى خلال ذلك دعى الى مقابلة الخليفة العثمانى فى تركيا ، فسافر الى الاستانة سنة ١٨٩٢ ، وأقام هناك معززا مكرما حتى توفى سنة ١٨٩٧

الامام محمد عبده

نشأ فى أسرة فقيرة باحدى قرى مديرية البحيرة ، وتلقى العلوم الدينية فى الجامع الاحمدى بطنطا ثم فى الازهر ، وابتكر لنفسه طريقة خاصة فى المطالعة حببت اليه التعمق فى الدراسة والبحث . وما وصل الى مصر السيد جمال الدين الافغانى سنة ١٨٧١ حتى كان أول تلاميذه ومريديه . وقد عمل بعد تخرجه فى الازهر مدرسا فيه وفى بعض المدارس الحكومية، وتولى تحرير الجريدة الرسمية « الوقائع المصرية » . وكان ممن اعتقلوا وحوكموا بعد فشل الثورة العرابية ، فنفى الى سوريا حيث أقام ثلاث


احمد عرابى


احمد خان

سنوات عمل خلالها فى التدريس والتأليف ، ثم سافر الى باريس حيث أصدر مع أستاذه جمال الدين مجلة « العروة الوثقى » ، وفى خلال ذلك تعلم اللغة الفرنسية . ثم عاد الى مصر حيث عين مستشارا فى محكمة الاستئناف ، وعضوا فى مجلس ادارة الازهر ، ثم مفتيا للديار المصرية . وتولى خلال ذلك تفسير القرآن الكريم ، كما أسس الجمعية الخيرية الاسلامية وألف شركة لطبع الكتب العربية ، واعد برنامجا لاصلاح الازهر . وهذا عدا انتاجه الغزير من البحوث الدينية والعلمية والادبية والقضائية . وكانت وفاته سنة ١٩٠٥ . ففقدت البلاد المصرية والاسلامية بفقده عالما مصلحا فذا قلما يجود بمثله الزمان

احمد عرابى

تعلم بالازهر الشريف ، ثم التحق بالجيش حيث عين وكيل بلوك أمين ، وظل يترقى بالجد والاجتهاد الى رتبة الباشجاويش فالملازم الثانى فالملازم الاول فاليوزباشى فالصاغ فالبكباشى فالقائمقام ، وكان قد بلغ التاسعة عشرة حينئذ . ثم سافر الى المدينة المنورة مع الوالى سعيد باشا . وبعد سنتين سرح سعيد أكثر الجيش ، فأحيل الى الاستيداع حوالى سنة ، ثم أعيد للخدمة ورقى الى رتبة القائمقام . ثم اضطهده خسرو باشا فرفت من الخدمة وحرم من الارض التى منحت له وقدرها ٢٠٠ فدان ، ثم أعيد الى الجيش ، وقاد حملة موفقة لمواجهة فيضان النيل ، ثم اختير للاشتراك فى حملة وجهت الى الحبشة . وعين بعد ذلك ياورا بالمعية . ثم رقى الى رتبة الاميرالاى . واختاره ضباط الجيش لتقديم مطالبهم الخاصة بدفع الظلم عنهم



عبد القادر الجزائرى



عبد الرحمن الكواكبى

واعطائهم حقوقهم أسوة بزملائهم الشراكسة ، وزيادة عدد الجيش ، وتاليف مجلس نواب ٠ ودبرت مؤامرة للغدر به ومن معه بعد اعتقالهم فى قصر النيل ، ولكنهم كانوا قد احتاطوا لذلك فانقذهم زملاؤهم بالقوة ٠ وانتهى الامر باجابة بعض المطالب والوعد باجابة بقيتها ٠ ولكن الخديو حاول الغدر بهم مرة أخرى ، فتوجهوا الى ميدان عابدين فى مظاهرة عسكرية كبرى لعرض طلباتهم على الخديو ، فقبلها مرغما ، وعين عرابى وكيلا للجهادية ٠ ثم منح رتبة اللواء وعين ناظرا للجهادية ٠ ولم يمض قليل حتى جاءت الى الاسكندرية الاساطيل البريطانية وقدمت مطالب مجحفة رفضها مجلس النظار ولكن الخديو قبلها وقبل استقالة المجلس ، فهاجت البلاد ، وطالب النواب باعادة عرابى الى نظارة الحربية حفظا للامن والنظام فأعيد إليهـا وهدأت الحال ، غير أن الاسطول البريطانى ما لبث أن ضرب الاسكندرية ، وانتهى الامر باحتلال الانجليز المؤيد من الخديو والخونة ٠ ثم نفى عرابى وصحبه الى سيلان ، وبقى بها الى أن أعيد الى مصر

السيد أحمد خان

كانت نشأته في وطنه الهند لاول عهدها بالاحتلال البريطانى ، وما بلغ أشده حتى شارك مواطنيه سخطهم على الاحتلال ، ولكنه لم يقنع من الجهاد بمقاطعة المحتلين ، وأخذ على عاتقه اعداد البلاد للاستقلال من طريق التعليم والتربية الوطنية الحقة ، وبقى خمسين عاما يجاهد في هذا السبيل ، وهو من مواليد دهلى سنة ١٨١٧ ، وتوفى والده تاركا اياه في السادسة عشرة من عمره ، ولكنه أتم تعليمه ، والتحق بوظائف عدة فى القضاء ٠ وكان له



مصطفى كامل



قاسم امين

الفضل الاكبر في انقاذ حياة الاسر الانجليزية حينما شبت ثورة فيالمدينة فعرفت له بريطانيا هذا الجميل ، ورتبت له معاشا دائما قدره مائتا روبية. وفي خلال ذلك أخرج مؤلفات عدة نافعة ، ترجمت الى الانجليزية ، وفي مقدمتها كتاب « أسباب الثورة الهندية » . وقد أثبت به وطنيته الرشيدة وأنه أسمى من أن تبهره هدايا الانجليز . ثم انشأ جمعية للترجمة . وقام برحلة الى انجلترا مع ولده الذى أرسله ليتعلم هناك . ولما عاد للهند أنشأ جريدة سماها « مصلح الهيئة الاجتماعية الاسلامية » ، ثم أنشأ كلية اسلامية حديثة في مدينة « عليكرة » ، ورتب لها كثيرا من الاساتذة الاخصائيين من الانجليز والشرقيين . وعكف على التعليم والخطابة والتاليف حتى توفى سنة ١٨٩٨

الامير عبد القادر الجزائرى

كان في الخامسة والعشرين من عمره حينما بايعه أهل الجزائر واليا عليهم في خلال ثورتهم الاولى ضد القوات الفرنسية التى احتلت بلادهم وانتزعتها من أيدى العثمانيين سنة ١٨٣٠ . وظل أربع سنوات يقود هذه الثورة بهمة وحكمة واخلاص فاضطرت فرنسا الى عقد معاهدة صلح معه ، وأخذ في اصلاح شئون بلاده وتعزيز قوتها ، وحاول الفرنسيون أن يحدوا من سلطانه ، ثم جردوا حملة كبيرة للقضاء عليه ، ولكنه تمكن من ابادة هذه الحملة . وعاودوا الكرة عليه بقوات جديدة في سنة ١٨٣٥ ، ثم عززوا قواتهم مرات ، فلم يستطيعوا أن يقهروه . وجرت مفاوضات للصلح انتهت بعقد معاهدة بين البلدين وفى خلالها بنى مدينة تجارية كبيرة ونظم الجيش

على الطريقة الحديثة وانشأ مصانع عسكرية ومدنية ومدارس كثيرة · وبعد ذلك حاولت فرنسا خرق المعاهدة وتصدى هو لمقاومتها وهزم جيوشها مرات وأخيرا تمكنت فرنسا من اغراء سلطان مراكش بمحاربته ، وجرت بينهما معارك حامية كان النصر فيها حليفه حتى سنة ١٨٤٧ . ثم آثر التسليم لفرنسا ، وسافر اليها حيث قوبل بالحفاوة والاجلال ، وبقي بها مكرما حتى قامت الجمهورية فيها سنة ١٨٤٨ فاعتبره رجالها أسيرا وسجنوه ورجاله · حتى سنة ١٨٥٠ فأطلقه نابليون الثالث واحتفل به في قصره ، ولما أعيدت الامبراطورية بعد سنة أهدى اليه الامبراطور سيفا ، وسمح له بالسفر الى الاستانة · فأقام بها مدة ، ثم سافر الى بيروت فدمشق حيث أقام بها ، وكان له موقف محمود في خلال الثورة التي وقعت فيها سنة ١٨٦٠ ضد المسيحيين ثم حج سنة ١٨٦٣ ومر في عودته بالاسكندرية وبقي في دمشق عاكفا على العبادة والتاليف حتى توفي سنة ١٨٨٨

السيد عبد الرحمن الكواكبي

كان أبوه أحد مدرسي الجامع الاموي الكبير في دمشق ، ولاسرته مكانة كريمة في حلب · ونبغ منها علماء كثيرون · وقد ولد بها سنة ١٨٤٨ ودرس العلوم الشرعية في المدرسة الكواكبية بها ، وأتقن اللغة التركية وبعض الفارسية بجانب تضلعه في علوم اللغة العربية · وبدأ حياته العملية محررا في صحيفة « الفرات » الحكومية وأنشأ صحيفة سماها « الشهباء » · كما تولى عدة مناصب حكومية علمية وادارية وقانونية · وضاقت الحكومة القائمة يومئذ بنجاح دعوته الى الاصلاح والحرية ، فحبسته وجردته من أملاكه واضطرته الى مغادرة البلاد ، فتوجه الى مصر ، ثم قام برحلة زار فيها زنجبار وأثيوبيا وأكثر السواحل في شرق آسيا وغربها · وقطع صحراء الدهناء في اليمن على الجمال في حوالى شهر ، كما زار الهند وشرق افريقيا

وتمتاز كتاباته بالتعمق والحماسة وسعة الاطلاع على تاريخ الشرق عامة والممالك العثمانية خاصة ، وكان لكتابه « طبائع الاستبداد » صدى عظيم في جميع البلاد العربية · وكذلك كتابه « أم القرى » وعرف طول حياته بالتفاني في خدمة الاسلام والعروبة مع البعد عن التعصب الديني والجنسي وكانت وفاته في مصر سنة ١٩٠٣

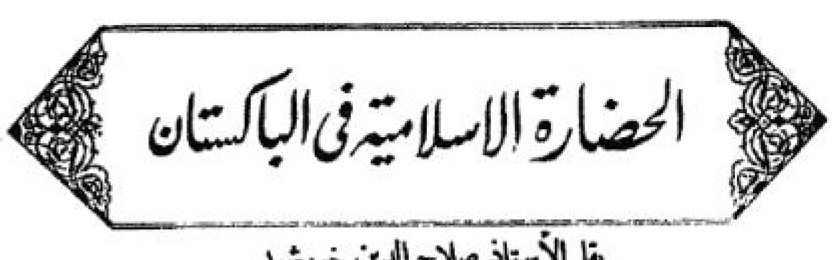
مصطفى كامل

تجلى نبوغه منذ حداثته ، وكان أول وفاقه في امتحان اتمام الدراسة

الابتدائية ، وكذلك كان شأنه في مرحلة الدراسة الثانوية ، وعرف من ذلك الحين بحدة الذكاء والقدرة على الخطابة والكتابة • وأعجب به المرحوم على مبارك باشا ناظر المعارف فأولاه عناية خاصة ورعاية مادية وأدبية ، وكان يدعوه الى مجلسه ويناقشه في المسائل العلمية والاجتماعية ، ويقدمه لجلسائه من الكبراء والعلماء • ثم درس الحقوق في مدرسة الحقوق الخديوية ومدرسة الحقوق الفرنسية في وقت واحد ، ونال اجازة الحقوق من جامعة طولوز وعمره ١٩ سنة • وفي خلال ذلك أنشأ جمعيات أدبية وصحفية مدرسية وألف تمثيلية عن فتح الاندلس وكتابا عن الرق في عهد الرومان كما نشر في الصحف المحلية والاجنبية كثيراً من المقالات السياسية ، وألف بعد ذلك كتاب « المسألة الشرقية » • وبعد عودته لمصر عمل في المحاماة أشهرا ، ثم تفرغ للجهاد الوطني من طريق الخطابة والصحافة في مصر والخارج • ثم أنشأ صحيفة يومية باسم « اللواء » وصحيفتين باللغتين الانجليزية والفرنسية • وأبدى حماسة بالغة في المطالبة بجلاء الانجليز ، وكان له الفضل في اقصاء « كرومر » عميد الاحتلال البريطاني في مصر بعد حادثة «دنشواي» ودانت له زعامة مصر ، وانتخب رئيسا للحزب الوطني مدى الحياة • ولم تطل حياته اذ توفي في ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ • وكان الاحتفال بجنازته في مصر أكبر دليل على تيقظ الوعي الوطني

قاسم أمين

كان أول من تصدى لنشر الدعوة الى تحرير المرأة المسلمة في عصر النهضة الحديثة ، وكان بعد اتمام دراسته في مصر قد أرسل في بعثة لدراسة الحقوق في فرنسا ، ولما عاد بعد حصوله على اجازة الحقوق سنة ١٨٨٥ عين وكيل نيابة بالمحكمة المختلطة ، وترقى في مناصب القضاء حتى صار مستشاراً في محكمة الاستئناف • وعرف بدماثة الطبع ، وحرية الفكر وغزارة العلم ، ونصاعة الحجة والبيان • وكان صدور كتابه « تحرير المرأة» حدثا تاريخيا في مصر والبلاد العربية، لما تضمنه من الدعوة الصريحة الجريئة الى الغاء الحجاب وتزويد المصريات بالعلوم الطبيعية والعقلية والادبية لتكون قادرة على القيام بواجباتها المنزلية وتربية أبنائها ، كما أكد فيه أن الدين الاسلامي يأمر باحسان معاملة النساء ، ويقيد تعدد الزوجات، ويقبح الطلاق • ولم يعبأ بما قام في سبيله من العقبات ولا بما ناله من سخط المتزمتين الجامدين ، فأصدر كتابا آخر باسم « المرأة الجديدة » ، فصل فيه رأيه في وجوب تحرير المرأة وأعطائها حقها المدني والشرعي • وكانت وفاته سنة ١٩٠٨ عن ٤٣ سنة قضى أكثر من نصفها في خدمة القضاء



بقلم الأستاذ صلاح الدين خورشيد

رئيس قسم الصحافة بسفارة الباكستان بالقاهرة

ترجع الصلة بين العرب وشبه جزيرة الهند – وخاصة الاقسام التي تتكون منها باكستان الغربية الآن – الى عصور سحيقة في القدم اذ يؤكد المؤرخون قيام العلاقات التجارية بين العرب والهنود على عهد الدولة اليمنية القديمة التي سبقت ظهور الاسلام بقرون عديدة فقد كان العرب يغشون سواحل الهند بسفنهم التي يبحرون بها عبر المحيط الهندي من سواحل حضرموت وعمان والبحرين الى سواحل السند وكجرات ، ويتعاملون مع سكانها ويبادلونهم السلع والعروض : الطيب ، والكافور والغلال ، والسيوف اليمانية ...

وكان من نتيجة هذه الصلة ، على ضيق نطاقها وضعف وسائلها، أن تبادل القوم فيما تبادلوا من عروض وسلع مفردات من اللغة ومظاهر من الحياة ومعاني من الفكر . ومن الامثلة التي يرددها المؤرخون في هذا السبيل الفاظ جرت على الألسن وكلمات اتخذت في الشعر والادب كمسك وكافور وزنجبيل وصندل وليمون ...

غير ان هذه الصلة ما لبثت حتى وهنت بوهن الدولة اليمنية القديمة وبقيت هكذا قرونا طويلة حتى كان الفتح الاسلامي للهند على عهد الوليد ابن عبد الملك في السنة الحادية والتسعين الهجرية « ٧١٢ م » . ولعل المسلمين كانوا يفكرون في فتح الهند قبل ذلك على عهد الخلفاء الراشدين ، اذ يروى البلاذري « انه لما ولى عثمان بن عفان وولى عبد الله بن عامر بن كريز العراق ، كتب اليه أن يوجه الى ثغر الهند من يعلم علمه ويتصرف اليه بخبره فوجه حكيم بن جبلة العبدي ، فلما رجع اوفده الى عثمان فسأله عن حال البلاد فقال : « يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرتها . قال : فصفها لي . قال : ماؤها وشل وثمرها دقل ولصها بطل ، ان قل فيها الجيش ضاعوا وان كثروا جاعوا . فقال عثمان : اخابر أم ساجع ؟ قال : بل خابر .. »

وأيا كان فان الخليفة الأموي كان قد تلقى تقارير من واليه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ، تنبئه بان القراصنة الهنود كانوا يعيشون

فسادا فى المحيط الهندى ويتعرضون لسفن المسلمين عند اجتيازها البحر العربى للتجارة مع موانئه ، فجرد الوليد حملة بقيادة محمد بن القاسم للضرب على أيدى القراصنة من ناحية ولنشر الدعوة الاسلامية فى تلك الأصقاع من ناحية أخرى .

وقد صحب الفتح الاسلامى ودخول الجيوش العربية أرض السند هجرة عدد كبير من العرب اليها وكان بين هؤلاء — بل وبين أفراد الجيوش الفاتحة نفسها — من نال نصيبا وافرا من العلم والثقافة ومن تحمس لنشر هذه الثقافة وذلك العلم بين سكان الأمم المغلوبة. فكانوا يعلمونهم الدين وأصوله ويلقنونهم اللغة وعلومها . وكان مما سهل مهمتهم أن الهنود كانوا قد ضاقوا ذرعا بأحوالهم قبل الفتح الاسلامى لبلادهم اذ كان ولاتهم يضطهدونهم اضطهادا شديدا ويسومونهم سوء العذاب حتى كانوا ليعاملونهم معاملة الرقيق الأذلاء . فكان الدخول فى الدين الاسلامى منجاة لهم من ذلك السقم الذى صاروا اليه . وهكذا كان لانتشار الاسلام وعلومه أثر بالغ فى نفوس القوم حتى كان أحدهم ليقبل على تعلم اللغة العربية واتقانها ليتفقه القرآن وليحفظ من آيه ما يتلوه فى صلاته ودعائه . وكان اذن لا بد على المسلم من أن يتعلم شيئا من اللغة العربية على الأقل

والواقع ان العرب ، وان ظلوا فى السند نحو مئتى سنة ، لم يوغلوا



طراز من مآذن الجوامع فى باكستان الشرقية

فى الفتح ولم يجاوزوا حدود السند الى داخلية القارة الهندية ، وهو ما يدل على أن غرض المسلمين لم يكن لمحض الفتح والتوسع . ولقد أستجاب أهل السند للدعوة الجديدة وللثقافة الجديدة ، فلم تمض سنون قليلة حتى برز من بين المتعلمين فيهم عدد كبير اشتهر بالعلم والفضل فى جميع أرجاء العالم الاسلامى. وقد ذكر السمعانى فى كتاب « الانساب » عددا منهم كابى مشعر المحدث وابى عطاء السندى . وقد بلغ الأول من عظيم القدر بحيث قربه اليه الخليفة هارون الرشيد ولما مات مشى فى جنازته الخليفة وصلى عليه

▭

غير أن أثر الحضارة الاسلامية فى الهند ما لبث حتى أخذ يتغير فى مصدره وينبوعه اذ انحسر نفوذ العرب عن السند بسقوط الخلافة العباسية وطفقت الهند تتأثر بأثر اسلامى من مصدر جديد مبعثه حكم الأتراك والمغول والفرس . ففى سنة الف الميلادية اخذ السلطان محمود الغزنوى يغزو الهند ويخضع سهولها الشمالية والشمالية الغربية لحكمه ، واستطاع بعدغزوات متكررة على هذه الاصقاع أن يظلها بظل امبراطوريته التى استمرت بعد موته نحو مئة وخمسين عاما . ثم أعقبها حكم الغوريين ثم الخلجيين والطغلقيين واللوديين الى ان تهيأ للامبراطور بابر المغولى اقامة امبراطورية من اكبر امبراطوريات العالم فى أى زمن من الازمان . وهكذا وفى خلال هذه الفترات التى دامت سبعة قرون انتقل محور المؤثرات الثقافية من البلاد العربية الى سواها من الممالك الاسلامية والى من يسميهم العرب بالموالى : الفرس والاتراك والمغول ومن اليهم من الأمم

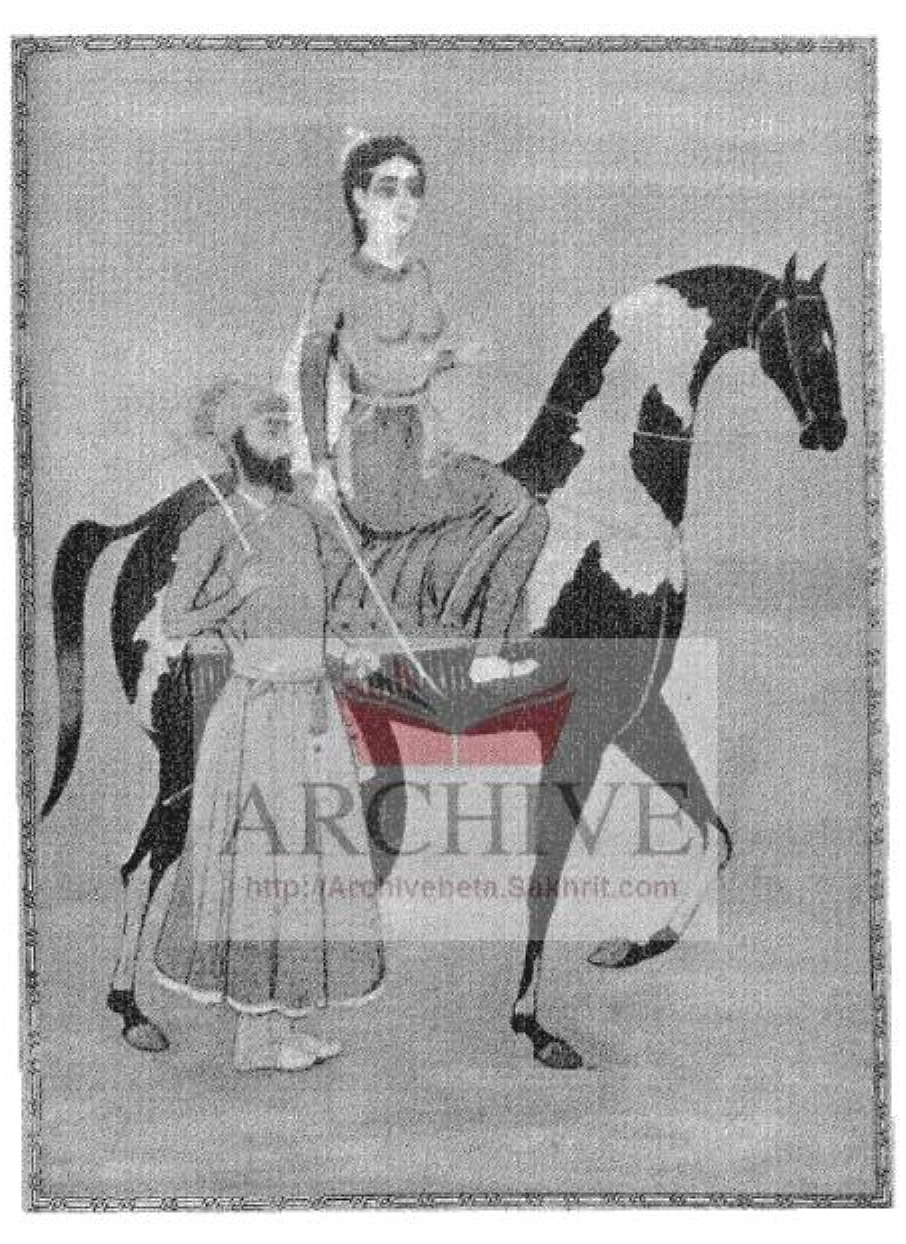
▭

كان العرب قد هبطوا الهند فاتحين ولما ينقض قرن من بدء الدعوة الاسلامية وهبط الفرس والمغول الهند بعد القرن الرابع الهجرى عندما كانت الحضارة الاسلامية قد احتكت بالحضارات المجاورة : الفارسية ، واليونانية ، والرومانية ، والهندية ، فاقتبست قسطا من اساليبها واطوارها وتكونت لها خصائصها ومميزاتها التى تنفرد بها بين الحضارات ،ولذا فلا غرو اذا ما كان نفوذ الفاتحين الجدد اقوى وابلغ أثرا من أثر الفاتحين الاول

ثم ان الحضارة الاسلامية وان كانت لها خصائصها ومميزاتها ككل ، فان مظاهرها تباينت قليلا أو كثيرا فى الاقسام المختلفة من العالم الاسلامى وذلك بحكم اختلاف البيئة والظروف ، ولذا فان الفاتحين الفرس والمغول لما دخلوا الهند سحبوا وراءهم ظلالا من ثقافتهم — ثقافتهم الاسلامية فى جوهرها وأساسها ، الفارسية والمغولية فى بعض مظاهرها وطوابعها ، فكان

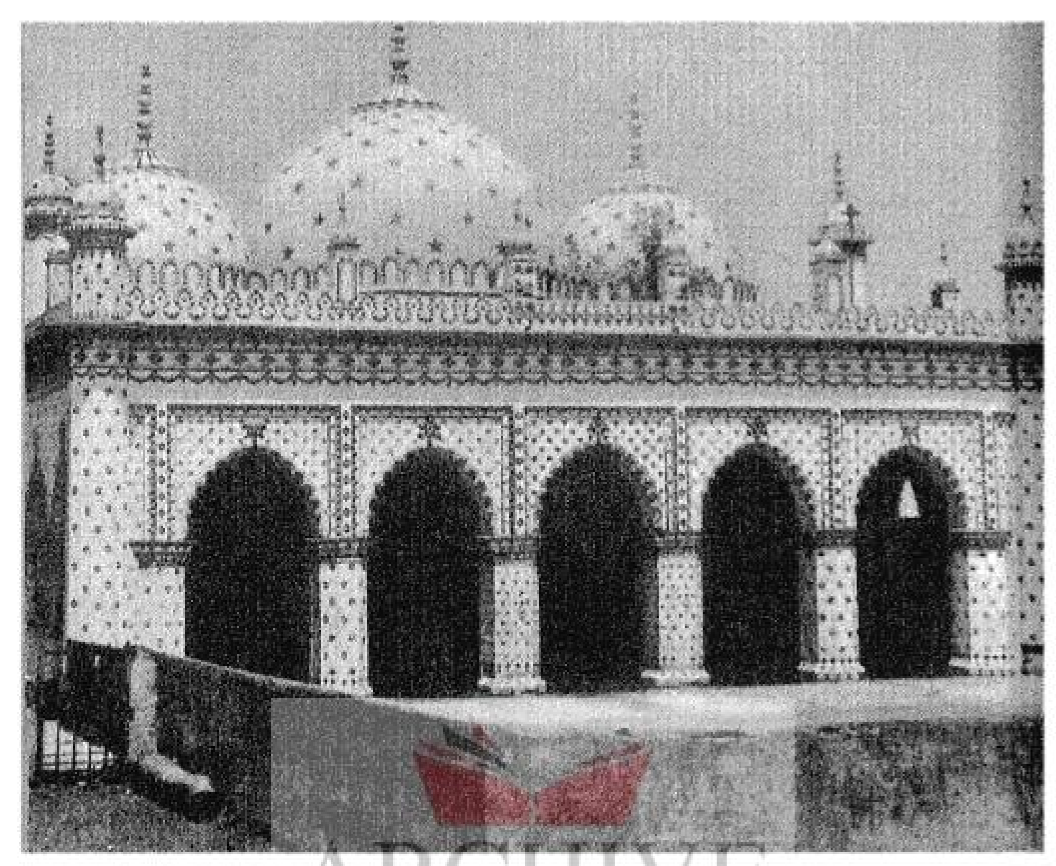


الامبراطورة « نورجهان » زوجة الأمبراطور المغولى « جهانكير »
(للفنان الباكستانى المعاصر عسكرى)



« تشاند بيبى » ملكة حكمت بيجابور بالدكن

(للفنان الباكستانى عبد الرحمن فيضى)



مسجد بميناء شيتاكونك بباكستان الشرقية

اثرهم فى الحياة الثقافية بهذه الاصقاع أبعد اثرا أيضا وان كانوا قد حملوا معهم الى تلكم البقاع أيضا ما تلقوه بدورهم من العرب ومن غير العرب من نفوذ ثقافى عظيم الخطر

اقول ان الاثر العربى فى الحضارة الاسلامية بالهند لم يعد يعمل عمله بصورة مباشرة وانما بواسطة هذه الاقوام التى حملت معالم الحضارة الاسلامية ككل بما فيها آثارهم وآثار العرب معا ، وانك لتجد مصداق هذا القول فى الفنون والآداب التى نشأت وارتقت على عهود الفرس والمغول المختلفة ، ففى الرسم المغولى مزيج ظاهر من الاسلوبين الفارسى والهندى ، وفن العمارة ــ ولعله أكثر الفنون تأثرا بالطراز الاسلامى ــ مزيج كذلك من الطراز الاسلامى والطراز الهندى

أما فى مجال الفكر والأدب فكان النفوذ الاسلامى والعربى منه على الأخص عظيما بالغ الأثر أيضا ،

مدلولاتها الاصلية

▭

وعلى مر الزمن ونتيجة لهذه المؤثرات الثقافية العديدة المنبعثة من الجزيرة العربية تارة ومن البلاد الاسلامية تارة أخرى ، تكونت بالهند على عهد المغول حضارة اسلامية فى جوهرها مغولية فى طابعها ، بلغت اوجها فى الرقى على عهد الامبراطور اكبر ، ثم لم تلبث فى أواخر عهد الامبراطورية حتى أخذت فى التدهور والافول ، وذلك بعد انحلال الامبراطورية المغولية وبعد اتصالها بحضارة قوية جامحة كاسحة ، هى هذه الحضارة الغربية المعاصرة ، فبدت هى واخواتها من حضارات بلاد الاسلام فى خطر داهم يهاجمها فى عقر دارها، فضلا عن ذلك الهجوم السياسي والعسكرى الذى اقتحم ممالك الاسلام فى مواطنها. والواقع ان الخطر الذى كان يتهدد الحضارة الاسلامية كان اشد فتكا بكثير من الخطر السياسي والعسكرى ، فالآثار السياسية والعسكرية سريعة الزوال على عكس الآثار الثقافية الفكرية والعقلية . وهذا مما حفز المسلمين فى جميع ارجاء العالم الى التبصر واخذ الحيطة . وظهر بين المسلمين فى مختلف ديارهم وفى فترات متقاربة حتى لتكاد



محمد على جناح . مؤسس الباكستان

بالرغم من ان اللغة العربية كانت قد افسحت المجال امام اللغة الفارسية ، فالواقع ان اللغة الفارسية انما ظفرت بالبقاء والانتعاش لانها استطاعت ان تساير الزمن وتؤدى مطالبه الجديدة ، ولانها اخذت من اللغة العربية من المفردات والالفاظ والاساليب ما يفى بغرض المدنية الجديدة، فلما اخذ الهنود يتعلمونها تعلموها باساليبها ومفرداتها الجديدة . فلما اخذ الهنود يتعلمونها المفردات العربية والاساليب العربية الى اللغات الهندية ، وهذا ما يعلل انحراف بعض الالفاظ العربية المستعملة باللغات الهندية عن

تكون متعاصرة قادة مصلحون حذروا القوم من هذا الخطر الداهم ونصحوهم بالتمسك بتراثهم وبالاخذ بقسط مفيد من هذه المدنية الجديدة ، فكان محمد عبده فى مصر وجمال الدين الافغانى فى فارس والهند ومدحت باشا فى تركيا والسيد أحمد خان ومحمد اقبال فى الهند وخير الدين التونسى فى المغرب ، ولعل ظهور هؤلاء الزعماء فى وقت واحد واتجاههم نحو فكرة واحدة خير ما يؤكد عظم الخطر الذى سبق أن ذكرناه وضرورة تلافيه . ولعل هذه الحركات السياسية التى تكتسح الآن هذه الممالك لاتهدف الى التحرير السياسى بقدر ما تهدف الى تخليص حضارة الشرق العتيد من أوضار المدنية الجديدة بل ومن احتمال غزوها لكل حضارة تليدة .

والى هذا اتجهت الحركة السياسية فى الباكستان حينما نادى المسلمون بالحرية والاستقلال وبانشاء دولة يستطيعون فيها ، على حد تعبير القائد الاعظم محمد على جناح رحمه الله « أن ينهجوا النهج الذى يتلاءم مع تراثنا الثقافى العتيد »

وهكذا يمكن اعتبار قيام الباكستان تدبيرا من تلك التدابير التى اتخذها المسلمون لمكافحة الغزو



محمد اقبال .. شاعر الباكستان

الاوروبى ، لا الغزو السياسى وحسب ، بل والغزو الثقافى أيضا ، وهو الأهم . ولما كان الفرد الباكستانى يعتبر جوهر ثقافته الدين الاسلامى الحنيف وما يتفرع عنه من علوم ومعارف ، فقد اولى همه الى ان ينهل من معينها وهو القرآن الكريم بلغته العربية ولسانه المبين . ومن هنا نشأ الكلف باللغة العربية نفسها

ومن هنا ايضا عنيت الحكومة بجعل اللغة العربية مادة اساسية فى برامج التعليم بمدارسها ، وهكذا ينفتح أمام اللغة العربية باب رحب تستطيع ان تلجه لتنتشر فى أصقاع الباكستان الشاسعة



ثلاثة رجال

أحدثوا ثورة فى الادب العربى

بقلم الأستاذ أنيس المقدسى

الأستاذ بجامعة الدراسات العربية

مما يلفت النظر فى دراسة ادبنا الحديث ، ما نرى فيه من نزعة الى الثورة . ولا غرابة فان اليقظة التى حدثت فى الشرق العربى منذ منتصف القرن الماضى — أو ماقبل ذلك — قد حولت الانظار الى حياة جديدة فكان من الطبيعى ان يقوم من ابنائه رواد يدعون الى الاصلاح ويمهدون للناس سبل التقدم . ولقد دعيت أن أتحدث الى قراء الهلال فى هذا العدد الخاص عن بعض من روادنا الراحلين الذين نبغوا فى اواخر القرن الماضى واوائل القرن الحاضر ، فاحدثوا هزة فى حياتنا الادبية لا نزال نشعر بها الآن . فرايت ان اتحدث عن ثلاثة كان كل منهم يحمل اللواء فى ثورة من الثورات وهم : ابراهيم اليازجى ، وقاسم امين ، ومصطفى كامل

ابراهيم اليازجى

يظهر ان اليازجى ولد بطبع نزاع الى الثورة ، ففى مطلع شبابه نراه ينظم القصائد المثيرة متهجما فيها على الاتراك ومهيبا بالعرب الى النهوض . وقد شاعت له بضع قصائد أشهرها التى يقول فى مطلعها :

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب
فقد طمى السيل حتى غاصت الركب

على ان ثورته الشعرية هذه لم تحدث يومئذ أثرا فعالا فى الحياة الادبية أو القومية ، وهجر الشعر وانصرف الى الابحاث اللغوية . وفى اللغة كانت الثورة التى بها عرف فى تاريخ الادب . ولاستدرك هنا ما قد يعلق فى الذهن من وهم ، فأقول ان ثورة اليازجى لم تكن تهدف فى اللغة الى الحرية والتساهل بل الى المحافظة على الاصول لم تكن تمردا على القديم بل حملة على المستجدين من الكتاب الذين لم يكن لهم المامه وتدقيقه فكانوا يعثرون أحيانا أو يضطرون الى استخدام ألفاظ ومصطلحات لم ترد فى متون اللغة .. وهكذا نراه ينشر فى السنة الاولى من مجلته الضياء (سنة ١٨٩٩) سلسلة مقالات فى لغة الجرائد ، ثم

فى السنة الثامنة منها سلسلة اخرى فى اغلاط المولدين . وفى كلتا السلسلتين جرى مجرى الحريرى فى كتابه « درة الغواص » فكان يشدد فى نقده حتى ليمنع الصحيح اذا كان أضعف اللغتين . ومن قوله فى لغة الجرائد : « لانزال نرى فى بعض جرائدنا الفاظا قد شذت عن منقول اللغة فأنزلت فى غيرمنازلها واستعملت فى غير معناها ، فجاءت بها العبارة مشوهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك

« والعجب أنك كثيراً ما ترى أناسا من متقدمى الكتاب يعتمدون أحيانا التقليد وربما قلدوا من هو دونهم من أصاغر اهل الصناعة ؛ حتى فشا النقل بين تلك الطبقات كلها وأصبح كثير من الفاظ الجرائد لغة خاصة يقتضى معجما بحاله . ولما كان الاستمرار على ذلك مما يخاف منه أن تفسد اللغة على أيدى انصارها والموكول اليهم امر اصلاحها ، وهو الفساد الذى لا صلاح بعده ، رأينا أن نفرد لذلك هذا الفصل نذكر فيه اكثر تلك الالفاظ تداولا وننبه على ما فيها مع بيان وجه صحتها من نصوص اللغة »

وتبع اليازجى فى آجال مختلفة عدد من اهل اللغة فنشروا على صفحات الجرائد والمجلات أو فى مجموعات خاصة ما رأوه أو توهموه من مغالط الكتاب ، ويحق لنا أن نطلق عليهم اسم «المدرسة اليازجية» . ونحن لاننكر غيرتهم على اللغة وحرصهم على سلامتها ولكننا قد نأخذ عليهم ما أخذه الخفاجى على الحريرى من تقيدهم الحرفى أحيانا بظاهر النصوص أو رفضهم القياس والمجاز أو انحرافهم الى مذهب دون مذهب . .

ومن ظواهر الثورة عند اليازجى محاربته تساهل بعض الكتاب فى استعارة المصطلحات الاجنبية ، وقد حاول أن يضع الفاظا عربية تقابل هذه المصطلحات فكان له عشرات الاوضاع الجديدة مما ثبت بعضه بالاستعمال ومات بعضه لعدم صلاحه للزمان والاحوال . ولاشك أن ثورته اللغوية فى ذلك الحين قد كان لها يد تذكر فى المحافظة على عمود اللغة وسلامة أوضاعها

قاسم امين



وبينا كان ابراهيم اليازجى يشن غاراته على أرباب الصحف والكتاب منتقدا أخطاءهم اللغوية ، حدثت فى ناحية أخرى من حياتنا الادبية ثورة كان لها أثر عظيم فى الشرق العربى ، تلك هى الثورة الاجتماعية التى كان يقودها قاسم امين

كان هذا الثائر الاجتماعى قاضيا ولكن مهام القضاء لم تشغله عن النظر الى حاجات وطنه العمومية والسعى فى سبيل ترقيته . فلم يكد ينبثق فجر القرن العشرين حتى سمع العالم الشرقى صوتا هزه من أقصاه الى أقصاه ، صوتا

يدعو أبناء وطنه وملته الى تحرير المرأة من قيود التقليد ومنحها حقوقها الاجتماعية والطبيعية مستندا فى دعوته الى النصوص القرآنية والنبوية ومحاولا تفسيرها تفسيرا يلائم روح العصر . وقد تصدى له يومئذ المحافظون فحملوا عليه حملات شعواء ورموه بسهام اليمة من التهم ، بل لم يأنس الى كلامه الرأى العام . والى ذلك يشير شاعر النيل حافظ بقوله فى قصيدة :

اقاسم أن القوم ماتت قلوبهم ولم يفقهوا فى السفر ما أنت كاتبه
الى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه

ولكن عزم قاسم لم يهن امام الاضطهاد ، ومازال حاملا علم الثورة فى كتابيه « تحرير المراة » و « المراة الجديدة » حتى توفى وهو فى ساحة الجهاد . ولكن جهاده لم يكن دون جدوى وتلك الشعلة التى أوقدها لم تنطفىء ، بل ظلت تلتهب فى صدور مريديه من محبى الاصلاح . ومع الزمن اخذت المقاومة تضعف رويدا رويدا والدعوة الى تحرير المرأة تشتد حتى انتصرت مؤخرا وكان انتصارها فاتحة عهد جديد فى المجتمع العربى . أما الاثر الذى أحدثته دعوة قاسم امين فى الادب الحديث فكبير جدا . يكفى أن نشير اشارة فقط الى ما كتب ونظم فى هذا الباب منذ عهد قاسم الى الآن — مكتبة كبيرة من الكتب والرسائل والمقالات والخطب والقصائد اشتركت فى وضعها معظم الاقطار العربية وعدد كبير من الادباء والاديبات .

ولكى يطلع القارىء على تلك الروح التى كانت تدفع رائد هذه الدعوة وعلى اسلوبه فى الدفاع عن قضيته ننقل له بعض عبارات من التمهيد الذى وضعه لكتابه تحرير المراة قال :

« سيقول قوم ان ما انشره بدعة . فأقول نعم اتيت ببدعة ولكن ليست فى الاسلام بل فى العوائد وطرق المعاملة » . ويذهب الى أن انحطاط المراة ملازم لانحطاط الامة « ولذا كانت حالة المراة فى بدء الحضارة لا تختلف عن حالة الرقيق . وكانت واقعة عند الرومان واليونان مثلا تحت سلطة أبيها ثم زوجها ثم من بعده من أكبر أولادها . وكان المباح عند العرب قبل الاسلام أن يقتل الآباء بناتهم وأن يستمتع الرجال بالنساء من غير قيد شرعى ولا عدد محدود . ولا تزال هذه السلطة الآن عند القبائل المتوحشة . ولو التفت الى البلاد المتمدنة وجدت ارتقاء النساء فى أمة مناسبا لدرجة ارتقاء تلك الامة . وليس ذلك بفعل الدين هناك كما أنه ليس بفعله تأخر المرأة عندنا » . الى أن يقول :

« ولكن هو الاستبداد الذى طغى . وهو اذا غلب على أمة اتصل من الحاكم بمن هو دونه ونفث روحه فى كل قوى بالنسبة الى كل ضعيف . فمن طبيعة هذه الحالة ان الانسان لايحترم الا القوة . ولما كانت المرأة ضعيفة اهتضم الرجل حقوقها واخذ يعاملها بالاحتقار .. له العلم ولها الجهل . له العقل ولها البله . له الضياء ولها الظلمة والسجن . له الامر والنهى

ولها الطاعة والصبر . له كل شيء في الوجود وهي بعض ذلك الشيء الذي استولى عليه »

وهكذا نجده في سائر فصوله حي العاطفة يجمع في كتابته بين مقدرة في الدفاع واخلاص للدعوة وروعة في الاداء . ومهما قيل فيه فاننا نحن الذين عرفناه في كتابيه سيظل في نظرنا الرائد الاعظم للذين جاهدوا في سبيل المرأة وعملوا على ترقية المجتمع العربي

مصطفى كامل



ولد هذا الزعيم الثائر قبل الاحتلال البريطاني بثماني سنوات ، وكان منذ حداثته ذا نفس ابية وعزيمة قوية فلما شب وأدرك الوضع السياسي في وطنه ثارت نفسه وانصرف الى محاربة الاحتلال بالكتابة والخطابة . وقد ألف الحزب الوطني وانشأ جريدة اللواء فكانت لسان حاله وحال حزبه . ولم يكتف بمساعيه في مصر بل قصد اوروبا اكثر من مرة وهناك كان يقابل الصحافيين ورجال السياسة ويخطب في المحافل الحافلة باللغة الفرنسية ، وكان لما يقوله دوى واسع في جميع البلدان . واقتضت سياسته ان يستعين بسلطان تركيا ويوطد علاقة مصر بعرش الخلافة ، وقد زار الاستانة عاصمة السلطنة العثمانية يومئذ وقابل السلطان فحظي عنده بكل عطف . واذ كان في حضرته قال له السلطان في سياق حديثه معه : « انك اذن محام ؟ » فأجاب : « نعم يا مولاي اني محام عن قضيتين مهمتين ـ قضية مصر خصوصا وقضية المسلمين عموما . اما قضية مصر فالعالم الاوربي مستعد ان يساعدنا في حلها وانصراف الاحتلال عنها ، ولكنها قضية يعرف كل المصريين ان جلالتكم صاحبها وسيدها . وأملنا عظيم في ان خليفتنا المعظم المحبوب يبدأ بما يحقق أمانينا »

ويمتاز مصطفى بايمانه الشديد بما كان يدافع عنه وهذا الايمان هو الذي حمله على ان يكرس حياته لخدمة القضية المصرية . وقد لقي مقاومات عنيفة من خصومه ولكن ذلك لم يزده الا ايمانا واندفاعا . وكان صريحا كل الصراحة جريئا الى أبعد غايات الجرأة ، يقابل الخصوم وجها لوجه دون وجل أو تقية . وكايمانه وجرأته شعوره العميق بكرامة النفس والوطن . ولقد نشأ في زمن كان فيه الشرقي مبتلى بمركب النقص أو الشعور بالصغار الذاتي ازاء الاجنبي . ولكن هذا الزعيم الشاب كان من القلائل الذين سلمت نفوسهم من هذا الداء الوبيل فهب يدعو مواطنيه الى ما يرفع نفوسهم ويحفظ كرامتهم وكرامة بلادهم . ومن كلماته المشهورة في هذا المعنى : « اني لو لم اولد مصريا لوددت ان اكون مصريا »

على أن الايمان والجراة والشعور بالكرامة ليست وحدها كافية للدفاع عن القضايا الوطنية . فهى تحتاج الى مقدرة على اظهار الحق واقنـــاع الناس به . وذلك ما نراه جليا فى أقوال مصطفى كامل وهو أساس شهرته الخطابية

وقد اشتهر فى اواخر القرن الماضى ـ أى فى عهد مصطفى كامل ـ خطيبان آخران هما اديب اسحق وعبد الله نديم . توفى الاول وخطيبنا فى الحادية عشرة من عمره . وتوفى الثانى وهو ـ أى مصطفى كامل ـ فى الثانية والعشرين

وكلاهما يتقدمانه فى الميدان اللغوى والانشائى ، وكانا على جانب عظيم من الغيرة الوطنية والميل الى الاصلاح الاجتماعى . على أنه يفوقهما فى الايمان برسالته وفى المقدرة على اثارة الروح القومية وتكوين رأى عام فى الشعب لتقوية الشعور بالكرامة الذاتية . ذلك لان الرسالة التى حملهـا كانت أوضح وكان هو فى تأديتها اقوى . فلم يبلغا شأوه فى النظر المستمر الى هدف معين والسعى المتواصل نحوه ووقف الحياة بكليتها عليه . وبينما كان كلاهما يعتمدان المقدرة البيانية فى اثارة الشعور العام كان هو يعتمد ايمانه الحى وحجته الراهنة وشعوره الفياض فيجىء كلامه قويا بقوة ايمانه فياضا من فيض شعوره . فلا نكون مبالغين اذا عددناه زعيم الخطابة السياسية فى أدبنا الحديث . ويكفى للتمثيل على روحه وأسلوبه ان ننقل للقارىء هذه القطعة وهى من خطبة القاها فى الاسكندرية سنة ۱۹۰۷ .

قال ردا على من يتهمه ويتهم حزبه بالتطرف :

« نلقب بالمتطرفين . ولماذا ؟ لاننا نطلب بحقوق مصر واستقلالها ـ لاننا نذكر انكلترا بشرفها وعهودها ووعودها ـ لاننا نقول لها بصوت الحق والاعتقاد القوى ان المستقبل يكفل ذلك الاستقلال !

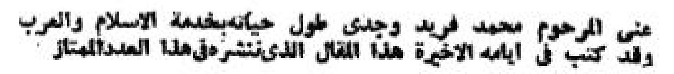
« متطرفون ! لاننا نعلن ثقتنا الكاملة فى مستقبل بلادنا ، ونقول لهذه الامة فى الصباح والمساء : اليوم عسر وغدا يسر ـ اليوم اسر وغدا فخر ـ اليوم احتلال وغدا استقلال ـ اليوم عناء وشقاء وغدا رخاء وهناء !

« متطرفون ! لاننا نرد تهم العدو ونثبت للعالم كله أننا متمدنون وانه ليس للتعصب بيننا وجود ، وأن الاسلام عامل قوى لترقية الامة ونشر أنوار المدنية فيها !

« متطرفون ! لاننا نمثل مصر للامم حية قوية ناهضة شريفة المقاصد أبية لا ترضى المذلة ولا تعرف الكذب والخداع !

« فان كنا نعتبر متطرفين لاننا نعلن ذلك كله ولان هذه خطتنا ، فأكرم بالتطرف ويا فخارنا أن نلقب بالمتطرفين ! »

فاذا كنا نعده المثال الافضل لما بلغته الخطابة السياسية فى نهضـتنا الحديثه ، فلأنه كان يجمع فى أقواله بين بساطة الاداء وقوة التأثير وجودة الاقناع جمعا قلما نراه لسواه



عنى المرحوم محمد فريد وجدى طول حياته بخدمة الاسلام والعرب وقد كتب فى ايامه الاخيرة هذا المقال الذى ننشره فى هذا العدد الممتاز

المثل الأعلى للاسلام

بقلم المرحوم محمد فريد وجدى

لكل انسان حى مثل اعلى يسعى لتحقيقه ويستمد منه القوة كلما ادركه الونى ، ويستلهمه الصبر على الشدائد ، والجراة على اقتحام العقبات ، ويخوض فى سبيل الوصول اليه الغمرات ، ويستهين فى طريق بلوغه بالعقبات . وقد تتفاوت الاحاد والجماعات فى مثلها العليا تفاوتا لا يقف عند حد ، فمن الاحاد من يكون مثله الاعلى الوصول الى الثروة او المجد او الشهرة ، ويندر من يندفع فى هذه السبل متوخيا الاصول المشروعة ويكثر من لا يبالى بالوسائل فيمضى الى ما يريد قدما لا يكترث لشىء حتى الجرائم المروعة والمخازى الشائنة . كذلك الامم يندر أن تكون فى توثبها لموافاة غاياتها مترسمة خطوات الكاملين ، ولكنها على وجه عام لا تأبه فى ادراك مناها باية السبل سلكت اليها . . .

وقد جعل الله للمسلم مثلا اعلى مقيسا على مهمته العالمية ، لا يعقل ان يكون لفرد مثل اعلى منه مهما حلق فى جو الخيال ، واستلهم العلم والحكمة ، وهو ان يكون خليفة لله فى الارض . قال تعالى : «واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »

هذه المحاورة تمثل ما جاش فى صدور الملأ الاعلى عند خلق الانسان وما الهموه من الاجابات الآلهية ، وفيه تصريح بأن الانسان فى جبلته من انواع العلوم والمعانى والوسائل ما لا تصل الملائكة اليه ، ومن كان كذلك صلح أن يكون خليفة لله دونهم فى الارض ، فاطمأنت قلوبهم ، وسجدوا لآدم سجود اجلال لا عبادة

وكذلك جعل المثل الاعلى لجماعة

المسلمين تحقيق معنى هذه الخلافة قال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض »

فهذا المثل الفردى والمثل الاجتماعى اسمى ما يتخيل من مثل عليا فى الارض واكرم ما يدفع الافراد والجماعات الى بلوغ ابعد الغايات ، واقصى الكمالات ، من طريق الاخلاق النبيلة والاغراض الشريفة من اى مثل غيره ، فان الفرد متى علم انه خليفة الله فى ارضه ، اى نائب عنه فيها اضطر ان يتخلق باخلاق موكله من العلم والنزاهة والعدل والرحمة والمساواة بين الناس والسعى لاصلاح شؤونهم والبر بمؤمنهم وكافرهم بصرف النظر عن اجناسهم والوانهم وعدم التقصير فى تربيتهم وكمالهم بعيدا عن كل الصفات الحيوانية من القوة والبطش والعصبية والصلف والجهل ، وهى مهمة عالية كما ترى ، فان الله رب العالمين لا رب قوم دون آخرين ولا مناص لخليفته من ان يتحرى طريقته فى التنزه عن الاغراض والترفع عن السفاسف واستهداف شرائف الامور ، وكرائم الصفات ، وتوخى اقرب السبل واصلح الاساليب فى جميع الاعمال ثم ان هذه الخلافة يمتد سلطانها على جميع الكائنات الحية والجمادات فان لكل منها كمالا لابد من ايصاله اليه

واذا ذكر الانسان انه من سمو الفطرة وشرف التكوين بحيث تسجد له الملائكة فأى وازع اقوى من هذا يزعه عن مقارفة الرذائل ومقاربة الخسائس واى دافع أشد منه يدفعه لطلب الغايات البعيدة وبلوغ النهايات القصوى ؟

□

ثم ان هذا المثل الاعلى حق فى ذاته ، من ناحية فلسفية . فان الكائن الذى يحمل بين جنبيه قلبا مشحونا باكرم العواطف واكمل الغرائز وفى رأسه عقلا مليئا بأن يتعرف هذا الكون ويستبطن جميع أسراره ويسخر ما يرى تسخيره من قواه العظيمة ، وليس يوجد فى الوقت نفسه كائن أعلى منه كعبا فى الطبيعة يعتبر بحق وبدون تردد اينع ثمرة للقدرة الخالقة وابدع صورة للمدبر الاعظم ولو فى هذه الكرة المحدودة.
ولو اضفت الى هذا ما منحه من السلطان البعيد المدى على الطبيعة والقوة على التصرف المطلق فى مواردها وما وهبه من وسائل التدبير والتربية لكائناتها ، تحققت انه خلق ليتولى حكومتها ويضطلع بسياستها ويبلغ بها أقصى مايصل اليه كمالها ، فكيف بعد هذا كله لا يدعى — عن جدارة واستحقاق — بخليفة الله فى أرضه ونائبه على خليقته فيها ؟

فاذا عنى الانسان باحياء هذه الحقيقة فى نفسه فكيف يترفع بطبعه عن الدنايا وتسمو به الى أعلى مكانات المجد الصحيح وهل يهون عليه بعدها أن يشاطر الحيوانات فى غفلاتها صادفا عن الغايات الشريفة والاغراض الكريمة ؟

كذلك الامة صاحبة الخلافة الالهية يجب ان تستن بسنة الله فى تربية عباده والبر بهم ، والسعى فى تكميلهم لا تعبيدهم والتيسير لهم لا التعسير عليهم وتحرى أدق نظم العدل واستخدام اضبط موازين الخلق والتوجه الموجود على انه مظهر القدرة الالهية ومصدر الانوار العلوية لا على انه مسرح الميول البهيمية ، ومرتع الشهوات الجثمانية ومحل الصفات الوحشية ... كل هذه كما ترى أغراض عالمية لا محلية لم توصف بها أمة قبل الاسلام ولا بعده الى هذا اليوم حيث لا نزال نرى الناس افرادا أو جماعات كل يعمل لنفسه ، ويجر الزيت الى قرصه ، غير مبال بما يفضى به عمله من تدهور الاخلاق وفساد النظم ، وتفاقم الشهوات

ولما كان هذا المثل الاسلامى الاعلى سواء أكان للافراد ام الجماعات يؤدى الى التى هى اقوم من طرق الحياة ، والى التى هى اكمل من نظم الاجتماع ، فقد اناط الله بهذه الامة مهمة خطيرة تعتبر وحدها مثلا اعلى لاعظم امة يطلب اليها ان تتخلق باخلاق الله ، ناحيا بها هى الاخرى منحى عالميا ، وهى أن تكون « شاهدة على الناس » فى غلوهم وتقصيرهم ، وافراطهم وتفريطهم . قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » ..

هذا المثل الاعلى لا يصح ان يكون لغير امة عالمية تتولى قيادة العالم كله ، لا جماعة محدودة منه فان حياة الجماعة المحدودة لا تقتضى ان يكون مثلها الاعلى خلافة الله فى الارض ، ولا ان تكون فى قيامها على صراط العدل المستقيم شاهدة على الناس كافة ، بل يهمها أن تكون الامم بعيدة عن طريق الكمال لتسرع عوامل الفساد اليها فتتمكن هى من تدويخها وامتصاص حياتها ، بل هى تبث تلك العوامل بيديها متذرعة لذلك بكل ما أوتيت من حول وحيلة جاهدة فى انماء جراثيمها لتصيب تلك الجماعات الغافلة بكوارث تقتضى تدخلها فى شؤونها والقبض على مخنقها بحجة المجاورة او بحجة وقوفها عثرة فى سبيل المدنية الانسانية ، فتزيد تلك الامم الواقعة فى هذه الاحابيل فسادا على فسادها . بل من الامم من فنيت على بكرة ابيها تحت نير آسريها من الامم الاستعمارية .. هذا هو الذى يتضح جليا لكل من يتتبع تاريخ الامم قديما وحديثا وينعم فى دراسة أسباب تبسطها فى الارض

ولكن الامة التى تحليها شريعتها بمثل هذه الاصول الكريمة من قوله تعالى : « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم اوالوالدين والاقربين » وقوله : « ولا يجرمنكم شنآن قوم (أى ولا تحملنكم كراهتكم لقوم) على ان لا تعدلوا : اعدلوا هو أقرب للتقوى » وقوله : « ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها » وقوله : « تلك الدار الآخرة

نجعلها للذين لا يريــــدون علوا فى الارض ولا فـــادا والعاقبةللمتقين» ثم تحكي هذه الشريعة لها حال الامم التى أصابها الانحــلال معللة ذلك بارتكابها اثم الفساد فى الارض كقوله تعالى : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به أن يوصــل ويفســدون فى الارض أولئك هم الخاسرون» وقوله : «واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيهــا ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد » وقوله : « ويســعون فى الارض فســـادا والله لا يحب المفسدين » وقوله : « ان الله لايصلح عمل المفسدين » الخ

ان الامة التى تحليها شريعتهـا بمثل هذه الاصــول وتزعهـا عن الافساد بمثل هذه المثلات انمـا تؤهلها لان تقوم بحق خلافة الله فى العالم متخلقة باخلاقه تعــالى من السعى فى اصلاح خليقته وتكميلهـا وايصالها الى ابعد ما تتخيــل أن تصل الى الله من مراتب الكمــال الصحيح والوجود السليم

□

وقد قام المسلمون بحق هــذه الخلافة فى عهـــد قـوتهم فملأوا الارض علماونورا وعمرانا،وخلصوا أهلها من الآثام التى كانوا يرزحون تحتها ودفعوهم فى طريق التكمل حتى شهد مؤرخوهم بأن المسلمين كانوا أساتيذهم ومعلميهم وموجــدى عوامل كل نهضة دخلوا فيها من بعد

فهل حابى المسلمين مؤرخو تلك الامم حتى المعاصرين منهم الى هذا الحد ، ورفعوهم الى مكانة لم تحصل عليهــا امة الى اليوم فى الارض ؟ أليس هذا تحقيقا ماديا محسوسا لمعنى الخلافة العالميــة ممثلة فى مثــل الاسلام الاعلى ومصــداقا لقوله تعالى : «كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ؟

مثل الأخوين كاليدين

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر ليغتسل ،. وهناك وقف حذيفة بن اليمان ممسكا ثوبه ليستره به ، ثم قام حذيفة بدوره ليغتسل ، فأمسك الرسول ثوبه ليستره به . وأصر علي ذلك قائلا :

ــ يا أبا حذيفة ، ما اصطحب اثنان قط الا كان أحبهما الى الله تعالى ارفقهما بصاحبه ، وان مثل الأخوين مثل اليــدين تغسل احداهما الاخرى

اكلة الاكباد

هند بنت عتبة

بقلم الدكتورة بنت الشاطىء

اشتهرت فى التاريخ الاسلامى بلقب « آكلة الاكباد » منذ لاكت كبد الفارس الشهيد « حمزة بن عبد المطلب » أسد الله وأسد رسوله فى « معركة أحد »

بيد أنها لم تكن قبل هاتيك المعركة خاملة ولا مغمورة ، فلقد فرضت نفسها على التاريخ العربى فى الجاهلية منذ كانت صبية حسناء فى دار أبيها « عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى » مزهوة بجمالها ومكانتها بين شريفات قريش ، مدلة بما لقومها فى مكة من عزة وجاه

وتناقل السمار قبيل الاسلام ، حديث الاشراف الثلاثة من سادة قريش ، تقدموا الى أبيها « عتبة » يطلبون يدها ، فابى أن ينفرد بالراى دونها ، واستمهلهم جميعا حتى يعرضهم عليها لتختار منهم من تشاء ، فما كانت « هند » فى عزتها وزهوها ، بالتى تساق الى زوج — كائنا من كان — دون أن يكون لها الراى والاختيار

وسألت « هند » اباها أن يصف لها كل خاطب من غير أن يسميه ، فلما فعل ، اختارت من بينهم « أبا سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس » زعيم البيت الاموى ، وصاحب لواء قريش اذا ما مشت لحرب ، وأحد السراة المعدودين فى البيئة الارستقراطية الحاكمة

ولم تكد هذه القصة تفتر على ألسنة السمار ، حتى بدأت مجامع قريش تردد من حديث « هند بنت عتبة » نبأ جديدا : رووا ان رجلا لمح على طفلها « معاوية بن أبى سفيان » مخايل النجابة والسؤدد فقال لهند وهو يحسب أنه يرضيها:

— سيسود ابنك قومه

فما كان منها الا ان نفرت غاضبة، وقالت فى اصرار واباء :

— ثكلته امه ان لم يسد الا قومه

واصغى التاريخ مبهوتا يحاول أن يستبين ما وراء عبارتها من دلالة عميقة الغور ومغزى بعيد المدى ، ثم انصرف عنها ليعلم من نبئها بعد حين ، أنها وضعت بهذه الجملة

اساس الملك الشامخ العريض لولدها « معاوية » وكتبت السطر الاول من تاريخ الحكم الوراثي للبيت الاموى

وعرفت مكة في « هند » كبرياءها وجموحها وعنادها وشموخها ، مع حدة في الطباع وقسوة في القلب وعنف في المزاج .. كما عرفت فيها ذاك الطموح البعيد الذى يؤثر لها ان تثكل ولدها اذا قصرت به همته فلم يسد الا قومه !

وايقنت قريش ان سيكون لهذه السيدة في تاريخ العرب شأن ذو بال ، وان لم يدر احد على وجه التحديد الى اين ينتهى بها طموحها وعنفها واندفاعها ، واى نوع من « السيادة » يقنع مثلها فترضاه لولدها

ولعل « هندا » لو سئلت اذ ذاك عما يرضيها لمعاوية ، لما عرفت لطموحها حدا يقف عنده ، او غاية ينتهى اليها

واني ذهبت الظنون في طموح « هند » ، فقد كان مدار الحديث هنالك عن وتر قديم لبنى « عبد شمس » يعود الى اليوم الذى رأى فيه جدهم « قصى » ان يؤثر ولده « عبد الدار » بكل ما كان بيده من امر قومه : الحجابة ، واللواء ، والسقاية والرفادة ، ودار الندوة . وانما دعاه الى هذا الايثار ان ولده الآخر « عبد مناف » كان قد شرف في قومه وذهب كل مذهب ، فقال « قصى » لابنه عبد الدار :

ـ والله يا بنى لالحقنك بالقوم وان كانوا قد شرفوا عليك

فلما هلك « قصى » اقامت قريش على وصيته زمنا ، ثم ثار بنو عبد مناف « عبد شمس وقريش » يطلبون ما بأيدى بنى عبد الدار ، اذ رأوا انهم أولى بذلك كله ، لشرفهم وفضلهم في قومهم

وكان « عبد شمس » هو صاحب امر بنى عبد مناف ، حين اجمعوا الحرب ، لولا ان تداعى الفريقان للصلح ، على ان يأخذ بنو عبد مناف السقاية والرفادة

لكن الهاشميين ما لبثوا ان استأثروا بأكبر السلطة ، فكان على ابناء « عبد شمس » ان يناضلوا من جديد ، والا ينسوا ان « عبد شمس » هو اكبر بنى عبد مناف ، وانه كان صاحب امرهم جميعا في نضالهم ضد بنى عبد الدار

و « هند » هي حفيدة عبد شمس ومثلها زوجها ابو سفيان ، صخر ابن حرب

ومحال على مثلها أن تنسى ما انفرد به بنو العم « هاشم » من سلطة كانت ـ في رأيها ـ حقا لبنى اخيه الاكبر « عبد شمس »

وحين بدا لها ان قومها يوشكون أن يحققوا بعض حلمهم القديم ، فوجئت وفوجئوا بمحمد بن عبد الله الهاشمي ، يعلن ان الله اصطفاه فبعثه رسولا في الناس ، مبشرا بدين جديد !

ولم يرصد المؤرخون وقع ذلك النبأ الخطير على « هند » لكنهم لمحوها بلا ريب ، وراء زوجها ابي سفيان ، وابيها عتبة ، وعمهاشيبة واخيها الوليد ، وقد ثاروا يقاتلون النبى الهاشمى قتالا مريرا ، ويؤلبون احياء قريش على «محمد» وقومه الادنين « بني هاشم » ممن لبوادعوة عمه ابى طالب لمنع الرسول المصطفى والقيام دونه

□

وقادت العصبة من آل هند معركة الاضطهاد التى انتهت بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه من مكة ، مهاجرين بدينهم الحق الى يثرب ، فما مضى عليهم بها عشرون شهرا فحسب ، حتى التقوا بالمشركين فى معركة « بدر الكبرى »

وعاد ابو سفيان الى « مكة » مخذولا مدحورا

ودخل على « هند » ينعى اليها مجده الحربى ، وينعى معه اباها عتبة ، واخاها الوليد ، وعمهاشيبة وقد سقطوا جميعا فى بدر صرعى مجندلين

واقسمت « هند » الا يقربها زوجها ، حتى يمحو عار هزيمته ، ويثأر لقتلاها فى بدر

ثم انطلقت فى دور قريش كشعلة من نار .. فما زالت تحرض ، وتؤلب ، وتثير ، حتى هبت قريش للثأر ، فجمعت جيشا ضخما بقيادة ابى سفيان ، وسيرته الى المدينة كى ينتقم من المسلمين

وانفردت الثائرة الجامحة بمولى حبشي يقال له «وحشي» كان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها ، فوعدته ان جاءها براس غريمها « حمزة بن عبد المطلب » لينال منها ما شاء

وخرج الجيش من مكة ، وخرجت هند معه فى نساء من قريش يضربن الدفوف ويذكين الحماس ويذكرن بالعار ، فكلما مرت هند بوحشى أو مر بها قالت :

«ايه ابا دسمة ، اشف واشتف!»

والتقى الجمعان عند « احد » المشركون فى ثلاثة آلاف مقاتل ــ فيهم سبعمائة دارع ــ ومائتى فارس!

والمسلمون فى الف مقاتل ، ليس فيهم غير مائة دارع وفرسين اثنين!

واستل الرسول سيفه من غمده وقال لاصحابه :

ــ من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

فقام اليه رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام اليه «ابو دجانة» ــ وكان شجاعا يختال عند الحرب ــ فسأل الرسول :

ــ وما حقه يا رسول الله ؟

اجاب صلى الله عليه وسلم :

ــ ان تضرب به العدو حتى ينحنى

هتف « ابو دجانة » :

ــ انا آخذه يا رسول الله بحقه

فاعطاه اياه

واخرج الرجل عصابة له حمراء ــ

كانت تعرف بعصابة الموت ـ فعصب بها رأسه ، وانطلق يختال فما لقى احدا من المشركين الا قتله

واذ حميت المعركة ، لمح «هندا» تزأر فى قومها ، ونسوة قريش من حولها يضربن الدفوف :

ان تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق
او تدبروا نفارق
فراق غير وامق

فكر عليها « ابو دجانة » حتى حمل السيف على مفرقها ، لكنه ما لبث ان عدل السيف عنها وهو يقول :

ـ اكرمت سيف رسول الله ان اضرب به امراة

□

وثارت قريش لقتلاها ..

وسقط « حمزة » اسد الله ، صريع وحشى !

ووقفت « هند » امام جثة غريمها فجدعت انفه واذنيه ، واتخذت منها خلخالا وقلادة ، واعطت «وحشيا» حليها جميعا

وجاءت النسوة اللاتى معها يمثلن ببقية القتلى من اصحاب رسول الله فيجدعن الآذان والانوف

لكن « هندا » لم تشتف حتى بقرت عن كبد « حمزة » فلاكتها ، ولما لم تسغها لفظتها واندفعت الى صخرة مشرفة فصرخت باعلى صوتها :

نحن جزيناكم بيوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن «عتبة» لى من صبر
ولا اخى ، وعمه ، وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى
شفيت «وحشى» غليل صدرى

واذ تناهى اليها نواح الثكالى من دور المدينة ، صاحت فى اشتفاء :

شفيت من «حمزة» نفسى بأحد
حتى بقرت بطنه عن الكبد
اذهب عنى ذاك ما كنت اجد
من لذعة الحزن الشديد المعتمد

فيقال ان « عمر بن الخطاب » اغرى « حسان بن ثابت » بالرد عليها ، فاقذع فى هجوها ايما اقذاع

وعادت « هند » الى مكة ترعى النار المشبوبة فى قريش لحرب محمد ، وتؤجج الحقد والبغضاء فى قلوبهم ، وترقب فى غيظ وجزع ، صعود نجم النبى الهاشمى ، وتغلغل دعوته فى انحاء الجزيرة

□

ومضت سنوات خمس ، و«هند» هنالك تقود معركة الشرك ، وتأبى على « ابى سفيان » ان يضع السلاح رغم بوادر الهزيمة الماحقة .. حتى امست ذات ليلة من العام الثامن للهجرة ، و « محمد » رابض على ابواب مكة ، فى عشرة آلاف مقاتل يفتدونه بالمهج والارواح ، ويرون الموت فى سبيل دعوته مجدا وانتصارا

وبعثت قريش قائدها «اباسفيان» يستطلع النبأ ، وبقيت هند هنالك تنتظر أوبته وما يقر لها قرار من قلق وجزع

وعاد « ابو سفيان » ليعلن فى قومه انه اسلم ، ويطلب اليهم ان يكفوا عن القتال حقنا لما بقى من دماء . واضاف وهو يلمح « هندا » تتحفز لهجوم :

ـ فمن دخل دار ابى سفيان فهو آمن

فما راع القوم الا ان وثبت «هند» فاخذت بشارب زوجها وصاحت فى الجمع المحتشد من قريش :

ـ اقتلوا الحميت الدسم الاحمس! قبح من طليعة قوم !

فتمالك « ابو سفيان » نفسه وقال :

ـ ويلكم ، لاتغرنكم هذه من انفسكم فانه قد جاءكم ما لاقبل لكم به، فمن دخل داري فهو آمن

دمدموا فى غيظ ويأس :

ـ قاتلك الله ، وما تغنى عنا دارك؟

قال :

ـ ومن اغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن

فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد ، ونفرت « هند » غاضبة فدخلت مخدعها وتقنعت بخمارها ، وهمت بالخروج وقد اعتزمت امرا

وعبثا حاول « ابو سفيان » ان يستبقيها خوفا عليها من القتل ان هى غادرت مأمنها ، فما نسى المسلمون قط فعلتها بأسد الله وأسد رسوله يوم احد

وكان قد ذاع فى « مكة » ان « هندا » احدى نسوة اربع ، امر الرسول بقتلهن ولو وجدن تحت أستار الكعبة

لكن « هندا » لم تبال ، وخرجت من الدار متنكرة متنقبة ، فجاءت الرسول وقد جلس على « الصفا » يبايع الرجال من قريش على الاسلام

وانتظرت حتى فرغ صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال، فتقدمت فى نسوة قريش تبايع معهن !

قال الرسول وقد دنون منه :

ـ تبايعننى على الا تشركن بالله شيئا ؟

قالت هند وقد لحظت اختلاف صيغة المبايعة عما سمعت مع الرجال:

ـ والله انك لتأخذ علينا امرا ماتأخذه على الرجال ، وسنؤتيكه !

قال الرسول :

ـ ولا تسرقن ؟

اجابت هند وقد خانها حرصها على التنكر :

ـ والله ان كنت لاصيب من مال ابى سفيان الهنة والهنة ، وما ادرى اكان ذلك حلا لى ام لا

فقال الرسول وقد عرفها :

ـ وانك لهند بنت عتبة ؟

فلم ترتجف ، بل أجابت من فورها :

ـ انا هند بنت عتبة ، فاعف عما سلف عفا الله عنك

فصمت الرسول فترة ، ثم استأنف المبايعة :

ـ ولا تزنين ؟

قالت هند :

ـ يا رسول الله ، وهل تزنى الحرة؟

قال الرسول :

ـ ولا تقتلن اولادكن ؟

فلم تملك « هند » نفسها ان قالت :

ــ وهل تركت لنا ولدا ؟ قد ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا

فتجاوز الرســـول عنها ومضى يقول :

ــ ولا تأتين ببهتان تفترينه بين ايديكن وارجلكن ؟

فهتفت الجامحة :

ــ والله ان اتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التجاوز امثل

وقال الرسول :

ــ ولا تعصينني في معروف ؟

فأجابت هند :

ــ ماجلسنا هذا المجلس ونحن نريد ان نعصيك في معروف

فأمر الرسول صاحبه « عمر » ان يبايعهن ، واستغفر ــ صلى الله عليه وسلم ــ لهن الله

وآبت « هند » الى دارها مسلمة فوقعت عيناها على صنم كان لها هناك ، فهجمت عليه وحطمته فلذة فلذة وهي تقول :

ــ كنا معك في غرور !

ثم سكنت هنالك ، عاكفة على تربية ولدها «معاوية بن ابي سفيان» تصنعه على عينيها حتى ماتت

وبقي طيف منها يراوح فتاها في العشي والابكار ، حتى حقق حلمها الكبير ، فكان اول ملك في الاسلام وساد العرب والفرس والروم ، وورث عروش الاكاسرة والقياصرة والفراعين ، ليسلمها ملكا وراثيا الى ابنه « يزيد » حفيد آكلة الاكباد ، ثم الى بني امية من بعده قرونا ذات عدد ، في المشرق والمغرب

التعجل ام التردد ؟

حينما صحت عزيمة الخليفة العباسي « المنصور » على الفتك بقائده الأكبر أبي مسلم الخراساني ، فزع من هول ذلك الموقف وزيره عيسى بن موسى ، فكتب الى المنصور يقول :

اذا كنت ذا رأى فكن ذا تدبر
فان فســـاد الراى أن تتعجـلا

فأجابه المنصور :

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة
فان فســـــاد الراى أن تترددا
ولا تمهل الأعداء يوما بغـــدوة
وبادرهمو أن يملـكوا مثلها غدا

نهضة الشرق

أثارت اهتمام الغربيين

تحولت انظار الغرب فى خلال السنوات العشر الاخيرة الى الشعوب العربية تحولا ظاهرا . فقد كانت العناية بهذه الشعوب تكاد تنحصر فى بريطانيا وفرنسا ، ولاسباب سياسية استعمارية قبل كل شيء ، فى حين أن أوروبا وامريكا اليوم ، حكومات وشعوبا ، تتنافس فى الوقوف على احوال البلدان العربية من شتى النواحى الثقافية والحضارية والسلالية ، والدينية ، علاوة على السياسية والاقتصادية . وقد اصبح هذا التنافس على التعرف عليها ، والتهافت على دراستها فى الحكومات والهيئات والجماعات والاندية ، بدعة جديدة كالازياء الحديثة ، يقبل عليها الناس تقليدا لسواهم ، لا لمجرد التقليد وانما للمعرفة

عناية شاملة

ولا يسع الذى يتردد اليوم على بلدان أوروبا وأمريكا الآن يجد هذا التحول ملحوظا ، باديا للعيان . فقد كان الزائر من مصر أو العراق مثلا اذا هبط ستوكهولم أو لندن أو شيكاغو أونيويورك ، دعته الاندية والجامعات والهيئات الى التحدث عن العاديات والآثار وشيء من العادات والتقاليد الغريبة التى يتخذها السامعون موضوعا للتسلية والدعابة . وقد تغير هذا الوضع ، فأصبحت العناية جلها أو اكثرها بصميم الحياة اليومية فى البلدان العربية فى هذا العصر وفى كل ما يمس الفكر والعاطفة ، وما يتعلق بمستوى العيش ومصادر الثروة ، وشئون التربية والزراعة والصناعة ، ومدى انتشار التأليف والنشر ، ونهضة العلوم والفنون الجميلة ، وتصادم الحضارات القديمة مع المدنية الغربية فى القرن العشرين

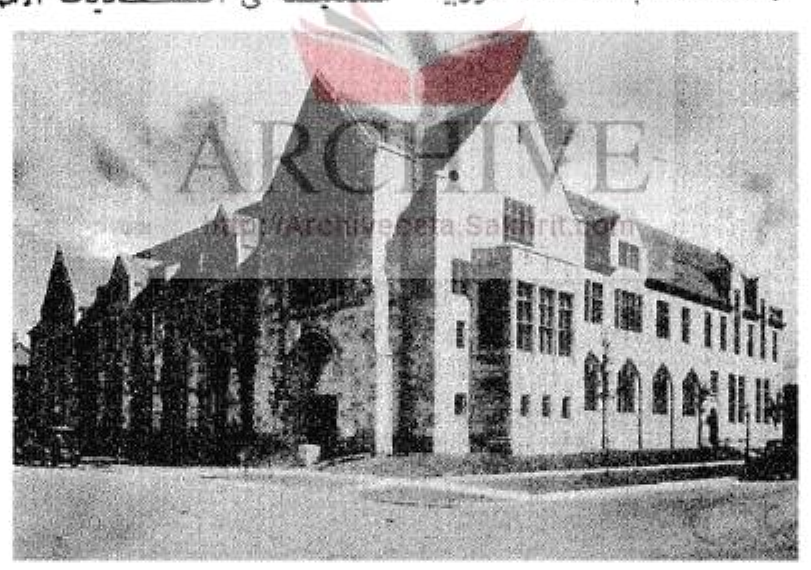
ويتضح لمن تتبع تحول هذا التيار ، أننا اذا غضضنا الطرف عن اهداف فرنسا وبريطانيا الاستعمارية السياسية ، كانت عناية الشعوب الاوربية والامريكية بالبلدان الاسلامية العربية بالامس مقصورة على كل من التراث الفرعونى ، والبابلى ، والاشورى ، والفينيقى ، والعربى ، بوصفها حلقات فى سلسلة التمدين الانسانى . اما اليوم فتنسب هذه العناية الملحوظة الى عدة اسباب : منها نهضة هذه الامم وجهادها فى سبيل الاستقلال ، وتجانس سكانها واشتراك مصالحها اللغوية والثقافية

والاجتماعية ، وتجمعها كتلة واحدة تحتضنها قارات ثلاث ، وارتفاع اصواتها فى هيئة الامم المتحدة والجامعة العربية وظهور الذهب الاسود فى المملكة العربية السعودية والعراق ، والكويت ، وقطر ، وغيرها من الامارات الواقعة على شاطىء الخليج الفارسي ، بكثرة لم تكن فى الحسبان ، هذا فضلا عن أن كتلة البلدان العربية اصبحت قوة هائلة من الناحية السياسية ، اذا انحازت ميولها ومصالحها الى أحد المعسكرين فى هذه الحقبة من الزمن رجحت كفته على الآخر ، أو على الاقل سببت لهذا الآخر متاعب لا طائل تحتها

اهتمام الجامعات والمؤلفين

وقد كانت الجامعات الاوربية والامريكية قبل الحرب العالمية الثانية مقصورة دراساتها ، فيما يختص بالبلدان العربية على اللغة العربية ، وشيء عن الاسلام وحسب .

وكانت دراسة اللغة العربية لاتشمل اللغة الحديثة المتناولة فى الكتب والصحف والمجلات المعاصرة ، بل كانت مقصورة على اللغة الكلاسيكية . اما اليوم ، فقد اتسعت هذه الدراسات ، فشملت اللغة العربية فى جميع العصور الى يومنا هذا ، وشمل بعضها اللغة العامية . فمنها من اختص بلهجة مصر ، ومنها من اختص بلهجات سوريا ولبنان والعراق والجزيرة العربية ، أو بلهجات شمال افريقيا ، وليس هذا فحسب بل امتدت الدراسات الى بحوث مستفيضة فى اقتصاديات الامم



« المعهد الشرقى » بجامعة شيكاغو بامريكا ، وهو معهد مخصص للبحث فى أصول الجنس البشرى والمدنية القديمة

العربية ، واجتماعياتها ، وثقافاتها ، وتسابقت المجلات الكبرى ودور النشر ، فى الالتجاء الى الاخصائيين لاعداد المقالات والكتب ، فى شتى هذه النواحى ، فتهافت الناس على شرائها

وقلما يقف الزائر امام مكتبة فى لندن او مدريد او روما او لهاى او كوبنهاجن ، او فى اية مدينة او بلدة من مدن اوروبا والامريكتين ، بغير ان يرى فى نافذة العرض كتابا من الشرق الادنى او الاوسط كما يسمونه ، بلغة تلك البلاد . وقلما تقلب صفحات مجلة فى تلك البلاد ـ علمية كانت او اجتماعية او اخبارية او فكاهية او فنية ـ بغير أن تراها مفعمة بالمقالات الموضحة بالصور ، مما جعل سكان الغرب يقبلون على هذه المقالات وتلك الكتب بشغف عظيم وحب استطلاع ملح ، وهم يتساءلون : ترى ماذا يضمر المستقبل لهذه الشعوب ؟ وما وراء نهضاتها ؟

وقد زاد هذه العناية حركة التبادل الثقافى التى اخذت فى الانتشار فى السنوات الاخيرة ، منها ما تقوم به الحكومات كنظام « فولبرايت » الامريكى ، وتبادل الاساتذة والطلبة بين بعض الحكومات الاوربية والبلدان العربية ، ومنها ما هو خاص كمؤسسة فرنكلين التى تنشر كتبا انجليزية مترجمة الى العربية وكتبا عربية مترجمة الى الانجليزية ، وكمجلس التعليم الامريكى الذى قام بدراسة واسعة النطاق لنظم التربية فى بلدان الشرق الاوسط العربى ، ونشر عنها مجلدا ضخما باللغة الانجليزية ، كما نشر الوفا من ترجمته العربية . هذا فضلا عن العدد الغفير من السياح الناطقين بالضاد الذين يزورون عواصم أوروبا وأمريكا ، فيسترعون انظار سكانها بملابسهم الوطنية ، وتمكنهم من اللغات الاجنبية ، والمحاضرات التى يلقونها ، والاذاعات التى يقومون بها على الراديو والتليفزيون بدعوة من الهيئات والاندية والحكومات ومعاهد التعليم والمجالس الخاصة

امريكا اشد اهتماما

ولعل امريكا أشد بلاد العالم اهتماما بالشعوب العربية ، ففيها من الهيئات ما يدل اسمها على اغراضها بغير تعليق ، مثال ذلك جماعة الشرق الادنى ، وغرضها « التفاهم المتبادل بين شعوب الشرق الادنى وامريكا » ، ومؤسسة الشرق الادنى ، وهى كسابقتها هيئة غير حكومية ، تماثل النقطة الرابعة (وهى حكومية) فى اغراضها تقريبا ، وجماعة كليات الشرق الادنى ، وهى هيئة غنية تعنى بعدة معاهد علمية منتشرة فى البلدان العربية وفى تركيا واليونان ، وجماعة اصدقاء الشرق الاوسط التى انشأتها الصحفية الامريكية الشهيرة « دوروثى طمسن » . وليست هذه الهيئات حبرا على ورق ، ولكنها جماعات عاملة نشيطة ، يراسها اكابر القوم ، ولها محالها المختارة فى احياء نيويورك وواشنطون الممتازة



لفيف من اعضاء جمعية اصدقاء الشرق الاوسط الامريكية اثناء احد الاجتماعات بنيويورك

وغيرها من مدن الولايات المتحدة ، وتعقد فى ديارها اجتماعات دورية ، يدعى اليها الشخصيات العربية البارزة التى تزور امريكا ، كما تعقد مؤتمرات من حين الى حين فى الفنادق الكبرى وقاعات المحاضرات ، تلقى فيها الخطب والبحوث من امريكيين ومصريين ولبنانيين وسوريين وعراقيين

وهناك مجلة الشرق الادنى ، وهى شهرية ، ولا تحتجب الا فى شهرى يوليه واغسطس ، وتصدرها جماعة الشرق الأدنى ، ومثلها « صحيفة الشرق الأوسط » ، ومجلة « شئون الشرق الأوسط » . وهذه الاخيرة تنشر تقاريظ لأهم الكتب العربية

جهود الشخصيات البارزة

وكان لبعض الأفراد والشخصيات البارزة ، من أميركية وعربية ، اثر يذكر فى توثيق الصلة بين اميركا والشعوب العربية . مثال ذلك الدكتور فيليب حتى الذى اتخذ من كرسيه فى جامعة برنستون ومن كتبه الفذة ، منبراً يلقى منه ضوءا على ما خفى عن هذه الشعوب ، والدكتور وليم ادى ، الذى اتقن العربية حينما كان أستاذا فى كل من جامعتى بيروت والقاهرة الاميركيتين ، ووزيرا مفوضا لأميركا فى المملكة السعودية ، وهو من الرجال العاملين فى جماعة أصدقاء الشرق الاوسط . والدكتور دودج المليونير ومدير جامعة بيروت سابقا، ودفاعه المجيد عن البلدان العربية وعنايته بشئونها لايحتاج الى دليل .

وقد استعانت جامعة كلومبيا بالدكتور آرثر جفرى الذى قضى عشرين عاما فى دراسة العربية فى القاهرة ، فأسندت اليه رئاسة قسم اللغات الشرقية بها . هذا عدا عدد كبير من أمثاله من البلدان العربية من مصريين ولبنانيين وعراقيين فى جامعات اوربا وأميركا

(ا . ب)

قصة مصرية

جاء الشتاء



بقلم الأستاذ محمود تيمور



الشتاء على الأبواب ...

انه ليشعر الناس بمقدمه الخوف وانه ليقدم دائما فى موكب من ضجة واصطخاب. اليس هو موسم العواصف والزوابع ، موسم الرعود والبروق ، فكيف ترجو اليه ان يقبل عليك فى سكينة وهدوء ؟

الشتاء على الابواب ... لا خيرة للناس فى استقباله ، فليس لهارب منه نجاء ، سيان عنده من هش له ، ورحب به ، ومن نقم عليه ، وتحرز منه

كانت أسرة « العنتيل » ممن يمقتون الشتاء ، ابغض شيء اليها هذا الزائر البارد الطلعة ، الثقيل الوطأة . هذا الذى يعلن قدومه فى هجمة غاشمة ، لا يأتى البيوت من ابوابها فى تحشم واستحياء ، ولكن يقتحم النوافذ والمسارب والشقوق فى اجتراء ، فيزلزل السماء والارض ويقلب الكون رأسا على عقب

واسرة « العنتيل » تأوى الى بيت من تلك البيوت المهشمة التى عاثت فيها تصاريف الزمان ، ينزوى فى أطراف حى « القلعة » ، كأنه جندى اثخنته الجراح فتخلف عن رفاقه فى الميدان ، وبقى وحده يعانى سكرات الموت

وذات عشية من شهر نوفمبر ، راع الأسرة أن السقف فوقها يضطرب كأنه يوشك أن يخر ، وان الارض من تحتها تميد كأنها توشك ان تنخسف ، وان مصاريع النوافذ تتصادم وتتضارب . فى هذه الليلة ، علمت الاسرة على يقين ان وافد الشتاء قد حل، وانها تستقبل مكاره ذلك الضيف الثقيل ، فعليها أن تتجهز له ، وأن تروض نفسها على مصاحبته ، حتى يرحل عنها بعد اشهر معلومات ...

وهرول « العنتيل » الى صوان الملابس ، فجعل يقلب فى محتوياته لكى يتفقد معطفه القديم الذى لزمه شتية متوالية ، حقا تدسست الى هذا المعطف عوامل الرثاثة والبلى ، ولكنه استطاع ان يسبغ الدفء على صاحبه ، وان يحميه خلال الشتاء من معقبات البرد القارس

اطال « العنتيل » بحثه فى اركان الصوان وزواياه ، فلم يجد للمعطف من اثر ، فاقبل على زوجه يسالها عنه ، ولكنها ابت أن تنصت له ، اذ كانت بمتاعها هى وأولادها فى شغل ، فتابع الرجل سؤاله فى الحاح واهتياج . فرفعت الزوجة بصرها اليه مدهوشة تقول : « اى معطف تسالنى عنه ؟ المعطف المهلهل الذى علمت منك غير مرة انك زاهد فيه لا ترتديه ، وانك معتزم شراء معطف جديد ؟! »

ـ انى فى حاجة اليه ... على به

ـ الست معتزما شراء معطف جديد ؟.. قولى لى : اين أجد معطفى القديم ؟

ـ لقد جاءنى أمس الرجل العجوز المسكين ، ساعى الادارة الذى يعمل تحت امرتك ، فأشفقت عليه من برد الشتاء ، واعطيته المعطف ، التماسا لدعوة صالحة منه

وفغر « العنتيل » فاه مذهول النظرات ، وكاد الغضب يبلغ به حد الثورة ، لولا أن عاجلته الزوجة بقولها : « أنت رجل عطوف القلب ولك عند الفقراء مآثر ، والالسن تلهج بالثناء عليك ، فهل تبخل على ساع مسكين بذلك المعطف القديم ؟ »

واطرق الرجل يفكر هنيهة ... لقد صدقت زوجه فى وصفها اياه بانه حسن الأحدوثة فى الناس ، وأن قلبه فياض بالخير والبر ، ولكن ذلك كله لا يبلغ عنده مبلغ التفريط فى معطفه العتيد ، ذلك الرفيق الكريم الذى لا يعوض ... لا ينكر « العنتيل » انه تحدث يوما فى شأن اعتزامه شراء معطف جديد أنيق ، يلائم منصبه فى رياسة قلم التسجيل بمصلحة التنظيم . ولكن اين المال الذى ينيله ذلك المطلب المرموق ؟

وهم بان يأخذ على الزوجة سوء تصرفها حين وهبت المعطف ، قبل أن تستأذنه ، فألفى الزوجة تسبق اليه وهى تقول : « الم يؤكد لك رئيسك انك حاصل على الترقية حتما هذه الايام ؟ سيتيسر لك المال فلا تحمل هما لثمن المعطف الجديد»

والفى « العنتيل » نفسه يغمغم وفى الصبيحة من غده ، ترك بيته قاصدا مصلحة التنظيم ، كدابه كل يوم ، فما كاد يتخطى عتبة الباب حتى تعاورته الرياح ، فأسرع يتكمش فى اهابه ، ويضم حواشى سترته اليه ، ورفع بنيقة السترة يحمى عنقه الهزيل المعروق . ثم جد فى السير ، كأنما يبارى هذه الريح الهبوب . وفى أثناء سيره بنى عزمه على أن يتحدث الى مدير الادارة فى امر الدرجة المرجوة ، حتى اذا نالها استطاع أن يحصل على معطف جديد يجابه به جبروت الشتاء ، ويزهو بجدته على الأقران

واقبل على حجرته ، فكان أول من لقيه الساعي العجوز ، ربيب نعمتــه ، ذلك الذى تلقى من يد الزوجة هبة المعطف العزيز ... وتراءى له الساعي وضاح الجبين يرفل فى معطفه ، لا يبالى عصف الهواء،وطفق يتقافز حول«العنتيل» مرحبا به ، شاكرا له ، يرفع له يديه بصالح الدعاء ، فرد « العنتيل » تحية الساعى – أو الداعى – فى لهجة طابعها التحفظ والاستعلاء ، وراح يرمق المعطف وهو يلف جسم الرجل العجوز ، كأنه درع سابغة تكفل له الوقاية والأمان . ثم انفتل يجلس الى مكتبه،وهويسوى بنيقة سترته ، وجعل يبسط قامته ، ويرفع هامته ، يريد أن يبدو فى مظهر شاب رياضى يتحدى عوادى الاجواء

ولبث بعض ســاعة فى لمة من اخوانه ، يخوض معهم فى حديث مملول ، حتى علم بمقدم المدير ، فانطلق الى حجرته يحييه تحيـة الاصباح ، فى ادب بالغ ، فألفاه يخلع معطفه ، فابتدره يتلقاه عنه ، وحمله فى عناية الى المشجب عن كثب منه، ثم انعطف يقول : « كل عام وانتم بخير ... لقد بكر الشتاء هذا العام وقد احسنت صنعا بارتداء المعطف»

فهمهم المدير : « الحيطة خير »

– حقا ان الحيطة رأس الحكمة، ولكنها ليست ميسورة لكل راغب

فنظر اليه المدير بمؤخر عينيه يقول : « كيف ؟ »

– متى استطاع المرء ان يحتاط كان له أن يفعل ، فاذا لم يقدر ...

وفطن المدير الى ان « العنتيل » يطاوله فى الحديث لحاجة فى نفسه فزوى حاجبيه ، وقال له : « كل امرىء يستطيع ان يدبر امره ، جهد طاقته ، وفى حدود ملابساته »

واتكأ المدير على مكتبه،يتشاغل بتقليب ما بين يديه من أوراق ، فتدانى منه « العنتيل » يقول فى نبرات ضارعة : « كيف ندبر أمرنا ونحن على حال من السوء لا نملك معها شيئا من التدبير ؟ »

فرماه المدير بالنظر الشزر،وقال له : « لقد رغبت اليك امس فى انجاز الرسائل المعطلة ، فانشط لها اليوم »

فشرع « العنتيل » يفرك يديه ، وهو يقول : « عندى كلمة واحدة أحب أن أبلغها سيادتك » . فقال له : « قلها واوجز »

– الدرجة ... الدرجـة التى وعدتنى بها ، هذا أوانها ، فأنا فى ضائقة ، وهذا هوالشتاء قد اقبل ، وما أشد احتياجى الى معطف

– الم يبلغك أن التعليمات تقضى بتأجيل الترقيات ؟ ليس فى مكنتى أن أرشحك للدرجة الآن ...

– وهل ينتظرنى الشتاء حتى تنتهى فترة التأجيل ؟ لا بد لى من معطف ، وأنت مستطيع ان تتصرف فى الأمر بحنكتك ، حتى أنال الدرجة الآن

– مبلغ علمى أنك تملك معطفا

فاشـاع « العنتيل » ابتسامة شاحبة على فمه ، وقال : « انه معطف أكل عليه الدهر وشرب »

وراح يتصنع الضحك فى تظرف، وهو يختلس النظر الى المدير ، ولكن الرجل ازداد من قطوب ، وقال له مخشوشن الصوت : « عليك ان تقنع بمعطفك القديم ! »

ـ انه مهلهل يا سيدى ، وما يليق بمثلى فى مكانه من رياسة قلم التسجيل أن يبدو فى أسمال ...

فصاح به المدير : « انك تنظر الى الدنيا بمنظار عتيق ، فجدد عقليتك واعلم اننا الآن فى عصر التقشف والاقتصاد وضغط النفقات ... لقد ولى عصر البذخ والتفاخر ... لا اسراف بعد اليوم ! »

فاصفر وجه « العنتيل » وتلعثم لسانه وهو يقول : « بذخ ... تفاخر ... اسراف ... لا شىء من هذا كله »

فجلجل صوت المدير بقوله : «لعود التقشف بضغط النفقات... الترقيات مؤجلة ... لا تضيع وقتك سدى »

وادبر « العنتيل » من مكتب المدير يجرر قدميه ، وهذه الكلمات تطن فى أذنيه : التقشف ، ضغط النفقات ، لا اسراف بعد اليوم !

ولم يكد يخطو فى البهو بضع خطوات حتى لاح له شبح «عم مؤمن» الساعى العجوز ، وهو فى معطفه السابغ يخب ، فحدجه بنظرة نكراء ، ثم ازور بعينه عنه ، وتابع خطوه على وجه قتام

وحاول « العنتيل » غير مرة ان يثير عند مدير الادارة حديث الدرجة المنشودة عله يحظى بوعد تطمئن به نفسه ، فلم يجد من المدير الا ترديد نصائحه الصاخبة فى شأن التقشف المطلوب ، والنفقات التى يجب أن تضغط ، والاسراف الذى انقضى عهده منذ اليوم . فاستيأس الرجل وتوارى طيف المعطف الجديد من مخيلته ، حتى لم يبق له أثر ، بل انه لم يعد يطمع فى أن يظفر بمعطف أى معطف ، وأن يكن لبيسا من سوق الاسقاط !

ومن أين له بصيص من الامل ، وهذا مرتبه الضئيل تبتلعه مطالب البيت فى مطالع الشهر ، ولا يكاد يسد الفاقة فى سائر الايام ، فلابد معه من الاقتراض . فلكل شهر دين يضاف الى دين ، وان الديون لتبلغ مبلغا يبعث فى جسم الرجل قشعريرة دونها قشعريرة البرد . لا غرو اذن ان ينتهى الأمر بالرجل الى قرار حاسم ، ذلك أن يقضى الشتاء بلا معطف ، وليكن ما يكون !

ولحظ الناس من شأن «العنتيل» انه قد أصبح على حين بغتة داعية من دعاة التقشف وضغط النفقات، لا يفتأ يبشر بالدعوة فى كل مكان ، تارة يتغنى بها لسانه فى طرب ، وتارة يتحمس لها ويخاصم عليها فى اهتياج ، ولطالما بح صوته وهو يقول : « الاسراف ... الاسراف انه آفة البلد .. انه علة العلل ... علينا ان نناهضه ولا نتهاون به ... لنتخذ من التقشف سناداً ندعم به حياتنا الاقتصادية التى اغرت بها الجهالة والغباوة والحمق ... اياكم

والسرف ... وازنوا بين الدخل والخرج ... اضغطوا النفقات ! »

بمثل هذه الجمل والعبارات ، كان يتحدث الى أقرانه فى العمل ، وجلسائه فى المشرب ، واهله فى البيت ... فذاع أمره وشاع ، وحلا لبعض الظرفاء أن يلقبه « بطل التقشف » فعرف بهذا اللقب ، وتسامع به الناس ، فتناقلته الافواه فى تهكم كظيم !

وعلم مدير الادارة بما صار اليه أمر « العنتيل » فرضى عنه ، واغراه بالمزيد ، اذ كان له فى ذلك صارف عن أقلاقه باطلاق الدرجات وصرف العلاوات ... وهذا فضل عظيم !

وتعمق « العنتيل » فى دعوة التقشف وضغط المصروفات ، فاذا هى فى رأسه فلسفة شاملة يطبع بها آراءه فى الحياة ، ونظراته الى الناس،تراه فى مجرى حديثه الدارج الى الرفاق يتطرق الى موضوعات اجتماعية نفسية ، يطبق عليها قواعده الجديدة ، فان تحدث مثلا فى « فلسفة العادة » أسهب يقول :

« يسير علينا أن نكتسب الحميد من العادات ، وأن نبرأ من كل عادة سيئة ممقوتة متى كانت لنا ارادة .. ارادة صلبة... ارادة من حديد .

هاكم مثلا ، لا أتصيده لكم من بعيد، فانى أنا « المثل » !... لقد اعتزمت هذا العام أن أعود جسمى احتمال ما يأتى به الجو من أهوية وعواصف فمن العار أن يستعبدنا هذا الشتاء وأن يريدنا على ارتداء اكسية نحن عنها فى غناء ... لقد تمردت على البرد ، ورفعت فى وجهه راية العصيان ، وأبيت أن أرتدى معطفا كما كنت أفعل،وهاأنذا أصرع الشتاء فى عزم ومضاء...من شاء أكتساب عادة أو انتزاع عادة ، فليكن سلاحه قوة الارادة ! »

وما أن يبلغ الرجل من خطابه هذا المبلغ ، وهو فى فورة من حمية وتحمس ، حتى يشتد به العطاس ، ويحتد عليه السعال ، فاذا جلساؤه يتبادلون النظرات ، وقد تراصت على أفواههم بسمات السخرية ، وتسابقت على السنتهم كلمات التنادر

أما علاقة « العنتيل » بالساعى العجوز « عم مؤمن » ذلك الذى نال المعطف ونعم به ، فكانت علاقة يشوبها شىء من الغموض والانقباض على الرغم من مظاهر الألفة التى تبدو للعيان فى كثير من الاحيان

ان الساعى ليذكر « العنتيل » جميل صنعه به،فهو يكن له التكريم والاكبار ، ويحرص على خدمته ما وسعه أن يحرص ، ولكنه لا يملك الا أن يستريب منه ببعض تصرفات قاسية لم يكن يعهدها فيما سلف من أيام

ان « العنتيل » يلقاه فى هشاشة وبشاشة ، ويمتدح اخلاصه وولاءه بيد أنه ينتهز بعض الفرص ، فيغمزه غمزات يألم لها أشد الألم ، وهو يكيل له فى الحين بعد الحين ألوانا من النقد والتهكم تثير عليه من حوله فيسخرون منه أو يشمتون به ، أو يصبون عليه جام اللوم والتثريب

ولا ينسى « عم مؤمن » انه كان يوما متخذا جلسة راحة واستجمام وقد أخرج علبة من لغائف التبغ ، يبغى ان يدخن واحـــدة ، فاذا « العنتيل » يهل عليه فى جمع من الرفاق ، وبين يديهم أوراق يريدون عرضها على المدير ، فاستوقفهم « العنتيل » امام الساعى العجوز ، فاضطرب الرجل فى جلسته،فنهض يلم شعثه ، وهم بان يوارى علبة اللغائف فىجيبـه ، فما كان من « العنتيل » الا أن عاجله ينتزع العلبة من يده ، وهو يصيح فى لهجة مريرة ، ظاهرها مزح ومفاكهة :

ــ ما شاء الله كان... ما شاء الله كان ... علبة لغائف «الجمل» ... اللغائف الفـاخرة ... يا لحظك العظيم !

فجعل الساعى يلغو ولا يكاد يبين ثم حاول ان يتضاحك وهو يقول :

ــ حقا ما أعظمه من حظ ...

ولكن الا تعلم يا سيدى ..

فقاطعـه « العنتيل » متعاليا بضحكته العابثة : «انك تؤثر الدخان الامريكانى،لانك ساع امريكانى... لا نظير لك ... بكم اشتريت هذه العلبة ؟! »

واعتدل « عم مؤمن » فى وقفته، وهو يجاهد فى مسايرة هذه المناكفة الثقيلة بقـوله : « ليست هـــذه يا سيدى علبة اشتريتها ... انها حطام علبة ... صادفتها ملقاة فى زاوية من حجرة المدير... لا تحوى الا لفافتين محطمتين مثلى ! »

فأخذ « العنتيل » بيد الساعى ، وهو يقول : « لا تحسـبنا ننخدع بهذا الكلام ... انت رجل لك عقلية رجعية سيئة ، فلتقوم عقليتك ، وانى لوجه الله انصح لك ... مالك ولتقاليد السادة المترفين ؟! »

ثم طفق يربت ظهره،وهو يقول: « ارجع على نفسك بما تنفقه فى سبيل التدخين... اشتر ما ينفعك. ذلك خير وأولى »

واستأنف « العنتيل » سيره مع الرفاق ، وهم يتنـادرون على الساعى العجوز المسرف الذى يأبى الا ان يتعاطى الفاخر من الدخان وظل الساعى ماثلا فى وقفته ، يحدق الى « العنتيل » ورفاقـه بعين تضطرم ، ثم قذف بعلبة اللفائف فى عرض البهو ، وهو يبرطم ويزمجر

ولا ينسى كذلك « عم مؤمن » انه كان مرة يقضم من شطيرة ضئيلة يسد بها جوعته ، والوقت ضحى ، والحركة على اشـــدها فى مكاتب الموظفين ، ففجأه « العنتيل » وهو يأكل ، وخدجه بنظرة شزراء ، وقال له : « سبحان الله ... انت دائما لا يفرغ لك طعام ... ما رأيتك الا مشغول الاضراس بشىء تأكله ! »

فأسرع الساعى بدرأ التهمة عن نفسه بقوله : « أقسم لك يا سيدى انى خرجت من الدار دون أن أصيب فطورى . فلاحقــه « العنتيل » محنقا يقول : « وما حاجتك الى الفطور فى الدار ، وفى مقدورك أن تخرج لتتناوله فى « جروبى » أو « سميراميس » أو ما شئت من مطاعم العظمـاء ؟!... يا ناس ،

جانبوا الجشع . . اقمعوا شهواتكم اين التقشف ؟ »

فتلاحق السعاة يسمعون حديث « العنتيل » ، فالتفت اليهم يقول : « الدنيا كلها تسير فى منحى ، و « عم مؤمن » ساعى الادارة يسير فى منحى وحده ! »

ومضى منتفشا يترنح فى مشيته، والساعى يشيعه بغمغمة ثائرة تحتبس بين شدقيه . . .

وتكررت أمثال هذا المشهد العصيب ، والساعى العجوز فى دهشة وحيرة ، يعجب لما يجبهه به « العنتيل » من مناكدة وعنت ، ويرجو أن يرجع الرجل الى سابق بره به ، واحسانه اليه

واستمرت الحال على هذا النحو . كلما تعالت ولولة الرياح ، واشتدت صولة الشتاء ، ازدادت حماسة « العنتيل » فى الدعوة الى التقشف وضغط المصروفات ، وتوهجت بطولته فى النهى عن البذخ والترف وتبع ذلك كله انتهاز كل فرصة للتهجم على « عم مؤمن » وانتقاء عثراته ، والانحاء عليه باللوم والتقريع ، واتهامه بأنه مسرف متلاف

وتداعى الناس الى « اسبوع معونة الشتاء » وتنادوا بالاقبال عليه والبذل له ، واذن بالمسير فى طول البلاد وعرضها «قطار الرحمة» حافلا بالامتعة والاكسية يوزعها على المعوزين والعجزة ، وتطايرت أخبار مواكب المعونة تجول فى الأحياء،وتخترق المسالك والدروب تجمع من البررة الأسخياء ما فضل عندهم من أثواب وأشياء ، لترجع بها على المحرومين والعفاة

وجلجل صوت « العنتيل » فى مصلحة التنظيم بحث الرفاق على التصدق مذكرا بحق السائل والمحروم ، مشيدا بما يلقاه المحسن عند الله من مثوبة وجزاء

وحل اليوم المشهود ، ودخل « موكب المعونة » دار المصلحة ، ليتلقى عطايا الخيرين من ألوان المتاع واخذ الموكب يتنقل بين الحجر والمكاتب ، محوطا بالحشد الزاخر ، ومن حواليه صياح التهلل والتحمس والترحاب

ومضى الموكب يجتاز البهو الى الحجرة التى تضم « العنتيل » ورفاقه ، فما أن تدفق الجمع على الحجرة حتى اعتلى « العنتيل » مقعده ، وانبرى خطيبا يؤيد هذه الروح التى حدث الى معونة الفقراء على مكابدة الشتاء،فقوطعت خطبته بالتصفيق الحاد ، ونزل عن الكرسى يتبرع بلفيفة انطوت على طربوش قديم جلبه معه من البيت ليجود به فشكر له القائمون على موكب المعونة وابتعدوا عن الحجرة يتلقفون ما يسخو به المتبرعون من هنا وهناك ، فتبعهم « العنتيل » الى البهو ، وفيما هو يرجع اذ حانت منه لفتة الى الركن الذى يخلد اليه السعاة عند الفراغ من العمل . وكان على احد الكراسى شىء يتخايل ، فما ان لمحه « العنتيل » حتى جعل

ينتهبه بنظرات سراع ، ثم احس بقلبه يخفق ، ويديه ترتجفان ، وفى هـذه اللحظة كان الموكب يتأهب لمبارحة المصلحة ، والناس من خلفه حشود ، فالفى « العنتيل » قدميه تدفعان به الى ركن السعاة ، واذا هو يختطف ذلك الشيء الملقى على الكرسى ، ويعجل به الى الموكب ، وهو يتصـايح : « هـذه منحة « عم مؤمن » ساعى الادارة ... لقد أوصى لكم بها ... ومن تطوع خيرا فهو خير له ! »

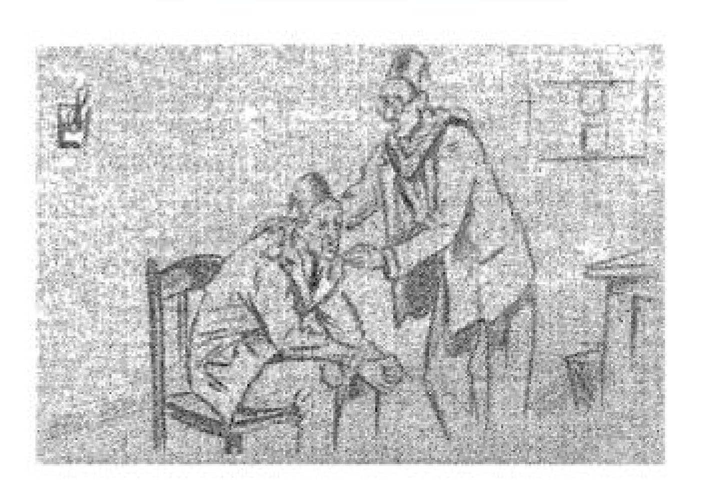
ودفع المعطف الى الرئيس القائم على جمع المعونة ، فتلقاه بالحمد والثنـاء ، واصطخبت فى الجو هتافات حارة بحياة « عم مؤمن » ساعى الادارة الهمام !

وبعد قليل خرج الساعى من حجرة المحفوظات فى سرداب المصلحة وكان يودع فيها بعض الملفات ، فلما اقترب من بهو الادارة سمع الهتاف باسمه فهرول يستخبر عن سر هذا الهتاف ، فانهوا اليه الخبر ، فانسدلت على عينيه غشـاوة من دهشـة ، وانبعث فى أعقاب الموكب يستنقذ معطفه ، ولكن عز عليـه أن يشق الزحام ، فحـاول أن يزعق بأعلى صوته ، فذابت صرخاته فى عباب الضجيج !

وتراجع الساعى الى ركنه فى البهو والدنيا تدور به ، وصوته يختنق على شفتيه ، وما عتم أن تخاذلت أوصاله ، فتهاوى على الكرسى ، مغشيا عليه ... وفى هذه اللحظة احس الرجل يدين رقيقتين تحيطان به ، وصوتا عطوفا يتحدث اليه ، فرفع جفنيه قليلا يتبين ، فراى « العنتيل » حياله أول من سارع الى نجدته ، والاطمئنان عليه !

وبينما هو على تلك الحال ، كان موكب المعونة يتدفق فى الشارع ، والاصوات تتعالى باسم «عم مؤمن» ساعى الادارة العظيم ، هاتفة بحياته تمجد فيه بطل الخير والاحسان !

[قصة مأخوذة من كتاب « ثائرون » للأستاذ محمود تيمور ، سيصدر فى سلسلة « كتاب الهلال » فى ٥ يناير]



قصة عريب التي اصبحت تسامي بشخصيتها من سبقها من أبطال تاريخ الموسيقى وبطلاتها في عصر بني أمية

عريب المغنية

زهرة البرامكة في مغاني العباسيين

بقلم الدكتور محمود أحمد الحفني

كانت نشأة بيت البرامكة مع البلاط العباسي جنبا الى جنب .. فكما توارث أولئك صولجان الملك خلافة بعد خلافة ، تسنم هؤلاء مناصب الحكم وزارة بعد وزارة . وكانت وزارة جعفر بن يحيى البرمكي هي القمة التي بلغتها تلك الأسرة المحسودة المجدودة في عصر الرشيد . كان هذا الوزير بمثابة خليفة آخر غير متوج ، ففي يده النفوذ ، وفي خزائنه المال ، وفي قصره النعم ، وعلى بساطه فنانو الشعر والغناء ، وفي مقاصيره مايشبه الحور العين من الجواري الفاتنات والقيان الساحرات وهو بينهن كمن يختال في روضة كلها بهجة وجمال

وفي فينة من الفينات أطل عليه الحب بسلطانه القاهر ، وقد نفذت اليه سهامه من لحاظ فاطمة ذات الحسن الذي يقتل ليحيى أو يحيي ليقتل . تلك هي وصيفة أم عبد الله ابن يحيى بن خالد ... وهي وان كانت في قصر أبيه ولكنها بعيدة المتناول ... ها هو ذا يتزايد كل يوم بها كلفا وفيها ولها وهياما . وما أكثر الجواري من حوله ، ولكن تلك التي نزلت من مهجة قلبه هذه المنزلة قد أغلقت عينيه عما سواها. ففكر في أمرها طويلا ، وتوالت أشجانه وأحزانه ، ثم انتهى به المطاف الى طلب يدها من أم عبد الله . وكان له ما أراد ... فهل تدعه المقادير ينعم بسعادته المرجوة ؟.. وهل الزمان تاركه لهذه التي شاطر نجوم الليل السهاد من أجلها ؟.. كلا . فلم تكن الا فرحة أوهام وسعادة أحلام . اذ علم والده يحيى بأمره فاستكثر على سليل الوزارة والمجد أن يبني بمن لا يعرف لها نسبا ولاحسبا ، فخليق بمثله أن تكون ربة قصره سيدة متحدرة من أصول العز المكين ودوحات الشرف الباذخ . ولذلك قال له : « أتتزوج من لا يعرف لها أب ولا أم ، اشتر مكانها مائة جارية وأخرجها »

لقد فجع جعفر اذن في زهرة سعادته الباسمة ، وغلب على أمره ، فالتجأ الى حيلة يلجأ اليها المضطرون فتكون عليهم لا لهم... تظاهر جعفر بطاعة أبيه ، ثم نقل العروس في مطلع فجر سعادته بها

واسكنها منزلا خاصا فى جانب من جوانب بغداد النائية ، واخفى عن والده الأمر ووكل بها من يتعهد امرها وهو يختلف اليها كلما واتته الفرصة ، حتى ولدت له « عريبا » سنة احدى وثمانين ومائة هجرية (٨٢٠ م)

□

ويا لها من وليدة غريبة تعقدت فى وجهها المقادير قبل ان يرى بصرها بصيصا من الدنيا ووميضا من الحياة ! ثلاث من الفجائع والويلات استقبلت وجود هذه الطفلة المسكينة ... اما أولاها فذلك المولد الشاذ فى علاقة الوالدين ، فهى ابنة وزير لا تنعم بحظ بنات الشرطة فى مهدها . انها لا تعرف اين تقع العين على اسمها واسم أبيها فى صحائف المواليد لو كان ثمة سجل للأحياء أو للأموات ... اما الفجيعة الثانية فهى وفاة فاطمة امها ، واتاها الأجل فى حياة زوجها المتنكر ، ففقدت عريب من ابويها الشخص الوحيد الذى لا يتنكر لها ، وحرمت الحبيب الاول والملجأ الأخير. وكان ذلك مدعاة لمزيد حنان الوالد عليها واشفاقه ورحمته ، فعهد بها الى مربية غير مسلمة على سبيل المبالغة فى اخفاء امرها. وحتى هذا الحل لم يدم لعريب فجاءت الفجيعة الثالثة ، ووقعت الواقعة بنكبة البرامكة التاريخية التى اقتلعت شجرتهم واستأصلت جذورهم ، وجعلتهم أحاديث ... فلم تجد المربية بدا من بيع ابنة الجاه الخطير تخلصا منها ومن اسمها ومن ابيها.

فاصبحت عريب أمة تباع وتشترى حتى تملكها عبد الله بن اسماعيل صاحب مراكب الرشيد ... ولو أن الرياح جرت فى طبيعة مجراها لكانت عريب كريمة وزير ، ونبيرة قصر ، وزوجة ملك ، وأم ولى عهد

يا لها اذن من فتاة تاعسة بائسة، تجهم لها الحظ وعبس فى وجهها الزمن ... ولكن هل تصطلح الاقدار بالشقاء على هذه المسكينة آخر الدهر أم لا يزال فى السماء رحمة وفى الارض حنان !

الفن اذن ، ولاشىء غير الفن. لقد حبتها الطبيعة صوتا ساحرا ، ووعيا جبارا ، وعقلا مستوفزا ، وارادة نفسية تريد ان تنتقم لحظها من الدهر العابس العابث . لقد نالت فى صغرها ما كان يعوزها من التسليح الثقافى على أتم وجوهه وأكملها .. فما لبثت عريب بعد قليل من الزمن وكثير من المحن أن اصبحت أميرة من أميرات الفن ، بل هى الفنون كلها مجتمعة . وكان القدر قد صنف منها كتابا ضمن صحائفه صور الحياة الاجتماعية والثقافية فى دولة بنى العباس ابان عظمتها وارتقائها . ولو أتيح لنا فى حلقة واحدة ان نستعرض جملة من الجوارى تفردت كل منهن بناحية من نواحى الجمال والفن ، وكانت فيهن الشاعرة والكاتبة والخطاطة والعالمة والراوية والأديبة والعازفة البارعة والمغنية المطربة ، لكان جميعهن على اختلاف هذه المزايا والصفات اقل من ان يكن عوضا عن عريب التى جمعت ذلك كله الى جمال فاتن وروح تعبث

بالقلوب وظرف يمتلك المشاعر وشخصية لها دوى يهز قصور الخلفاء ويأسر أصحابها خليفة بعد خليفة وعهداً بعد عهد ...

▭

هذه هي عريب التي أصبحت تسامي بشخصيتها من سبقها من ابطال تاريخ الموسيقى وبطلاتها فى عصر بنى امية كانت تبدو شخصيات متعددة فى شخصية واحدة ، ومثلا اعلى لما ينبغى ان تتحلى به جوارى الطبقة العليا ، وقد بلغت القمة فى الموسيقى فنا وعلما ، واداء ، وغناء ، فكان لها من مروياتها احدى وعشرون الف مقطوعة غنائية . ومن له كل هذه الثروة من الرواية فحرى به ان يبدع ويبدع ...

ومع أن عريبا ارتفع بها جدها الباسم الى هذا المرتقى الفنى فقد كان لها خصوم يأخذون عليها الغناء الواهن المتخاذل ، غناء الأهازيج والمقطوعات ذات الطابع الرخيص . على أن ذلك لم يكن كل شأنها فللمغنى مقامات ترتفع فيها همته ويعلو جناحه ، وله فى بعض الأحايين زلات وهنات هينات . وهذا اسحق الموصلى لم يخل اباه من النقد فجعل أعلى غنائه فى ثلث محصوله

واذا كان هذا شأن مثل اسحق مع أبيه ابراهيم أفلا نلتمس المعذرة لجارية غلب عليها الاستهتار فى شطر كبير من حياتها ؟ ! على أنها مع هذا قد تفوقت بأفان لها مكانتها وخطرها . وحسبها أن يأمر الخليفة المعتمد بجمع أغانى عريب التى ابتدعتها ، ثم يتناول الرواة نقل

تلك الاصوات فاذا بها قرابة مائتين والف ، وهو ضعف محصول ابراهيم الموصلى الذى تمتع فى عصره بامارة الفن وسلطانه

وقد استهدفت عريب لنقد لم يكن الباعث عليه سوى حقد ، هى السبب فى اثارته ، فى نفس عبد الله الهشامى ، فانه كان يغنى للمتوكل فدعاه المعتز للغناء فقال : «انى تبت عن الغناء منذ قتل سيدى المتوكل» . فأطالت عريب لسانها ، وقالت : « أحسنت حيث تبت فان غناءك كان قليل المعنى لا متقنا ولا صحيحا ولا طريبا » . فأضحكت المجلس منه ، فخجل . فكان بعد ذلك يكيل لها صاعا بصاعين ويقول من صنعتها هى ألف صوت فى العدد وصوت واحد فى المعنى

وليس بمستغرب ان يكون ما عصف بها من رياح النقد كان مصدره الاستطالة منها ، واعتزازها بنفسها اعتزازا لعله غض من منافسيها ومنافساتها ، فخلق لها خصوما جرحوها فى فنها ، فاذا لم يكن لهم سبيل الى ذلك عمدوا اليها فخمشوها باظفار حادة فى نواح شخصية

▭

وكانت عريب ذات شبه ينم عن اصلها من بيت البرامكة ، ويدل على ابيها جعفر . كما أن ثقافتها كانت تشف عن عراقة وعلو نسب . وكانت تعرف نسبها من هؤلاء الامجاد وانتماءها اليهم وتعلم من الاب ومن العم ، وربما روت عنهم اشياء وهى تعزو نفسها وقرابتها اليهم .

الا ان الغموض الذى شاب حياتها وتاريخ ميلادها ، مع الظروف السياسية ، ومقامها في قصور الخلفاء ، كل ذلك جعلها قليلة الاكتراث بأمر هذا النسب الذى انهار سقفه ، وتضعضع جداره ، وأصبح ضرره لمن يعتز به أكثر من نفعه ...

وقد تلاطمت أمواج الحوادث بعريب ، واخذت تلقي بها من مطارح متباينة كتباين الرواة فيها . ومهما يكن من قول فان عريبا فيما يبدو لنا كانت فنانة النزعة من الصعب ان يحكم عليها رتاج القفص خلف السجف والحجب . وقد آل أمرها الى الأمين أول خلافته ، حتى اذا قتل عادت الى سيدها الاول ، وبعد سكون الفتن واستواء المأمون على أدج خلافته كانت عريب في طليعة جواريه . وجرت عليها الأقضية والأحداث . ثم آلت اليه أخيرا فحلت من قلبه محل قلبه ، هياما بها وميلا اليها . ثم كانت بعد وفاته في تركته فاشتراها المعتصم بمائة الف درهم واعتقها ، فكان له ولاؤها

وهذه الحرية والانطلاق لازماها في نفسها ، وفي فنها ، وفي غنائها ...

وأكثر ما علمناه من المغنين اقتصارهم في الطرب على العاطفة الثائرة ، وعلى الوجد والهيام ، والحب والعشق . اما عريب فلم تقف بهذه العاطفة في تلك الحدود الضيقة بين رسم وطلل ، ومعشوق وعذول ، وهاجر ووصول ، بل توسعت في في موضوعها وتجاوزت به المنطقة الفردية الى فضاء الانسانية الرحب.

وهي حين تريد أن تهدف الى هذه الغاية عامدة أو مرتجلة لا يكون شاعرها الملهم ابو نواس أو بشار ولكنها تلتمسه حتى عند ابي العتاهية الشاعر الانساني الذى يجعل الحقيقة هدفه والحكمة مقصده

زارها مرة «علويه» المغنى فحفظ منها بيتين واحسن روايتهما وأداء لحنهما ، ثم حضر الى المأمون ومشى اليه في رقص وتصفيق وهو يغنى

عذيرى من الانسان لا ان جفوته
صفا لي ولا ان كنت طوع يديه
واني لمشتاق الى قرب صاحب
يروق ويصفو ان كدرت عليه

فسمع الخليفة من هذا اللحن مالم يسمع مثله من قبل ، وسحره ما فيه من روعة وبراعة ، فاستعاده سبعا. ثم تأثر الخليفة بذلك الصاحب الذى ينشده أبو العتاهية في البيت الثاني ، فقال لعلويه بعد أن غناه المرة السابعة : «خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب » . ولعل المأمون قد سمع هذا الشعر من قبل فلم ينل عنده هذه الحظوة . اما مصدر تلك الهزة العنيفة الجديدة اليوم فهي الموسيقى التى كانت ثوبا طريفا وحلة مرصعة أظهرت ما في هذا الشعر من جمال . وكذلك تقوم الموسيقى بدور المفسر العاطفي ، فتظهر من خبايا الشعر ما تعجز عنه المعاجم والقواميس

□

وتلك التي كانت تلحن وهي لم تتجاوز اربعة عشر عاما من سنها ليس بمستغرب عليها أن تلحن لأبى العتاهية في الحكم ، ولا أن تعقد

بينها وبين الواثق مباراة فى التلحين فتقف له بالمرصاد عند كل بيت يلحنه فتجدد تلحينه بما يفوق مقدرته . وليس فى ذلك من بأس على الواثق ، فهو فى هوايته كابراهيم ابن المهدى وهى فى صناعتها واحترافها كاسحق

وعريب التى تتوج شعرها من المسك بما يقوم حانوت عطار كانت فى كل شىء متطرفة .. فى حليتها حين تتحلى ، وفى ابتكارها حين تبتكر ، وفى صداقتها حين تصادق ، وفى خصومتها حين تناضل ولو كان الخليفة أو عامل الخليفة . ولقد تلدغها العقرب وهى تغنى فيمنعها تطرفها هذا أن تخضع لقانون الطبيعة ، وقد اجتمع عليها لدغ العقرب ومس الحمى فى حضرة المأمون فما لانت ولا استكانت بل مضت فى الأغنية حتى نهايتها ، وهى فى نشوتها الفنية قد نسيت نفسها وما يصيب جسمها ، ولعلها لم تشعر بنفسها حين سقطت مغشيا عليها بعد انقضاء أغنيتها

ثم يذهب بها التطرف فى الابتكار فتجيب عن الشعر بالشعر وعن الغناء بالغناء ، فاذا بها من كل ذلك فى موضع السحر والدهشة وحيرة السامع ... اجتمع لديها بعض المغنين واخبروها بأغنية لـ «بنان» المغنى بحضرة الخليفة فاستدعته تحت هطول الأمطار واستعادته ما غنى ، واجابت معارضة بالمثل . قال بنان :

تجـــافى ثم تنطبق
جفـون حشـوها الأرق

وذى (١) كلف بكى جزعا
وسفر القـوم منطلق
به قلق يملمــــله
وكـان وما به قلـق
جوانحـــه على خطـــر
بنـار الشوق تحترق

فارتجلت عريب على البديهة :

أجاب الوابل الغـدق
وصاح النرجس الغرق
وقد غنى بنـان لنـا
جفون حشوها الأرق
فهات الـكاس مترعة
كأن حبابهـا حـدق

فكانت أبياتهـا موضع الهنـاءة والطرب بقية يومهم

وكانت عريب مغنية شاعرة حتى فى نثرها وتعبيرها الجارى على اللسان طوعا دون اعداد . فها هو المأمون وقد عاد اليها بعد فراق يسالها فيقول : « كيف وجدت طعم الهجر ؟ » فتجيبــه : « يا أمير المؤمنين لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل ، ومن ذم بدء الغضب حمد عاقبة الرضا » . فتحدث المأمون الى جلسائه عنهـا حديثا بعد شهادة بمقامها فى الادب

وشاء القدر أن تطول حياة عريب وأن تشاهد العصر العباسى منذ أوج عظمته الى بداية انحطاطه ، وهى فى كل ذلك صورة من الفن ، ترويه عن غيرها أو تبتكره ، ترسله أحيانا شعرا وتارة نثرا . وتطاوعها قدرة عجيبة

(١) الواو واو رب والتقدير رب ذى كلف



الثورة خير اداة ...

فى مطلع القرن العشرين ، كانت البلدان العربية كلها خاضعة لحكم اجنبي ولم تكن الشعوب العربية تنعم بالحرية بل تتطلع اليها وتتأهب للعمل فى سبيل التمتع بها . فمن خليج العرب المسمى بالخليج الفارسى ، الى البحر الاكبر المسمى بالمحيط الاطلنطى ، من أوطان المشارقة الى اوطان المغاربة كانت الامة العربية التى بسطت من قبل سيادتها على تلك الاقطار الشاسعة ، تفكر فى أقرب الوسائل واسهلها للتخلص من سيادة أمم أخرى غلبتها على امرها : من الترك والفرنسيين والانجليز وحتى الايطاليين والاسبانيين ...

وكانت المحاولات الاولى «سلمية» فقد بدأ العرب فى الشرق والغرب يرفعون الاصوات مطالبين بما درج العرف على تسميته بحقوق الافراد والجماعات ، معتمدين على ما درج العرف أيضا على تسميته بالوسائل المشروعة . ولكن ، لا هذه الوسائل ادت الى نتائج ، ولا تلك الحقوق عادت الى الذين سلبها منهم المستعمرون !

وقرر العرب ، شعبا بعد شعب وفترة بعد أخرى ، أن يلجأوا الى ماكان يجب عليهم ان يبدأوا به : الى الثورة التى بدونها لا يسترجع الضعيف شيئا مما فقد ، ولايعيد القوى شيئا مما أخذ .. !

وأثبتت الايام وما صاحبها من حوادث ، أن الثورة هى الطريق الوحيد الذى يجب ان يسلكه الفرد اذا أراد التخلص من طاغية قريب ، والشعب اذا اراد التخلص من مستعمر غريب !

فكل ما فاز به العرب فى هذا القرن العشرين حصلوا عليه بالثورة ولم يحصلوا على شيء بغير الثورة

الثورة العربية

ثورة واحدة من الحركات التحريرية

والهبات القومية ، والوثبات الوطنية التى كانت بلدان العرب مسرحا لها تستحق أن نطلق عليها صفة شاملة فنسميها « الثورة العربية » وهى تلك التى رفع لواءها شريف مكة الحسين بن على ، فى سنة ١٩١٦ لتحرير الاقاليم العربية التابعة للامبراطورية العثمانية ، فجميع الثورات التى سبقتها فى القرن الماضى والتى تبعتها فى القرن الحاضر ،كانت ذات صفة محلية محصورة ، أما هذه — ثورة الحسين — فقد نشبت فى الحجاز ولكنها اتخذت منذ البدء صفتها العربية الجامعة : العرب ثاروا على الترك ، للانفصال عنهم ، وانشاء امبراطورية عربية تجمع شملهم

حاول المغرضون والحساد والموتورون ، من العرب ومن الاجانب على السواء ، أن يلصقوا بالثورة العربية الكبرى ماشاءت لهم أهواؤهم أن يلصقوه بها من تهم باطلة . ولكن تجنيهم على تلك الوثبة الرائعة النبيلة المشرفة ، لم ينل من عظمتها ولم يحط من قدرها ، فهى التى فتحت للعرب المنافذ نحو الحرية ، وهى التى مهدت لهم طريق الاستقلال وهى التى جعلتهم يعرفون ، من جديد ، معنى السيادة ويمارسونها فى أوطانهم واحدا بعد آخر

فى العاشر من شهر يونيو ١٩١٦ اطلق الحسين بن على من شرفة داره بمكة ، رصاصة فى اتجاه الثكنات العثمانية ، فكان ذلك ايذانا بنشوب الثورة وانتقاض العرب على الترك .

وفى الحجاز ، وافاه اعوانه وانصاره من مختلف الاقاليم العربية ، ومن هناك ، من البلد الذى رأى انطلاق الكتائب العربية لنشر الاسلام فى العالم ، قبل ذلك الوقت بثلاثة عشر قرنا ، انطلقت فى القرن العشرين الميلادى ، والرابع عشر الهجرى ، كتائب عربية من نوع آخر ، لنشر الحرية واسترجاع الكرامة القومية وتحطيم القيود والاغلال التى رزح العرب تحت وطأتها منذ أن طغت عليهم العناصر الغريبة

واذا كانت الثورة العربية لم تحقق جميع الاغراض التى وضعها القائمون بها نصب اعينهم ، ولم تبلغ جميع الاهداف التى حملوا السلاح من أجل بلوغها ، فلان المستعمرين حالوا دون ذلك ، وتمكنوا ، بعد أن تم لهم القضاء على الدولة العثمانية ، من وقف الوثبة العربية قبل أن تصل الى نهاية مداها

غير أن الثورة الكبرى سلخت من الدولة العثمانية اقاليمها العربية ، التى توصلت فيما بعد ، أو هى ساعية الآن ، الى استكمال سيادتها والتخلص من آثار الاجنبى الباقية فيها ...

فلنلق نظرة على ماحدث فى تلك الاقاليم :

الحجاز

تمتع الحجاز باستقلال تام مطلق بعد الثورة العربية ، وحمل الحسين بن على لقب « ملك الحجاز » بعد أن أرغمته الحوادث على التخلى

عن لقب «ملك العرب» . ولكن الحرب نشبت فى سنة ١٩٢٤ بين الهاشميين والسعوديين ، وانتهت الحرب بهزيمة الهاشميين وانهيار حكمهم فى الحجاز وقيام « المملكة العربية السعودية » كما هو معروف مشهور ، باتحاد الحجاز ونجد وملحقاتهما

اليمن

كان للثورة العربية فضل لاينكر فى استكمال سيادة اليمن . فالامام يحيى حميد الدين ، امام اليمن ، لم يشترك فى الثورة التى قادها الحسين وابناؤه ، ولكنه اغتنم فرصة قيامها ، وما تبع ذلك من تطور ، فوطد فى اليمن دعائم ملكه وتخلص نهائيا من السيادة العثمانية الاسمية . أما الحوادث التى وقعت فى اليمن ، وادت الى مصرع الامام يحيى وقيام دولة عبد الله بن الوزير لبضعة أسابيع ، فانها ليست ثورة بالمعنى الصحيح ، بل حركة انقلاب محصورة محدودة ، عادت بعدها الامور الى ماكانت عليه قبلها

العراق

بعد الحرب العالمية الاولى وهى التى نشبت الثورة العربية خلالها ، جلا الترك عن العراق ، ولكن الانجليز حلوا محلهم ، فكانت هذه احدى الخيانات التى قوبل بها تعاون العرب مع الانجليز وحلفائهم فى تلك الحرب ، للقضاء على الامبراطورية العثمانية

غير أن العراقيين لم ينتظروا طويلا لكى يثوروا على الانجليز . ففى سنة ١٩٢٠ هبوا للكفاح والنضال ، ودارت معارك سالت فيها الدماء غزيرة ، وكانت نتيجة تلك الثورة قيام الدولة العراقية الحديثة ، وتحويل الحكم البريطاني المباشر الى انتداب ثم الى معاهدة تحدد نوع الروابط التى تربط البلدين . وهى المعاهدة التى عدلت أكثر من مرة ، والتى تدور مفاوضات الآن لانهاء العمل بنصوصها

فالعراق اذن حصل على سيادته التى استباحها الانجليز ، بالثورة سنة ١٩٢٠ . وحدث منذ ذلك الوقت الى ايامنا هذه ، ان وقعت فى العراق اضطرابات سببها تعنت الانجليز فى تطبيق نصوص المعاهدة . وفى سنة ١٩٤١ قامت ثورة رشيد عالى الكيلانى ، خلال الحرب العالمية الاخيرة ، وهى ثورة ناصرها الالمان وحلفاؤهم وباءت فى النهاية بالفشل ولا يمكن فى حال من الاحوال ان تشتبه ثورة ١٩٤١ بثورة ١٩٢٠ لاختلاف الظروف والاحوال التى لابست كلا منهما

سوريا

كان للسوريين فى الثورة العربية نصيب وافر ، فقد قامت هذه الثورة على أكتافهم واكتاف العراقيين ، اكثر مما قامت على اكتاف الحجازيين وقبائل البدو ، وكما منى العراق بخيانة الحلفاء ، منيت بها سوريا أيضا .. !

قامت فى جزء منها دولة مستقلة مع فيصل بن الحسين . ولكن الفرنسيين هاجموا هذه الدولة فاحتلوا سوريا وفرضوا عليها انتدابهم . وحكموا البلاد ربع قرن لم تذق سوريا فى خلاله الراحة ولا الهدوء . فالثورات السورية على الحكم الفرنسى كانت سلسلة متواصلة الحلقات ، اهمها ثورة ١٩٢٥ الكبرى ، بقيادة سلطان الاطرش . وهى التى نازل فيها السوريون جيوش فرنسا فى معارك رهيبة وفتكوا بها واذلوها . وقد اسفرت ثورة ١٩٢٥ عن تخفيف وطأة الحكم المباشر . وبعد عشرين سنة ، أى فى سنة ١٩٤٥ ، كانت الثورة التى استكمل بها الاستقلال ، فخرج الفرنسيون من سوريا ، واستعاد السوريون سيادتهم كاملة غير ناقصة

وضربت دمشق مرتين بالقنابل : فى ثورة ١٩٢٥ وفى ثورة ١٩٤٥

وبعد اعتداء الفرنسيين على سوريا فى سنة ١٩٢٠ للقضاء على الدولة المستقلة التى انشئت فيها ، رحل كثيرون من السوريين الى عمان حيث التفوا حول عبد الله بن الحسين ، على أمل اعادة الكرة لطرد الفرنسيين من سوريا . ولكن المسألة تطورت تطورا آخر ، وانتهت بقيام امارة شرق الاردن التى تحولت فيما بعد الى «مملكة اردنية هاشمية» لحساب عبد الله

لبنان

تواطأ الانجليز والفرنسيون على اقتسام البلدان العربية التى سلخت عن تركيا ، فاخذ الانجليز العراق وفلسطين ، واخذ الفرنسيون سوريا ولبنان . ودام حكم الفرنسيين فى لبنان — مثل سوريا — ربع قرن وثار لبنان مرة واحدة فى سنة ١٩٤٣ ، خلال الحرب العالمية الثانية وتعد ثورة لبنان أقصر الثورات العربية ، وانجحها .. ! فقد نشبت فى ١١ نوفمبر ١٩٤٣ وانتهت فى ٢٢ من الشهر نفسه ، اى انها استغرقت اقل من اسبوعين ولم تكن خسائرها فى الاملاك والارواح شيئا يذكر بالنسبة الى غيرها من الثورات التحريرية . ومع ذلك فقد ادت الى أعظم النتائج فاسفرت عن استقلال لبنان استقلالا تاما مطلقا .. !

فلسطين

كانت فلسطين جزءا من سوريا . والسوريون يسمونها « سوريا الجنوبية » ولكن المؤامرات الاستعمارية الدولية ارادت أن تحول فلسطين الى مسرح لاروع مأساة منى بها العرب فى تاريخهم ، فقررت الدول الكبرى اعطاءها لليهود لينشئوا فيها وطنا على انقاض الوطن العربى

صدر وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ . وبعد انتهاء الحرب سنة ١٩١٨ ، احتل الانجليز فلسطين وبدأوا يمهدون لتحويلها الى وطن قومى لليهود . وبدأت ايضا الاضطرابات التى تحولت مرارا الى

ثورات . واشد ثورات العرب فى فلسطين عنفا ثورة ١٩٢٩ وثورة ١٩٣٦ ، ثم ثورة ١٩٤٨ التى تحولت الى حرب دخلتها الدول العربية لانقاذ فلسطين فكانت النتيجة ضياعها

ضياعها لسببين : لان العرب تهاونوا ولم يستعدوا اليوم العصيب كما فعل اليهود . ولان الدول فى هيئة الامم باعت ضمائرها وناصرت الباطل على الحق ، فاخذت من العرب ما هو ملك لهم ، لتعطيه لليهود ظلما وعدوانا وقضية فلسطين الآن امانة ودين فى أعناق العرب اينما كانوا وايا كانوا وعليهم ان يسترجعوها من اليهود كما انتزعها هؤلاء منهم ، بجميع الوسائل مشروعة كانت او غير مشروعة سلمية كانت او غير سلمية !

تلك هى الاقاليم العربية التى اشترك ابناؤها فى ثورة الحسين بن على المعروفة بالثورة العربية الكبرى . وهى تقع جميعها فى القارة الاسيوية ...

اما الاقاليم الواقعة فى القارة الافريقية ، والتى كان بعضها تابعا للدولة العثمانية فى وقت من الاوقات فان ثوراتها تختلف عن ثورات البلدان التى ذكرناها ، من حيث الظروف والاحوال .. فلنلق عليها ايضا نظرة شاملة سريعة :

ليبيا

تؤلف ليبيا من اقليمى برقة وطرابلس الغرب ، وقد انتزعتها ايطاليا من الدولة العثمانية سنة ١٩١٢ ، أى قبل الحرب العالمية الاولى . والثورات التى قامت فى هذا البلد العربى على الايطاليين ، تعد مواصلة للحرب التى ادت الى ضياع ليبيا . واشهر تلك الثورات الثورة التى قادها عمر المختار ، وانتهت مثل غيرها بالفشل

وقد تحررت ليبيا من الحكم الايطالى ، بعد الحرب العالمية الاخيرة ولكن بقى عليها أن تتحرر من حكم الحلفاء الذين حلوا محل الايطاليين ، تماما كما حدث فى العراق وسوريا بعد الثورة العربية الكبرى ، حيث حل الحلفاء الاصدقاء محل الترك الاعداء !

افريقيا الشمالية

ثلاثة أقاليم عربية سلبتها فرنسا الواحد بعد الآخر : الجزائر ، وتونس والمغرب الاقصى ، يضاف اليها الجزء الشمالى من المغرب ، الذى سلبته اسبانيا

وفى هذه الاقطار الخاضعة لحكم مباشر ، ايا كانت الاسماء التى يعرف بها : حماية ، أو وصاية ، أو ضما ، أو غير ذلك — فى هذه الاقطار قامت حركات فى القرن الماضى واخرى فى القرن الحاضر ، تهدف جميعها الى التحرر من الاستعمار بالاسلوب الذى اتضح للعرب فى مختلف أوطانهم انه الوحيد المؤدى الى الغرض المنشود : الثورة !

ففى تونس ، اشتدت الحركة الوطنية وصحبتها اضطرابات دامية منذ ان اشتد ساعد الحزب الدستورى فى أوائل هذا القرن ، ونشبت ثورات يكفى ان نذكر منها هنااثنتين :ثورة ١٩٢١ وثورة١٩٥٢ اللتين قمعتهما فرنسا بأساليب ارهابية ، وثورة « الفلاقة » سنة ١٩٥٤ التى عمت البلاد باسرها ، وتونس تعد بلدا ثائرا باستمرار ، فى سبيل حريته واستقلاله

وفى الجزائر ثورة منذ شهر اكتوبر ١٩٥٤ ، مركزها جبال « اوريس » او «الهوارس» وليست هذه أول ثورة للجزائريين منذ ان غزت فرنسا بلادهم فى سنة ١٨٣١ - ولن تكون الاخيرة . وفى ثورة ١٩٤٥ فتك الفرنسيون بما لايقل عن ٤٥ الف من الجزائريين !

وفى المغرب ثورة بدات فى سنة ١٩٥٠ ولم تخمد نيرانها بعد . وهذه ايضا ليست اول ثورة مغربية ولن تكون الاخيرة

وفى المنطقةالخليفية ، التىتحكمها اسبانيا ، تنشب فى سنة ١٩٤٤ اعظم ثورة عرفها المغرب بقيادة عبدالكريم الخطابى . وهى ثورة نازل الثوار فيها جيوش أسبانيا وفرنسا مجتمعة

فالشمال الافريقى ظل منذمطلع هذا القرن ولا يزال مسرحا لثورات متواصلة اَومتقطعة ، كبيرة اوصغيرة واسعة او ضيقة ، حسب الظرف والحال والاقليم . وكلها ثورات لاتختلف عن غيرها من ثورات العرب فى سبيل حريتهم واستقلالهم ، فى المشرق الذى يلتقى مع المغرب فى هذا الصعيد ، صعيد السعى للتخلص من الحكم الاجنبى

مصر

ولتكن الكنانة مسك الختام !

فمصر لم تشترك فى الثورة العربية ، لانها كانت ، فيما يتعلق بنفسها ، خاضعة لملابسات اخرى

لم تكن تركيا عدوة مصر التى يجب التخلص منها ، بل الانجليز كانوا الاعداء . ولم يكن لمصر انتثور على تركيا بل على انجلترا . ومن اجل هذا رايناها تنظر بعين الريبة فى بادىء الامر «الى الثورة العربية الكبرى التى ظاهرها الانجليز وحلفاؤهم» . ولكن شعور مصر من هذا القبيل تطور وتغير ، بعد زوال الملابسات التى احاطت بالثورة العربية ، فاصبحت القاهرة اليوم محور التكتل العربى ، ومركزالجامعة العربية

كانت اول حركة قامت فى مصر ضد الانجليز المحتلين ، حركةالحزب الوطنى بقيادة مصطفى كامل ، فى مطلع القرن العشرين . ولكنها لم تكن من الحركات التى يجوز وصفها بأنها ثورة ...

فاول ثورة نشبت فى مصر هى ثورة ١٩١٩ ، التى تسلم قيادها سعد زغلول باشا ، واشتركت فيها

الامة المصرية بأسرها، كبيرها وصغيرها رجالها ونساؤها .. وحتى الاجانب المقيمون فى مصر

وبدأ عهد الاستقلال مع تلك الثورة التى تبعتها ثورات اخرى، أقل منها شأنا واضيق مجالا، ولكنها جاءت متممة لها، مستكملة لنتائجها

والحركة الثانية التى يمكن ان نسميها ثورة، هى تلك الوثبة التى اقدم عليها المصريون فى سنة ١٩٥١ لازعاج الانجليز فى منطقة القناة، وجعل اقامتهم فيها محفوفة بالاخطار ولكن هذه الوثبة الرائعة اسفرت، لاسباب لا نريد هنا ان نتعرض لها عن احراق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ..

وارادت العناية الآلهية ان تنقذ مصر من التردى فى هوة الفوضى والبؤس والمذلة فقامت فيها ثورة الجيش فى ١٣ يوليو ١٩٥٢، وهى الثورة التى تختلف فى شكلها وغرضها ومداها عن سواها من الثورات العربية . فقد انهت هذه الثورة حكم أسرة محمد على، وأحلت النظام الجمهورى محل النظام الملكى، وقلبت قواعد توزيع الثروة واستغلال الارض راسا على عقب، وحققت اصلاحات كثيرة وهى ماضية فى تحقيق اخرى كثيرة ايضا ووقعت مع الانجليز اتفاقا ينتهى بموجبه احتلال قناة السويس ويعيدها الى مصر ...

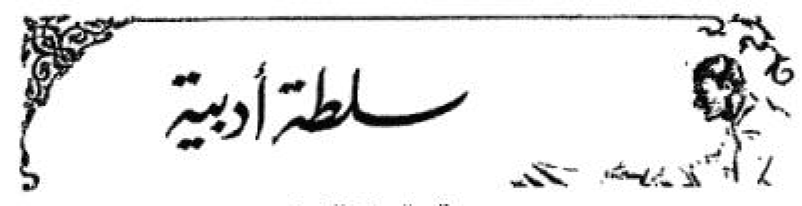
فثورة سنة ١٩٥٢، من جميع النواحى، تعد أعظم ثورة شهدتها مصر

وهى تعد دليلا آخر، وبرهانا جديدا، على صحة ما ذهبنا اليه ونادينا به، وهو أن الثورة خير أداة لتحقيق الاهداف والاغراض والامانى للمواطنين الذى يتوقون الى حياة عزيزة كريمة، وللاوطان التى تروم الحرية والاستقلال والسيادة

تأويل الرؤيا

لقى ابن جامع يوما ابراهيم الموصلى، وكانا من اقطاب الغناء فى عصر العباسيين . فقال ابن جامع: « رأيت كأنى واياك فى ركاب واحد، ثم سقطت أنت حتى كدت تلتصق بالارض، وعلا الشق الذى انا فيه . فنسرت هذا بأن صيتى سيعلو عليك فى الغناء »

فقال ابراهيم: « الرؤيا حق والتأويل باطل .. اننى واياك كنا فى ميزان فرجحت كفتى وشالت كفتك ! »



سلطة أدبية

عبقرية النفاق !

يقص التاريخ من أخبار الدولة الاموية انقسام الناس فى عهدها الى شيع واحزاب ، وقد كان للاسرة المروانية فيها شأن كبير ، بعد جهاد مرير .

كان « اسماعيل بن يسار » يعيش في تلك الفترة ، فدخل على أمير من امراء الدولة ، هو حفيد من حفدة « مروان » ، وجعل يبكى أشد بكاء ، فقال له الامير : « ما يبكيك ؟ »

فأجابه : « حجبونى عنك ، فكيف لا ابكى وأنا على مروانيتى ومروانية ابى لا يؤذن لى عليك ؟! »

ولم يسكت « اسماعيل » عن البكاء ، حتى وصله الامير بصلة حسنة ، واعطاه حلة لها قدر ، وهو يعتذر من تأخير الاذن له بالقدوم عليه

فلما خرج « اسماعيل » من عند الامير ، لحق به رجل ممن حضروا المجلس ، وقال له : « ويلك يابن يسار ! .. اى مروانية كانت لك ولابيك ؟! »

فأجابه « اسماعيل » : « مروانيتنا هى بغضنا لهم ، وسخطنا عليهم !.. فأما مروانيتى انا فامراتى طالق ان لم أكن ألعن مروان وآله كل يوم فى مكان التسبيح لله عز وجل ، واما مروانية ابى فيكفيك منها انه لما حضره الموت قيل له : « قل لا اله الا الله » ، فقال : « لعن الله مروان » . فأقام لعن « مروان » مقام التوحيد ، ورأى فى ذلك تقربا الى الله »

تقويم ... لا تقييم

تتألق بعض الكلمات على أقلام الكتاب ، ويواتيها الحظ ، فاذا هى شائعة ... ومن هذه الكلمات التى ساغ استعمالها وشاع فى هذه الايام كلمة « التقييم » ...

تستعمل تلك الكلمة فى معنى تحديد القيمة ، وتعيين المنزلة

يقال مثلا : ان الخدمات الاجتماعية تحتاج الى تقييم ، للموازنة بين الاهم منها والمهم

أو يقال : ان تقييم التعليم يختلف فى بلد عنه فى بلد آخر

أو يقال : ان ثمة تقييما جديدا للادب ومهمته فى الحياة

ويبدو لى ان كلمة « التقييم » تحتاج فى صوغها الى « تقويم » !

ذلك لان أصل الفعل : قوم ، لا : قيم . والقيمة أصلها : قومة . وطوعا لهذا فان كلمة « التقييم » لا تصلح من ناحية الاشتقاق ولا تستقيم

قالت اللغة : قومت المتاع : جعلت له قيمة معلومة
ويقال : تقويم البلدان ، اى بيان طولها وعرضها وما يتعلق بها
فعلينا ان نتدارك هذه الكلمة الجديدة ، فنستعمل الصيغة الصحيحة « تقويم » ، حتى لا ترسخ فى الاستعمال صيغة « التقييم » على ما بها من اعوجاج

فنان ...

يقص علينا « ابوحيان التوحيدى » عن « القاسم بن الحسن » قصة رجل ظريف ، كانت له مغنيتان ، احداهما حاذقة حسنة الغناء ، والاخرى متخلفة لا يحب ان يسمع لها صوتا
وكان له معهما شأن عجيب.. اذا غنت الاولى طرب ، واشتد به الطرب ، حتى أنه يشق قميصه ويمزقه من فرط التأثر والاهتياج . فاذا اخذت الاخرى تغنى قعد يخيط قميصه ويرتق ما تمزق منه !

اهرامات ... مزيفة !

يحلو للالسن الا تكتفى باستعمال الكلمة المجموعة ، فتعيد جمعها ، ويغلب أن يكون جمع الجمع بالالف والتاء ، لان فى هذا الجمع اطلاقا للصوت واشباعا للنفس !
يقولون مثلا : فحومات ، وقيودات ، واذونات ،وكشوفات ، وفحوصات واهرامات ... والمقصود : فحوم ، وقيود ، واذون ، وكشوف ، وفحوص واهرام ، لانها جموع ، ومفرداتها : قيد ، واذن ، وكشف ، وفحص ، وهرم ...
ما رأى اللغة فى تكرار الجمع ؟ هل تقره القواعد ؟ لا ريب فى أن العربية تعرف هذا الضرب من الصيغ ، فقد قالوا : بيوتات ، جمع بيوت ، والمفرد بيت ، وقالوا : اساور ، جمع أسورة ، والمفرد سوار ، وقالوا : مصارين ، جمع مصران ، والمفرد مصير
ولكن علماء اللغة أجمعوا على ان ذلك كله ليس بقياس مطرد ، فنستعمل منه ما سمع ، ولا نتجاوزه ..
ربما قلت : ولماذا لا نتجاوز ؟
فأسالك : ما حاجتنا الى جمع الجمع ، وفى الجمع مقنع ؟
فلنقل : قيود ، واذون ، واهرام .. وما شاكل
ولنقصر مجاوزة القواعد المقررة على الضرورة ، ولا ضرورة هنا تقضى بتكرار جمع هذه الكلمات

هذه الاقدار ...

سئل اعرابى عن الاقدار : كيف هى ؟
فقال يجيب : « الناظر فى الاقدار كالناظر فى عين الشمس ، يبهره ضوءها ، ولا يقف على كنهها ! .. »

محمد شوقى أمين

« اذا كانت رسالة الازهر فى محاربة الصهيونية تتخذ الوانا مختلفة فاهمها تنبه الغافلين أو محاربة «الغفلة» فى نفوس أبناء العروبة والاسلام»

رسالة الأزهر في محاربة الصهيونية

بقلم الأستاذ منصور رجب

الأستاذ بكلية أصول الدين

هـذا الموضوع يقتضينا أولا أن نفرق بين « اليهودية » كدين ، وبين « الصهيونية » كمذهب سياسى استعمارى حتى تحدد الهدف الذى تصوب اليه رسالة الأزهر فى هـذا السبيل

اما « اليهـودية » كدين ، فان الأزهر لا يحاربها ، بل بالعكس يرى نفسه أمام نص قرآنى بين يقرر فى صراحة ان الأديان السماوية كلها فى الاصل شىء واحد لا فرق بين يهودية او مسيحية ، او اسلام . ولذلك يقول فى سورة الشورى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى ، وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »

والبخارى نفسه ـ فى باب الايمان ج ١ ـ يروى لنا عن امام جليل من ائمة التفسير ، والفقه ، والحديث هو « مجاهد بن جبر » يروى عنه انه فسر هذه الآية بأن قال : « شرع لكم ..... اى اوصيناك يا محمد وانبياءه دينا واحدا »

وعلى هـذا فان الازهر ـ وهو يستمد رسالته من القرآن الكريم الذى يقرر أن الاسلام دين سلام وأمان ـ لا يحارب « اليهودية » فى شخص اليهود . ويجرى المسلمون على ذلك عملا، فهاهم اولاء يعيشون بيننا الآن فى معابدهم ، ومدارسهم وأنديتهم ، ومساكنهم ، ومتاجرهم آمنين مطمئنين ، بل وعلى مسافات قصيرات من الازهر نفسه

وكأنى بواحد يسائل نفسه : وما الفرق اذا بين هذه الأديان ؟

الفرق انما هو فى الشرائع اى فى الفروع . ولذلك يقول القرآن الكريم فى سورة المائدة : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »

مثلا : الصلاة أصل من أصـول

الدين الا انها تختلف فى الكيفية فى كل شريعة عنها فى الاخرى . وهكذا يقال فى كل ما يتصل بهذه الناحية

اما « الصهيونية » كمذهب سياسى استعمارى فهنا يكون الكلام ...

ان رسالة الازهر فى محاربة « الصهيونية » هى رسالته فى محاربة « العدوان » أعنى أن الازهر لا يحارب الصهيونية لذات الصهيونية ، فلو كانت هذه قد اقامت لها موطنا مثلا فى « امريكا » أو فى غيرها من بلاد الله ، ولم تعتد علينا لما كان للأزهر فى محاربتها رسالة الا بمقدار ما يؤيد الحق ، وينصر العدل على وجه عام

وان الازهر لا يحاربها «تعصبا» فما يكون له — وهو القائم على دين يدعو الى « التسامح » ويأبى « التحكم » فى حريات الناس وعقائدهم — ما يكون له وهذا شأنه أن يدعو الى « تعصب » أو « بغى » على أى وجه كان

وكيف ، وهو يدرس فيما يدرس قول القرآن فى شأن « الذميين » :

«فان جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ، وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين » — المائدة ٤٢

كان فى وسع الاسلام وهو « الغالب » أن يخضع كل من تظلهم راية بلاده من «المغلوبين» : يخضعهم فى أقضيتهم لأحكام شريعته ، ولكنه لم يفعل كما فعلت البلاد الاجنبية بل أمر بتركهم وما يدينون أن شاءوا احتكموا فى أقضيتهم لقاضى دينهم ليحكم بينهم بحكم دينهم ، وان جاءوا الينا حكمنا بينهم بالقسط ، والله يحب المقسطين

فهل ترى اسمى من هذا التسامح ؟

▭

أما وقد اعتدت الصهيونية على المسلمين والعرب ، اعتدت عليهم فى عقر دارهم : فخربت ديارهم ، ونهبت اموالهم ، وسفكت دماءهم ، واغتصبت اراضيهم ، وطردتهم للعراء فى الصحراء ، وشردت من شردت على صورة لا يحتملها ضمير انسان . لما كان ذلك ، وكان الازهر مركزا تنبع منه القومية العربية الاسلامية ، كانت رسالة الازهر فى محاربة هذه « الصهيونية » الباغية رسالةهى اخطر ما يحمل من رسائل فى هذا العصر الحاضر . وانه ليستمد خطرها من هول ما وقع على العرب والمسلمين ، وما نالهم فى عزتهم وكرامتهم من عدوان

ولست اقصد ان يقوم الأزهر الآن فيجرد من شيوخه وابنائه « تجريدة » تحمل السلاح ، وتجر المدفع ، وتذهب الى حيث تضرب وتضرب حتى تستشهد فى سبيل الله

نعم ، اذا جد الجد فلا يكون ذلك بدعا ، فلقد سبق لرجال الدين والعلم أن اشتركوا فى الحروب ، ووقفوا فى ساحة الوغى . ولعل من ابنائنا طلاب العلم من قرأ رسالة « القلقشندى » — فى ذكر وقعة تيمور لنك — وهو عالم جليل من علماء القاهرة فعلم منها مبلغ ذود « العلماء » عن حوض الكرامة ، ولا غرو فهم أول من يؤمن بأن « قيمة الكرامة أغلى من قيمة الحياة »

وليسمع منها من لم يسمع :

« وتحركنا من الديار المصرية فى جيوش لا يأخذها حصر،ولا يلحقها حصر ... حتى نزلنا دمشق المحروسة ، فنزلنا بظاهرها مستمطرين النصرة...وانضم الينا من عساكر الشام وعربانها ما لاينقطع له مدد ... واقبل الجمع كالجراد المنتشر...وتراءي الجمعان للنزال وتبوأنا مقاعد القتال ولم يبق الا المبارزة ... اذ ورد وارد من جهتهم يطلب الصلح والموادعة...فاجبناهم بالاجابة ، ورأينا أن حقن الدماء من الجانبين من أتم مواقع الرأى اصابة»

هذه رسالة تنطق لرجال العلم والدين بسابقة مشرفة فى ساحة الوغى ، وحومة القتال . ولا مانع عند رجال الازهر من أن يلحقوها بمثلها اذا دعا الداعى وجد الجد

واذا كانت رسالة الازهر فى محاربة الصهيونية تتخذ ألوانا مختلفة ، فأهمها تنبيه « الغافلين » أو محاربة « الغفلة » فى نفوس ابناء العروبة والاسلام. فليس أخطر على كرامة أمة من هؤلاء « الغافلين »

ولذلك ترى القرآن الكريم حينما تكلم عنهم سلبهم صفة الانسانية ، والحقهم لا بالانعام ، بل جعلهم اضل. يقول فى سورة الأعراف :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالانعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون »

فالغفلة أخطر داء يصيب الأمم ، وماذا ترى لقوم لهم قلوب غير أنها لا تفقه كما يفقه الناس ، ولهم أعين ولكنها لا تبصر كما يبصر الناس ، ولهم آذان ولكنها لا تسمع كما يسمع بنو آدم ؟

لولا الغفلة ما قامت « اسرائيل » ولولا « الغفلة » ما مكرت بنا الدول حتى دخلنا الحرب لتأخذ فى يدها حجة حق«الفتح»ولولا«الغفلة» ما قبلنا بعد ذلك تلك « الهدنة » المشئومة التى لولاها لسقطت « اسرائيل » صرعى أمام جحافل العرب

واذا كان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين فانى أدعو قومى فورا الى أن يعلنوا الحرب لا على « اسرائيل » فى «تل ابيب» فالحرب بيننا لا تزال قائمة ، وانما على تلك « الغفلة »

التي لا تزال نئن منها حتى الساعة وذلك بأن يأخذوا حذرهم من « الصهيونية » فمطامعهم لا تزال واسعة ، وأحلامهم لا تزال قائمة ، وسوف لا تهدأ ، وهى لا تزال تمكر بالعرب وتمكر ، وانى أتوجس خيفة من « فلم » « الوصايا العشر » فهدفهم أن يغرسوا فى نفوس نشئهم والناس أن « سينا » لهم كمكة بالنسبة للمسلمين

لذلك كان على الازهر أن يجرد الف حملة وحملة على « الغفلة »

حتى لا ينطبق علينا قول الشاعر :

فلا يتقون الشر حتى يصيبهم
ولا يعرفون الخير الا تدبرا

الازهر فى سطور

● شرع فى بناء الازهر سنة ٣٥٩ هجرية ، وهو أول جامع أسس فى القاهرة المعزية

● مؤسس الازهر هو جوهر الصقلى قائد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله

● قام بتوسيعه الامير علاء الدين طيبرس سنة ٧٠٩ هـ ، ثم الامير علاء الدين اقبغا سنة ٧٤٠ هـ . ثم جوهر القنبقائى سنة ٧٤٤ هـ . ثم الامير عبد الرحمن كتخداى سنة ١١٦٧ هـ . وقد تضاعفت بذلك مساحته . ثم انشىء به الرواق العباسى فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى

● للازهر خمس منارات ، ويتألف من مقصورتين : احداهما هى التى انشأها جوهر ، وبها ٧٦ عمودا من الرخام الابيض . والاخرى انشأها عبد الرحمن كتخداى وبها ٥٠ عمودا ويبلغ عدد اعمدة الازهر وملحقاته ٣٧٥ ، وله ٩ ابواب

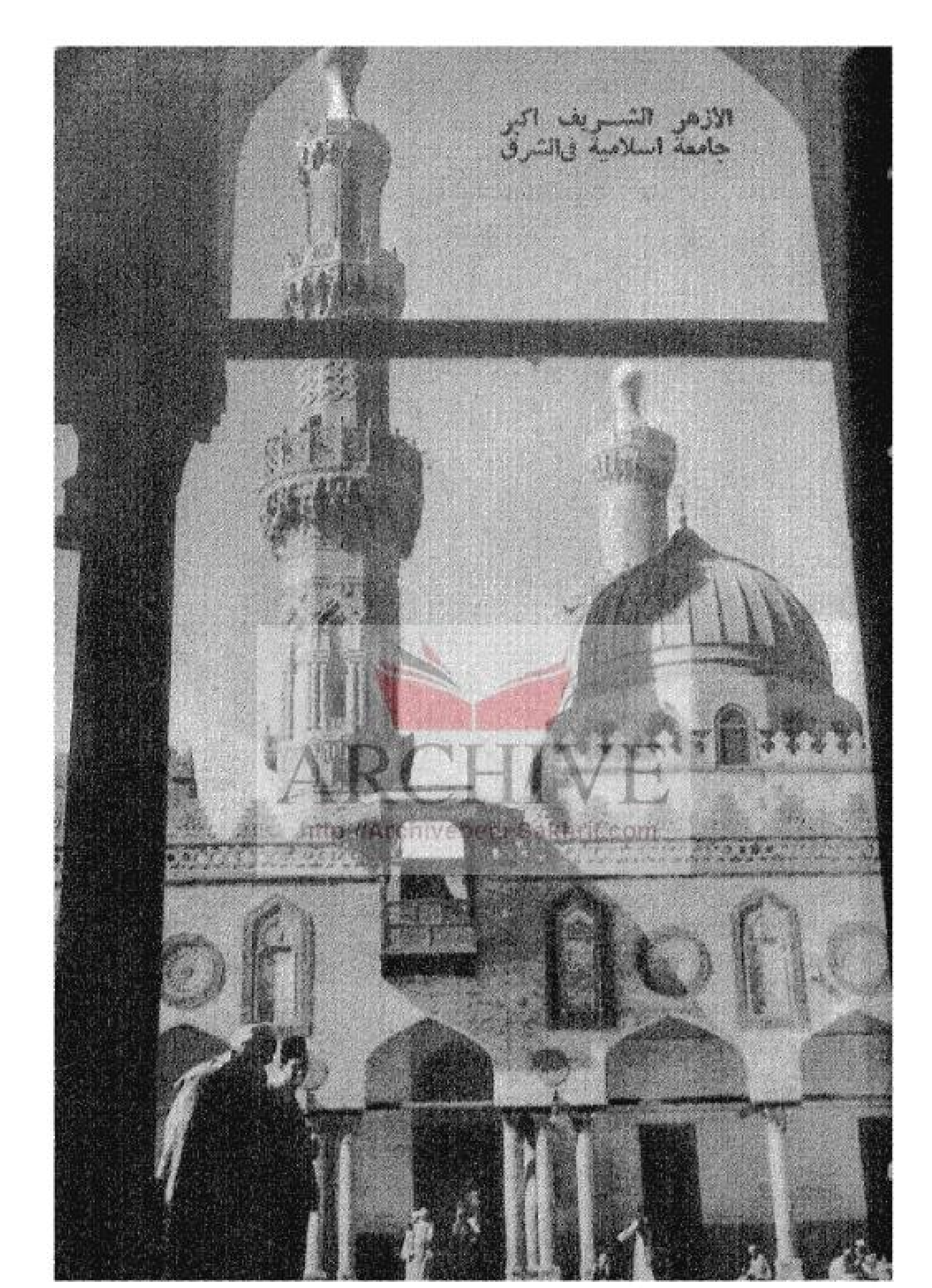
● انقطعت الخطابة من الازهر حوالى مائة عام فى عهد الدولة الايوبية . وكان المسلمون يتخذونه ملجأ فى عهد المماليك

● كان الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله اول من أوقف على الازهر ، ثم رتب الامير الناصرى لطلابه طعاما يطهى لهم كل يوم ، وتبعه السلطان قانصوه الاشرف فرتب لهم طعاما من العصيدة واللحم فى شهر رمضان . ثم رتب لهم قانصوه الغورى ٦٧٠ دينارا ومائة قنطار عسل و٥٠٠ اردب قمح . وزاد الامير عبد الرحمن كتخداى على هذا المرتب خمسة ارادب من الارز ، وقنطارا من السمن ، ورأسا من الجاموس فى كل يوم من أيام شهر رمضان ، مع كمية من حلوى « الهريسة »

● كان عدد طلبة الازهر ٣٥ فى سنة ٣٧٨ هـ . وبلغ عددهم بحسب احصاء سنة ١٣٦٨ هـ ١٤ر١٧٥

● يبلغ عدد المدرسين بالازهر وكلياته ١٢٢٠

● يبلغ عدد الطلبة الغرباء فى الازهر حوالى ألف ، ينتمون الى مختلف أنحاء العالم


الأزهر الشريف اكبر
جامعة اسلامية في الشرق



لفيف من الطرابلسيين داخل
مسجد القرمانى بطرابلس الغرب




مشاكل المرأة المسلمة

بقلم السيدة أمينة السعيد

من المتعذر علينا ان نتتبع أحوال المراة المسلمة ، وندرس مشاكلها ومتاعبها دراسة وافية ، وذلك لان المسلمين ليسوا وحدة تحصرها حدود اقليمية معينة ، انما هم شعوب متفرقة فى مختلف بقاع العالم ، ومئات الملايين منهم يعيشون بعيدا عنا فى روسيا والصين ونيجيريا والسودان والفلبين والبانيا وتركيا وايران وافغانستان وباكستان وشرق افريقا وغربها

وهذه الشعوب المتفرقة البعيدة تتفق فى العقيدة الدينية ، ولكنها تختلف تمام الاختلاف فى الثقافة والجنس والعادات والتقاليد ، وبعضها يخضع لاوضاع سياسية خاصة لا تمكننا من تتبع احوالهم واخبارهم وقد تكون المسلمة فى هذه الشعوب متقدمة ، أو تكون متأخرة ، ولكننا فى الحالتين نجهل كثيرا من امورها . والقليل الذى نعرفه يتغير بتغيير الظروف الاجتماعية والسياسية والجغرافية ، مما يحول دون التجانس الذى هو سبيلنا الى توحيد المتاعب ، وردها الى أصول مشتركة ولكننا نستطيع أن نصل الى بعض ما نبتغيه بدراسة احوال المراة فى البلاد العربية .. ففى هذه البلاد التى تؤلف بقعة صغيرة من الدنيا ، يتوافر التجانس المطلوب ، والاختلافات القائمة بين شعوبها شكلية لا موضوعية .



مصرية

ومن المؤكد ان النساء فيها يخضعن لأوضاع متماثلة ، ويعانين متاعب متشابهة قد تخف وطأتها فى مكان ، وتشتد فى مكان آخر ، ولكن هذه الفروق لا تؤثر كثيرا فى صلب الامة العربية

واذا أردنا الحق ، فلا مفر من

الاعتراف بعجز المرأة العربية المسلمة وضآلة نصيبها من التحضر الصحيح فهي كما نراها في مختلف البلاد بعيدة عما ينبغي أن تكون عليه المواطنة الصالحة المنتجة . وليس من العدل ان نلوم الدين على ذلك ، فقد حقق الاسلام للمرأة مكانة فاضلة ، فاعترف لها بكيان انسانى مستقل ومنحها قسطا متساويا من الحقوق والواجبات ، واعطاها استقلالا

وتبعه الضعف والجهل والفقر ، فتدهورت عقلية الشعوب ، وساء فهمها وتفسيرها لتعاليم الدين ، والمرأة ــ كما نعلم ــ جزء لا يتجزأ من صميم الامة التى تعيش فيها والتطورات تشملها مثلما تشمل الرجال ، فكان من أثر ما أصاب المسلمين جميعا ، ان انحطت مكانة النساء ، ونزلن عن عروشهن الى الحضيض



سودانية



اندونيسية

اقتصاديا تغذيه حرية كاملة في التعليم والعمل والتعامل . . الى غير ذلك من الميزات ، التى لم تعرفها المرأة الغربية الا في النصف الاخير من القرن التاسع عشر

وقد اثمرت هذه المكانة ثمراتها في العهود الذهبية للاسلام ، فكان للمرأة شأن اجتماعى مرموق ، ثم تسلل الفساد الى الامبراطورية الاسلامية ،

وقد سجل الوعى الذى اجتاح العالم العربى في بحر السنوات الثلاثين الاخيرة ، بداية طيبة لنهضة جديدة ففتحت المدارس للبنات ، وتعلم منهن عدد وفير ، ولكن وراء الطليعة المثقفة المنتجة ، اغلبية ساحقة مازالت الى اليوم تتمرغ في أحضان الجهل والتأخر . وهذه الاغلبية الجاهلة لعنة على العالم الإسلامى ، فالمرأة ليست مجرد مخلوق مستقل بذاته

انما هى مواطنة وزوجة وأم ، ولها فى الحياة الاجتماعية دور خطير ، اذا عجزت عن أدائه اختل توازن الاسرة التى يتألف الشعب من مجموعها ، وفى اختلال توازنها تعقيد للحياة كلها

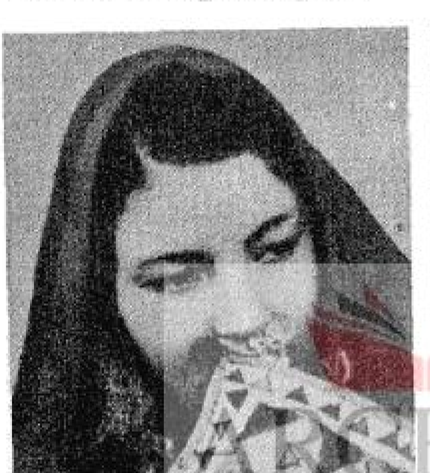
والمرأة العربية بجهلها الواضح عاجزة تمام العجز عن القيام بدورها الطبيعى ، فلاهى تستطيع أن تكون لزوجها سندا قويا تمده بالفكرة

تحسين أحوالها ، فاصبحت متحمسة لاداء دورها كما ينبغى ، ولكن هذه الحماسة تصطدم دائما بالجهل ، فلا تسفر عن نتائج مذكورة ، وستظل الشعوب الاسلامية متخلفة عن ركب الحضارة ، حتى يتعلم نساؤها ، وتنقشع غشاوة الجهل عن أبصارهن وقلوبهن

والوعى النسائى فى حد ذاته نعمة



مراكشية



بدوية

المفيدة ، وتشجعه على الجهاد والتقدم وتحفزه الى احتمال المشاق فى سبيل غاية أفضل .. ولاهى أيضا تستطيع أن تعطى الوطن رجالا صالحين ، لان قدرتها على تنشئة أولادها قاصرة ، وفهمها لاصول التربية محدود ، والمامها بالمثل والمبادىء ضعيف هزيل

وقد ايقظ الوعى العربية المسلمة من سباتها ، ونبهها الى ضرورة

جزيلة ، وكثير من الشعوب استفادت به فى تحسين أحوالها ، ولكن الامم الاسلامية لم تتمكن من ذلك ، لان نساءها محرومات من عامل الاستقرار الضرورى فى تحقيق التفرغ للانتاج السليم ..

ومرجع العلة فى قلق المرأة المسلمة الى القوانين التشريعية القائمة ، التى تهدد حياتها بالاخطار ، وتشعرها

كأنها تعيش على كف عفريت ، وتجعلها فى رعب دائم من أن تفقد بيتها وزوجها وأولادها بلا مبرر . وهذا القلق يستحوذ على تفكير النساء ، ويحصر اهتمامهن فى موضع الخطر دون غيره ، وبذلك يصرفهن عن المساهمة فى الجهود الانتاجية ذات الاثر الملموس فى نهضات الشعوب

وسواء أكانت هذه القوانين التشريعية مطابقة لروح الدين أو مخالفة ، فقد اصبحت غير ملائمة لروح العصر الحديث ، وبقاؤها مضيعة لاى جهود تبذل فى ترقية الشعوب الاسلامية . ولست ارى املا يرتجى قبل أن تتغير هذه القوانين التشريعية ، حتى تتمشى الحياة مع دواعى المدنية الصحيحة ، فان قوانين الارث والطلاق والنفقة والحضانة وتعدد الزوجات وبيت



مدغشقرية



باكستانية

الطاعة ، تهدر كرامة المراة أدبيا واجتماعيا واقتصاديا ، وتحول بينها وبين شعورها بانها انسانة كاملة

ومن العبث أن نتوقع خيرا من المراة المسلمة ، قبل أن نقضى على متاعبها التشريعية كلها ، فنعادل بينها وبين الذكر فى الميراث ، ونسلب الرجل حقه فى العبث بقداسة الحياة الزوجية

ونعود الى الاقلية المتعلمة من نساء المسلمين ، فنجد أنهن يتمتعن بحياة افضل ، ويقمن بجهود أكرم ، ويساهمن مثلما يساهم الرجل فى بناء النهضة الجديدة ، ولكن أثرهن مع ذلك ضعيف ، وذلك لان المتعلمة المسلمة محرومة من نعمة الثقة بالنفس ، فقد ساءت اليها الاوضاع الاجتماعية المختلة على مضى القرون وأصابتها عهود الذلة الطويلة بداء

مركب النقص . ويتمثل لنا مرضها النفسى فى حياء شديد يعوقها عن شق طريقها الى آفاق جديدة جريئة هذا الى جبنها البالغ أمام ثورة الرأى العام ، وترددها فى تحمل المسئوليات وضعفها فى منازلة الشدائد والعقبات وهذه ليست عيوبا ثانوية ، فتوافر الثقة بالنفس اكبر حافز الى الجهاد والكفاح ، واقوى دافع الى الاتقان



ايرانية

والابداع ، واهم عامل فى تأكيد الاطمئنان الى بلوغ المراد

والمسلمة مع الاسف محرومة من الشخصية المميزة لها ، وهى خليط عجيب من الشرقية والغربية ، ولكنه خليط لا يصطبغ بصفة خاصة . والسبب فى ذلك انها تمر بفترة انتقال خطيرة ، يتصارع فيها الجديد مع القديم ، ولم تكتب الغلبة لاحدهما بعد ، فالمدنية الحديثة التى أتتنا من الغرب ، زحفت بسرعة على أصول التقاليد العتيقة المتوارثة ، فأتت على بعضها ، ولكنها لم تفلح فى القضاء عليها كلها ، ومحو آثارها من الاذهان

وبين القديم والجديد ، تقف المسلمة المتعلمة حائرة ، لا تستطيع أن تنسى ماكانت عليه أمها منذ عهد قريب ، ولا تستطيع أيضا أن تندمج فى حياتها



تركية

الجديدة اندماجا كليا . وهذه الحيرة تحول بينها وبين بناء شخصية مفردة تميزها عن غيرها فى الشعوب الاخرى وكذلك تخلط عليها تفكيرها وتشعبه فى طرق مختلفة . ولكنها حيرة مؤقتة على كل حال ، ويوم تنتهى فترة التطور بتفاعلاتها العنيفة ، سيستقر أمر المرأة على شخصية مستقلة ، تميزها بخصائص واضحة تعرف بها بين نساء العالم اجمع



● دلت الارصـاد الجوية فى امريكا واكثر بلاد العـالم على اطراد الارتفاع فى معـدل درجات الحرارة خلال السـنوات الخمس الاخيرة . وقد امكن خلال هـذه السنوات توفير ما قيمته نحو مليون دولار من استهلاك الوقود الخاص بالتدفئة فى شيكاغو وحـدها . وكانت نسبة الانخفاض فى استهلاك الوقود بها خلال الشتاء الماضى نحو ١٤ ٪ عنه فى العام السابق

● كان احد الصيادين اليابانيين من بين المصابين فى حادث تفجير القنبلة الايدروجينيـة لتجربتها . وقد بعثت زوجته برسالة الى احد النواب الامريكيين قالت فيهـا : « اننى لم استطع أن اتبين معـالم زوجى حينما رأيتـه بعـد تلك الاصابة . ان راسه لم تبق فيـه شعرة واحدة ، اما جسمه فقـد تمزق او احترق اكثر جلده . وكان يئن لفرط آلامه ويصرخ مؤكدا انه يريد ان يعيش ولكنه يشعر بأنه مشرف على الهلاك او الجنون ! . ان جميع الذين اصيبوا بسبب تفجير قنابلكم يريدون أن يعيشـوا فماذا تعتزمون أن تعملوا لهم . ؟ وماذا تستطيعون أن تعملوا ؟ . لقد سمعت انكم ستجرون اختبارات أخرى ، فسيطر الرعب على نفسى ولهـذا استحلفكم بالله أن توقفوا تجاربكم، وان تكفوا عن صنع هذه الاداة الجهنمية التى لو رايتم آثارها فى زوجى لقطعتم ايدى الذين اخترعوها ! »

● سئل احد الاخصائيين : « من هـو الرجل الناجح فى نظرك ؟ »

فأجاب : « هو الذى ينسى اخطاءه ولكنه لا ينسى بواعثها والاسـباب التى أدت اليها . وهو الذى لا يقنع بأنه أول من خطرت له فكرة ما ، وانما يحرص على ان يكون أول من يطبق هذه الفكرة »

● تتبع دور المسرح والسينما وما اليها فى بعض البلاد الغربية طريقة مع كل شخص يتعدى دوره فى الصف امام نوافذ صرف التذاكر ، وذلك بخطف قبعته وتسليمها الى الشخص الواقف وراءه ، ليسلمها بدوره الى من خلفه .. وهكذا حتى تصل الى آخر شخص فى الصف ، مما يضطر ذلك الذى تجاوز دوره ـ سهوا او عمدا ـ الى الرجوع الى آخر الصف !

● اقترح بعض المشتركين فى معرض للزهور اقيم منذ اشهر فى احدى بلدان الغرب ، ارسال وردة بيضاء الى كل واحد من رجال الحكومة السوفيتية البارزين ، للتعبير عن امل اتباع المعسكر الديمقراطى فى ان يعيشوا فى سلام وتعاون مع انصار المعسكر الشيوعى .. وقد نفذ هذا الاقتراح وارسلت الزهور بالطائرة !

● كان « سولون » مشروع اثينا الكبير لايفتأ يقول : « ان طاعة القانون هى سر الرخاء فى أى بلد » ... وسئل يوما : « كيف نجعل الناس يحترمون القانون ؟ »

فأجاب : « ينبغى أن ندرب المواطنين الذين لم يضاروا من ارتكاب جريمة أو مخالفة للقانون على أن يغضبوا ويثوروا مثل أولئك الذين وقعت عليهم آثار الجريمة او المخالفة »

وقد تعود الاثينيون نتيجة لتعاليمه ان يعقدوا اجتماعات يعبرون فيها عن سخطهم وغضبهم على الجناة كلما ارتكبت جريمة ، كما يتخذون من هذه الاجتماعات مجالا للدعوة الى ضرورة الاخلاص والامانة والحرص دائما على مراعاة الصالح العام وصالح المجتمع !

● كتب أحد علماء النفس يقول : « اذا شئت ان تكون سعيدا، فخلص قلبك من الكراهية ، وعقلك من القلق ، وعش عيشة بسيطة متوقعا القليل ومعطيا الكثير . املأ حياتك بالحب ، وانس نفسك ، وفكر فى الآخرين . وعامل الناس بما تحب ان يعاملوك به . والآن جرب هذه « الوصفة » اسبوعا وسوف تدهش للنتيجة ! »

● اتجهت انظار المسئولين فى بلاد الغرب أخيرا الى تعليم الفلاحين واطفالهم أصول الموسيقى . ويرى المسئولون ان هذا افضل الوسائل الى مكافحة العقائد الهدامة والعادات الضارة ، التى تتحكم فى نفوس كثير من القرويين نتيجة لعجزهم عن شغل اوقات فراغهم بما يفيد

● كان لارتفاع مستوى المعيشة وتوافر المواد الغذائية فى أمريكا ، اثرهما فى اطراد نقص عدد المصابين بالدرن فيها مما أدى الى غلق أربع مصحات للدرن ، أسس بعضها منذ اكثر من ٨٥ عاما !

● من الصلوات الشائعة بين أفراد بعض القبائل في شمال الهند ، صلاة يقولون فيها : « اللهم اننا لا نعلم ما هو خير لنا . ولكنك انت تعرف ما هو . ولذلك نسالك ونتضرع اليك أن تهبنا ما تراه خيرا لنا ! »

● يرى احد كبار الاخصائيين ان الخمسين عاما القادمة ستشهد طائرات تقطع المسافة بين نيويورك ولندن في ساعة واحدة ، وان أجر السفر في هذه الطائرات سوف يكون اقل من أجر السفر بالدرجة الثالثة بالسكك الحديدية اليوم . ولن تكون هذه الطائرات في حاجة الى المطارات بل تصعد وتهبط عموديا ودون أحداث جلبة او ضوضاء !

● بلغ ما انفقته النساء في انجلترا خلال العام الماضي في شراء الروائح العطرية ومواد التجميل ٨٠ مليون جنيه . وقد نوقش موضوع تحديد استهلاك هذه المواد على صفحات الصحف فعارض التحديد اغلب علماء النفس . وقال احدهم في ذلك : «ان مواد التجميل ضرورية للمرأة ، لا لانها تجعلها جذابة في نظر الرجل فقط ، بل لانها بقدر ما تضفي عليها من جمال ، تضفي على كل ما يقع عليه نظرها جمالا واشراقا ، فتحس بالثقة والبهجة ، وهذا الاحساس اشبه بالزيت للآلة ، اذ يسهل على الرجال مهمة العيش مع النساء في وفاق وسلام ! »

● تسببت لعبة كرة القدم في الولايات المتحدة فيما بين سنتي ١٩٤٩ و١٩٥٣ ! في ٩٤ وفاة منها ٦٥ بسبب اصابات مباشرة ، و ٢٩ بسبب هبوط في القلب أو التهاب رئوي وما الى ذلك من حالات مرضية سببتها اللعبة

● يؤخذ من احصاءات ضرائب الدخل في امريكا ان هناك ١٧١ شخصا يبلغ دخلهم السنوي اكثر من مليون دولار ، وان العدد الاكبر من دافعي الضرائب يتراوح معدل دخلهم بين ثلاثة آلاف دولار واربعة آلاف دولار !

● ضاق احد اصحاب المكتبات في لندن بالعملاء الذين يقضون وقتا طويلا داخل المكتبة ثم يغادرونها من غير ان يشتروا شيئا ، فوضع نظاما يقضي بأن كل من يدخل المكتبة يقدم له فنجان من القهوة مقابل ثلاثة قروش ، على أن تخصم من ثمن الكتب التي يشتريها !



● اراد احد اصحاب الاملاك أن يكون عادلا مع ولديه الوحيدين ، فكتب وصية جاء فيها : « يقسم جميع العقار الذي خلفته الى قسمين متساويين ، على ان يقوم بعمل هذه القسمة ولدي الاكبر لانه اكبر سنا واجدر بالاحترام ، ويكون لابني الاصغر حق اختيار النصف الذي يعجبه ! »

● قام أحد الصحفيين الامريكيين باجراء تجربة على عدد كبير من الموازين التى توضع بالمتاجر والصيدليات كى يزن المرء نفسه بها بمقابل أجر معين ، فاختلفت الارقام الدالة على وزنه اختلافا كبيرا ، بلغ اكثر من أربعة كيلو جرامات !

● تنظم بعض بلاد الغرب الآن معسكرات صيفية تدعو اليها الاطفال من مختلف الدول والبلدان الاخرى لقضاء جانب من اجازاتهم . وذلك لكى يختلط الاطفال من مختلف الجنسيات والاديان ويشبوا بعيدين عن التعصب أو الضيق الفكرى الذى يعكر صفو السلام ويؤدى الى الحروب



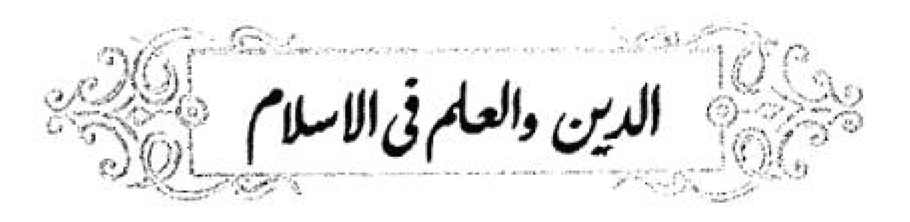
● فى «بناما» نوع من العنكبوت يعشش فوق اكواخ الهنود الحمر ، فيحول دون دخول جميع الحشرات اليها اذ يصطادها أولا فأول

● يقول استاذ بجامعة « بنسلفانيا » : ماتزال الخرافات والاوهام حتى فى أرقى البلدان تسيطر على عقول كثيرين ــ حتى بين اساتذة الجامعة ــ وان اتخذت صورا جديدة عصرية . ومن الخرافات الشائعة الاعتقاد بأن نموذجا مصغرا من الاحذية امام سائق السيارة ، أو نماذج لاشياء أخرى تحميه من الحوادث ، وان الاحتفاظ بالكتب المقدسة فى الجيوب ــ وان لم يكن حاملها يؤمن بها ــ يحمى من حوادث الطريق . وكثيرون يحملون التمائم أو يخفونها تحت ثياب اولادهم كى تحول بينهم وبين الحسد . وفى « فيلادلفيا » جراح عالمى معروف لا يجرى جراحة مالم يلبس قفازا أبيض اعتاد ان يلبسه منذ سنوات!

● تعنى الآن أغلب بلدان العالم بتشجيع السياحة واجتذاب اكبر عدد من السائحين . وبلغ عدد الذين زاروا انجلترا فى العام الماضى ٨١٩ الف زائر ، بزيادة نحو ١٢ فى المائة على ما كان الامر عليه فى العام السابق . وقد انفقوا خلال اقامتهم ١٢٦ مليون جنيه بزيادة نحو ١٠٪ على ما انفقوه فى العام السابق . ودلت الاحصاءات على ان الجنيه الذى انفقه السائح ، أنفق منه تسعة شلنات على الفنادق ، واربعة شلنات على طرق المواصلات الداخلية ، واربعة شلنات فى المتاجر ، وثلاثة شلنات فى دور اللهو والخدمات الاخرى !

● ظفر بجائزة نوبل لعام ١٩٥٤ فى الطب والفسيولوجيا ، ثلاثة علماء أمريكيين ، اثنان منهم من جامعة « هارفارد » والثالث من مدينة « كليفلاند » بولاية أوهايو ، وذلك عن بحوثهم التى أدت الى ابتكار « فاكسين » مضاد لشلل الاطفال

كاتب هذا المقال الدكتور ميلر بروز رئيس قسم اللغات الشرقية بجامعة « ييل » وقد كان دائم الاتصال بالشرق ، والف عنه كتبا عديدة . ونحن ننشر بحثه هنا وان كنا لا نشاطره جميع آرائه



ترجمة الدكتور محمد خلف الله

عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية

من الواضح ان ثمة حربا باردة بين العلم الطبيعى والدين .. صحيح أن هناك كثيرا من العلماء المتدينين ، كما ان هناك متدينين يألفون دنيا العلم ، ولكن هناك ايضا كثيرا من العلماء الذين لا يأبهون بالدين بل يناصبونه العداء ، وكثيرا من انصار الدين الذين يخافون العلم الحديث ويبراون منه . وهذا النزاع لا يمكن حله بأن نختار بين العلم والدين ، فنقبل واحدا ونرفض الآخر . ان العلم والدين يجب ان يعيشا معا ويعملا معا . وخير طريق لهذا ، ان نبحث اسباب النزاع

ان من اهم مصادر هذا النزاع ان العلم والدين كليهما يرى انه اداة لمعرفة الحقيقة ، ولكنهما يواجهان الحقيقة من زوايا مختلفة وبوسائل مختلفة ، وكل منهما ميال لعدم الثقة فى الوسائل التى يتبعها الآخر .. فالدين يستمد المعرفة من طريق الوحى ، مدركة ببصيرة خاصة ، او لقانة فطرية او الهام ، على حين ينشد العلم المعرفة بالبحث والملاحظة ، والتعميم والتحقيق التجريبى ، والعلم لا يحكم بصدق اى قضية حتى يقوم عليها البرهان ، اما الدين فيتكلم عن سلطان ، ويتطلب الايمان

ان الطرائق العلمية والدينية لتعرف الحقيقة ليست فى الواقع متعارضة ولا ينفى بعضها بعضا ، وما لم نقل بنوع من التعدد الميتافيزيقى الذى يجعل كلا من العلم والعقيدة التوحيدية غير ذى حقيقة او جدوى فان الدين والعلم يعالجان حقيقة واحدة ، غير انهما يمثلان نواحى مختلفة ، فهما لا يتفقان بالضرورة فى رؤية الحقيقة ، لانهما يواجهانها من طرق مختلفة

هذا الى ان الايمان الدينى يقوم فى بعض نواحيه على مدركات مخالفة لتلك التى تؤلف مادة العلم الطبيعى . واذا كانت التجربة تمد كليهما ، فانهما يختلفان فى أنواع التجربة . ان

التجارب الداخلية الروحية التي تجيء من طريقها البصيرة الدينية لا يمكن قياسها او اخضاعها لضوابط رياضية ، او وضعها موضع الاختبار في معمل . ولست اقصد من هذا ان التجربة الدينية — وحتى تجربة النبوة — لا يمكن بحثها ، فانه من المستطاع ان تلاحظ وتدرس بنفس الطريقة — والى نفس الدرجة — التي يمكن بها ملاحظة التأثيرات الذوقية والوجدانية ودراستها . وقد قام الباحثون بكثير من الدراسات على سيكلوجية التصوف ، وسيكلوجية تجربة النبوة . واذا كانت بعض هذه الدراسات عديمة القيمة لاعتمادها على معلومات ناقصة ، او على مفترضات خاطئة فان بعضها له قيمته وليس هناك ما يدعو الدين الى ان يرفض البحث أو يخافه ، ما دام ذلك البحث نزيها موضوعيا قائما على منهج معقول

غير انه من الضروري ان نؤكد ان البحث النفساني لا يستطيع ان يقرر صحة التجربة الدينية كطريق لمعرفة الحقيقة ، فالعلم يستطيع ان يصف النواحي النفسية من التجارب الدينية ، وأن يوازن بينها وبين الانواع الاخرى من التجربة ، ولكن وصفه ليس له تأثير على المغزى الديني للتجربة ، ويستطيع العالم مثلا أن يشير الى أن التجارب الدينية — منظورا اليها في ضوء الظواهر السيكلوجية — لا يمكن تمييزها من اوهام الحس ، ولكنه كعالم — لا يستطيع ان يبني على هذا أن كل تلك التجارب اوهام ، بينما نحن نعلم ان بعضا منها اوهام ، وأن الدينيين انفسهم قد عرفوا منذ القدم ان هناك رؤى ونبوات باطلة

العلم — اذن — يستطيع أن يصف مظاهر التجربة الدينية ، ولكنه لا يستطيع أن يحكم على قيمة مادتها .. فالعلم يصف الخطوات السيكلوجية بينما الايمان يفسرها ، وذلك التفسير لا يمكن ان يحكم بصحته او بطلانه عن طريق الاختبار التجريبي في المعمل

هذا التمييز بين الحقيقة وتفسيرها لا يصدق على التجارب الداخلية الروحية فحسب ، ولكن على تفسير الاعتقاد الظواهر الطبيعية التي يدرسها العلم كذلك . ان التجارب الخاصة للنبي او الصوفي ليست هي كل اشكال التجربة الدينية ، فالانطباعات والاعتقادات الدينية كثيرا ما تجيء من التأمل في الطبيعة وفي الحياة الانسانية . والقرآن دائم التقريع للناس لانهم لا يرون آثار الله في التجارب اليومية كتعاقب الليل والنهار وتجدد النبات وما الى ذلك فاي تجربة تصبح تجربة دينية حينما يرى الاعتقاد فيها معنى دينيا ، والاعتقاد الديني يفسر التجارب كلها في لغة المغزى والعلة الغائية ، وهما خارجان عن ميدان العلم الطبيعي

من حق الدين — اذن — أن يصر على صدق التجارب التي يصل منها الى الحقيقة ، وأن يتمسك بحق الايمان في تفسير معنى هذه التجارب

وغيرها ، ومن واجبه ان يتبين الفرق بين نوع المعرفة التى تجىء عن طريق البرهان العلمى ، وتلك التى تجىء من تجارب داخلية فردية ؛ لا يمكن تحقيقها عن طريق ذلك البرهان ، ثم بينها وبين الايمان الذى ينبنى عليه اتباع مالا نستطيع فى بعض الاحيان اكثر من ان نرجو ان يكون صحيحا

على ان للدين ان يذكر العالم بالطبيعة الافتراضية الظنية لكثير من فروض العلم ، وان يطلب احترام التفسيرات الدينية للتجارب ، باعتبارها على الاقل فروضا ممكنة

انه ليس للدين ان يتوقع ان معتقداته ستؤخذ قضايا مسلمة ، على اساس انها جاءت من طريق الوحى وأن وراءها سلطة التقاليد القديمة . فهذه الاعتبارات لها قوتها عند المؤمن بالدين ، لانها تؤيد عقيدته ، ولكنها لا تستطيع ان تقنع غير المؤمن الذى لا يعترف بسلطة التقاليد او الوحى

اما العلم فانه يرى فى روح البحث الحر جوهر الحياة ، واذا كان الدين يريد ان يضمن احترام العلماء فعليه ان يظهر استعداده لعرض قضاياه لضوء العقل ، غير مقيد بسلطة الاسلطة الحقيقة نفسها ، كما تبدو لضمير كل فرد ولحكمه الحر ، وعليه ان يقول : « هذا ما نعتقده ، ونعتقد انه الحق من الله وانه ارادة الله ، ونحن لا نستطيع ان نفرض عليكم قبوله ، ولا نسألكم قبول اى شىء الا ما يحكم عقلكم بأنه صواب »

واذا كان المؤمنون بالدين يعتمدون على قوة الحقيقة فى ضمان قبولها ، فعليهم ان يكونوا مستعدين لقبول الحقيقة التى يكشفها العلم ويبرهن على صدقها . وهم لا يستطيعون بالضرورة ان يقبلوا كل نظريات العلماء المختلفين ، او يعتبروا نتائج نهائية ما يراه العلماء انفسهم نتائج جزئية او تمهيدية . . ولا ينبغى لهم ان يبادروا بالعدول عن معتقدات يبدو ان لا سند لها من العلم ، وانما يجب عليهم ان يقبلوا النتائج التى انعقد عليها اجماع العلماء المعترف لهم بالسبق والمقدرة فى ميدان العلوم الطبيعية ، وان يلائموا بين معتقداتهم وتلك النتائج

ان هذا يتطلب الامانة والشجاعة معا . . فعلى الرغم من ان الدين والعلم — كطريقين مختلفين لمعرفة الحقيقة — ليس بينهما تعارض ضرورى ، فان هناك معتقدات تقليدية تناقضها كشوف العلم ، وهذه المفارقات على بعض نواحى العقيدة مسئولة عن كثير من النزاع بين العلم والدين

ماذا يجب ان يكون موقفنا — اذن — حين يبرهن العلم نقيض شىء نعتقد انه موحى به من السماء ؟ ان اول ما يجب علينا عمله هو ان نعيد اختبار المعتقدات التى ننسبها للوحى لنرى امن الممكن ان تفهم بطريقة تتفق والحقيقة التى كشفها العلم . ولأضرب لذلك مثلا : من الذائع المشهور ان النتائج التى وصل اليها العلم الحديث عن اصول العالم تخالف كل المخالفة ما هو مقرر فى الكتاب المقدس وفى القرآن من ان الله خلق العالم فى ستة ايام

صحيح ان القرآن يقرر كما يقرر الكتاب المقدس ان يوما عند الله كألف سنة ، ولكن هذا لا يحل المعضلة . فترة الزمان المتطاولة التى مر بها الكون فى وجوده لا يمكن ان تضغط فى ستة آلاف او ستة ملايين سنة والانسان نفسه لم يخلقه الله دفعة واحدة منفصلا عن خلق الحيوان ، ولكنه جاء نتيجة لتطور طويل . فكيف – اذن – نتغلب على هذا الاشكال ؟ نحن لا نستطيع ان نرفض كشوف العلم الواضحة المؤيدة بالبراهين ، فهل نرفض ما جاء به الوحي وهو الطريق الدينى للمعرفة ؟ ان الاجابة على هذا تتطلب اعادة البحث فى طبيعة الوحي ، فكما ميزنا بين الناحيـة السيكلوجية والمادة الدينية من التجربة الدينية ، كذلك يجب ان نميز بين الشكل التصورى والمحتوى الدينى للوحى ، فالوحى ليس وحيا ما لم يؤد معنى ، ولكى يـؤدى معنى يجب ان يتنزل فى قـوالب تعنى شـيئا لسـامعيها او قارئيهـا . ومن هنا كرر القرآن القول بانه نزل بلغة الاقوام الذين اوحى اليهم :

« وكذلك أنزلناه قرآنا عربيـا »

« وانه منزل بلسان عربي مبين »

ولا ينبغي ان تكون الرسالة بلغـة مفهومة فحسب ، بل ان تكون فى اطار من الافكار المألوفة القابلة للفهم ، مناسبة للمستوى الفكرى لسامعيها

ومن هنا نرى أن مضمون الوحي ينبغي ان يتمشى مع ما تقرره الآراء العامة السائدة عن العالم فى الوقت والمكان اللذين ينزل فيهما .. وهذه لا يمكن أن تكون كاملة أو دقيقة ، ولهـذا يجب دائما ان تصحح فيما بعد .. غير انها فى وقت الوحي تقوم بمهمتها فى اداء حقيقة دينيـة هامة ، هى الحقيقة التى تستطيع فهمها عقول من نزلت فيهم الرسالة . فلو ان الحقيقة التى نزل بها وحى القرآن او الكتاب المقدس جاءت فى قالب من تصورات العلم الحديث عن الكون ما كان لها معنى عند القوم الذين ارسلت اليهم ، بل لم يكن من الميسور ان يعبر عنها بلغتهم اذ ذاك ، هذا الى انها كانت ستحتاج بالضرورة تعديلا فيما بعد لان تصوراتنا الحالية ليست كاملة ولا نهائية

فالفكرة التى تقول ان العالم خلق فى ستة ايام ترجع الى ما أسميه شكل الوحي او اطاره ، وهو الرأى الذى كان سائدا عن العالم فى العصر السابق للعلم والذى انزل الوحي فى قوالبه . ففى الفصـل الاول من الكتاب المقدس ، حيث تظهر هـذه الفكرة اولا ، يبدو من الواضح انها مرتبطة بالاسبوع ذى السبعة الايام ونظام السبت اليهودى . فالجوهر الدينى الحقيقى للوحي ليس فى ان العالم خلق فى اسبوع ، بل فى ان الله خلق العالم ، فالعالم ليس نتيجـة مصادفة او قوى مختلطة عمياء .. انه من صنع الله . والعلم الحديث يعطى اطارا جديدا أوسع لهـذه العقيدة ، فكلما اتسعت معارفنا عن الكون وعمقت ، بدا لنا عمل الله فى الخلق اروع وابدع صنعا

وهناك معضلات اخرى كثيرة مشابهة ، مثل مسـائل المعجزات والصلاة وعلاقتهما بالتصريف المنظم

الكون . وهناك وراء هذا كله المعضلة الاساسية فى الاعتقاد بوجود الله فى مواجهة الراى العلمى عن الكون . فكيف يمكن تحديد العلاقة بين سلطان ارادة الله وبين القوى غير الشخصية والقوانين الثابتة للطبيعة ؟

وهناك موضوع آخر تختلف فيه الافكار الدينية والعلمية ، وهو الاعتقاد فى حياة آخرة : فالبعث والحساب والثواب والعقاب للمؤمنين والكافرين تأخذ اهمية ظاهرة فى القرآن . وهذا الموضوع بالضرورة خارج عن نطاق العلم الطبيعى الذى يقصر نفسه على بحث الظواهر الكونية الملاحظة او القابلة للملاحظة . على ان العلم — من الناحية الاخرى — يمس هذا الموضوع من جهتين : من جهة انه لم يكشف فى الوجود اى شىء يؤيد الاعتقاد فى الحياة الشخصية بعد موت الجسم ، ومن جهة ان فى الكثير مما كشفه عن طبيعة الشخصية وعن العلاقة بين العقل والجسم ما يثير اسئلة خطيرة تتعلق بامكان الحياة المستقبلة ، ولا احد يعرف الاجابة عن هذه الاسئلة

ان الاسلام لا يقرر — بالضرورة — ان الروح بطبيعتها خالدة ، ولكنه يقول : ان الله يحيى الموتى ، بعمل معجز ، بخلق جديد ، ولا يستطيع العلم ان يقول فى هذا شيئا . فالشىء الذى لم يقع ، والذى يكون وقوعه انقطاعا تاما لسلسلة الخطوات الطبيعية لا يمكن ان يخضع لاى ضرب من ضروب التحقيق العلمى . والمسألة — اذن — لا تزال كما كانت دائما فى الماضى مسألة اعتقاد

ان موضوع الحياة المستقبلة يثير مصدرا آخر من مصادر الاحتكاك بين العلم والدين ، وهذا المصدر ذاته قد يهدى الى الطريق الذى يؤدى الى التوفيق والى اقامة التعاون المثمر بينهما . لقد كان بحثنا الى الآن قائما على اساس ان العلم والدين طريقان مختلفان لمعرفة الحقيقة . غير ان الدين لا يعنى بمعرفة الحقيقة فحسب ، ولكن بالعمل ايضا وباهدافه النهائية . فمنذ سنوات مضت — هنا فى برنستون — سمعت الاستاذ البرت اينشتين يقول ما مؤداه : « العلم يخبرنا بما هو كائن ، ولكن الوحى وحده هو الذى يخبرنا بما ينبغى ان يكون » . وعلى الرغم من ان هذه التفرقة — ككل تفرقة اخرى بحثناها — ينبغى الا يبالغ فيها ، فانها حقيقية ومهمة . فالعلم يصف والدين يأمر ، وقد يستطيع العلم ان يخبرنا ما هو الانسان ، وكيف اصبح على ما هو عليه . ولكن الدين يخبرنا لم يعيش الانسان والى اى غاية يجب ان توجه حياته . وهذا فى الواقع هو جوهر الدين فى الاسلام والمسيحية على السواء . فالدين ليس مجرد ايمان ولكنه تسليم واعتراف بسلطان الله علينا وبخضوعنا لارادته ، واخلاصنا الطائع الفعال لمشيئته وسلطانه

غير ان العلم ايضا يقود للعمل . فهو حين يخبرنا عن ماهية الطبيعة يرينا كيف نخضعها ونستخدمها فى

اغراضنا العملية ، وهذه قد تكون خيرا وقد تكون شرا . فالعلم يمكن ان يستخدم — وهو يستخدم فعلا — لاغراض بعضها حسن وبعضها قبيح . وهنا يبدو امكان اتفاق العلم والدين فى شركة تؤدي الى خير كثير فلو ان القوة التى يعطينا اياها العلم تستعمل فى الاغراض التى يحددها الدين لادى ذلك الى عمل الدين والعلم معا لسعادة الانسان وفى خدمة الله

ولكن هل يستطيع العلم حقيقة ان يخدم اغراض الدين ؟ صحيح ان العلم قد قام بنصيب كبير فى اسعاد الانسان ، ويظهر هذا اكثر ما يظهر فى ذلك العلم الذى خدمه علماء الاسلام خدمة ظاهرة ، وهو علم الطب وكذلك تقدم العلم الحديث بخطوات واسعة فى ميادين اخرى مهمة

انه ليس هناك شيء لا ديني فى تزايد سيطرة الانسان على القوى الطبيعية ، وهناك آية فى القرآن يمكن أن يستنتج منها ان المجموعة الشمسية خلقت لكى يدرس الانسان علم الفلك ويستخدمه فى حياته « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » وكثيرا ما يشير القرآن الى اخضاع الطبيعة للانسان باعتباره احد الآيات التى تبعث على الشكر والايمان « وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » .

غير ان هنا معضلة حقيقية ، فالتقدم الذى يسره لنا العلم — باستخدام قوى الطبيعة — ترتب عليه من غير شك تناقص شعورنا بالاعتماد على الله ، فان سيطرتنا على قوى الطبيعة واستخدامها فى اغراضنا تطرد فى زيادتها حتى ليصبح من السهل ان نعتاد الظن باننا بالضغط على الزر المناسب او بتحريك المحرك الصحيح نستطيع ان نعمل كل شيء . وسواء آمنا عن وعي بالفلسفة الميكانيكية ام لم نؤمن فاننا مدفوعون بظروف الحياة الحديثة الى اتخاذ «عقيدة» ميكانيكية عن العالم ، فكما كان اسلافنا يؤمنون بالسحر فى العصور الاولى كذلك نحن الآن نفترض ان كل ما نحتاجه ، لننجز اى شيء نرغبه ، هو ضابط رياضي صحيح او خطة عملية صالحة . والنتائج التى نحصل عليها فعلا على اساس هذا الافتراض لها جاذبية تصرف انتباهنا عن عالم الروح بما فيه من موجودات لا ترى ولا تحس ، وتجعل حياتنا اكثر راحة وطرافة ، وبذلك نفقد اهتمامنا بالامور الروحية وليس العلم مسئولا عن هذا ، فمعظم الناس كانوا ولا يزالون دنيويين فى منازعهم ، الا ان النتائج المادية للعلم الحديث — بما اضفت من جاذبية على هذه الدنيا — زادت فى صعوبة توجيه الفكر الانسانى الى المسائل الروحية

ان معضلة الانتفاع بمزايا العلم من غير تضحية القيم الروحية للدين ليست معضلة جديدة على الاسلام فقد ثارت اول ما ثارت عندما واجهت

العقيدة الاسلامية علم الاغريق وفلسفتهم . غير انها بعثت فى شكل جديد عندما احتك الاسلام بالعلم الحديث كجزء مما نسميه المدنية الغربية . فبعد ان حفظت الثقافة الاسلامية شعلة الفكرة متقدة — فى المرحلة التى كانت فيها اوربا فى ظلام البربرية — اصابتها كما نعلم محن تركتها مدة قرون فى حالة من الركود حتى اذا ما استيقظت وجدت نفسها قد تخلفت فى شئون الحياة المادية ، وان مدنية الغرب الناشئة قد ادركتها وسبقتها . فالعلاقة بين الدين والعلم ليست بالنسبة للاسلام معضلة ذهنية فحسب ، ولكنها وثيقة الاتصال بذلك التفاعل المتشابك من التأثير المتبادل بين الاسلام والثقافة الغربية بما فيها من عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية وعقلية ، فلها نواح عملية ووجدانية مهمة

ان مقاومة التقدم الاجتماعي والثقافى باسم الدين لا يمكن دائما ان تنسب الى الحرص المحمود على القيم الروحية ، وفى كثير من الاحيان لا يكون الخطأ خطأ الدين ، ولكن خطأ الممثلين الرسميين للدين . فقد تقف المنظمات والزعماء الدينيون فى طريق التقدم ، بسبب جهالتهم وخوفهم الذى لا مبرر له فى بعض الاحيان ، او بسبب بواعث انانية لا قيمة لها فى احيان اخرى . بل لقد حدث أن اشتركوا فى الوان من الكفاح السياسى فى جانب الرجعية والجمود ، وليس العلاج فى مثل هذه الحالات نبذ الدين ولكن على الدين نفسه أن ينبذ هؤلاء الممثلين غير الجديرين بالاعتبار ، وان يتبع زعماء اكثر استنارة

ان الدين يجب ان يظل ثابتا فى اصراره على اخضاع العالم الطبيعى والمادى للعالم الروحى ، وعلى اخضاع الزمنى للابدى . ويجب الا يسلم قيد انملة للدنيوى والمادى . غير انه ينبغى له ان يعلم ان اهدافه تشمل توفير المعيشة الطبيعية والاجتماعية الحسنة للناس فى هذه الحياة ، والا يدع الحركات السياسية والدنيوية تحتكر الجهاد ضد الفقر والمرض والجهل ، بل يقوم هو بهذا الجهاد ويقوده . فليست العناية بالحياة الآخرة تستلزم عدم اكتراث بالحاجات الانسانية فى هذه الحياة ، واذا كانت هناك حياة وراء هذه تصحح فيها اخطاء الحياة الدنيا ، فان الذين ينعمون فيها هم اولئك الذين وهبوا انفسهم فى هذه الحياة لارادة الله وخدمة الانسان

ان الدين والعلم يستطيعان — لا ان يعيشا معا فى سلام فحسب — ولكن ان يتعاونا كذلك بما يحقق النفع لكل منهما ، فحين يضفى العلم على الدين بصيرة وبراءة من الشوائب وحين يقود الدين العلم ويوجهه فى تطبيقه ، تصل الحياة الانسانية الى ما ينبغى لها وما هو فى طاقتها ، وتنفذ مشيئة الله فى الارض

(بحث من كتاب « الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة » يصدر قريباً عن مؤسسة فرانكلين)



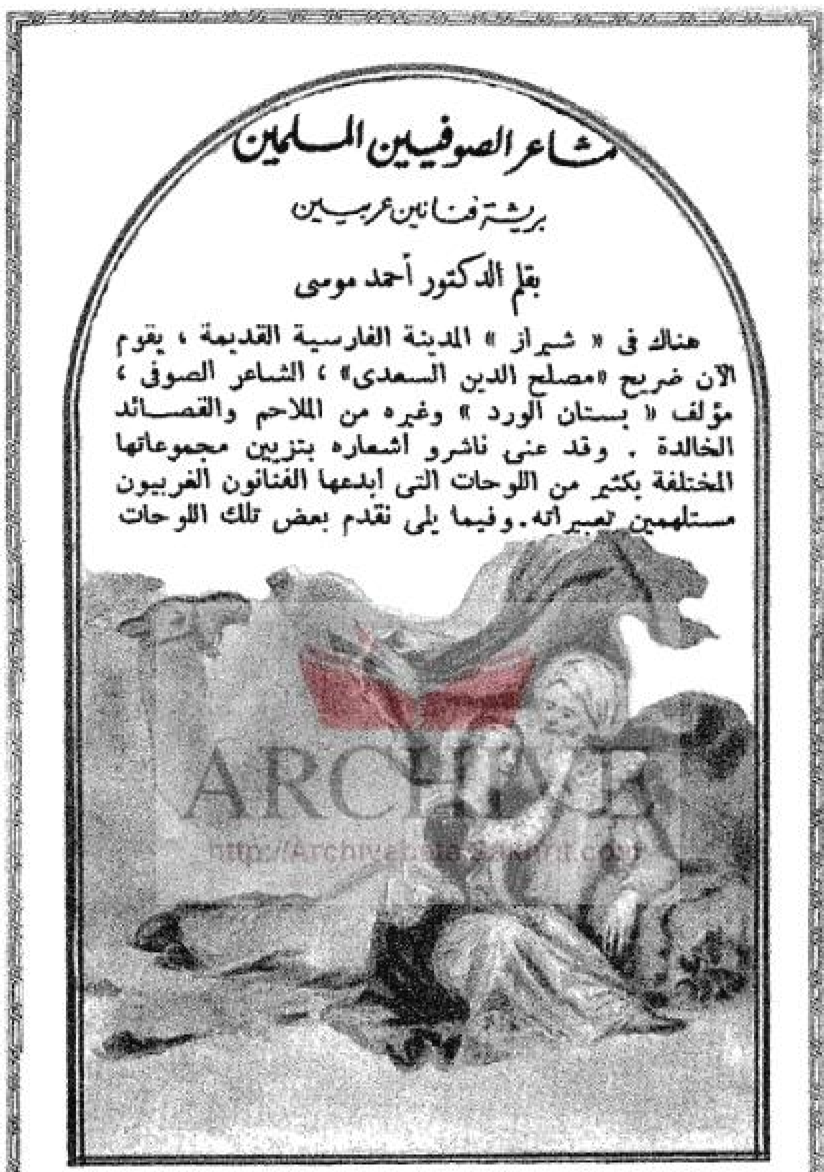
قدم .. أحسن ما في السوق
Radione
راديو
بيك اب
راديوني
١٣ صماما ٤ مكبرات صوت ، صوت استريوفوني مجسم
جهاز فونوغراف اوتوماتيكي بثلاث سرعات
وجهاز التسجيل الفاخر
مانيتوفون
خدمة طويلة الأمد
أداء كامل . سرعات مزدوجة
مدة التسجيل مضاعفة ساعتان
بغير حاجة الى ابدال البكرات
الوكلاء الوحيدون ورثة ا. برتيرو
٤٢ شارع سليمان باشا ت ٥٧٢٩٨ القاهرة س.ت ٥٨٤١٦

شاعر الصوفيين المسلمين

بريشة فنانين غربيين

بقلم الدكتور أحمد موسى

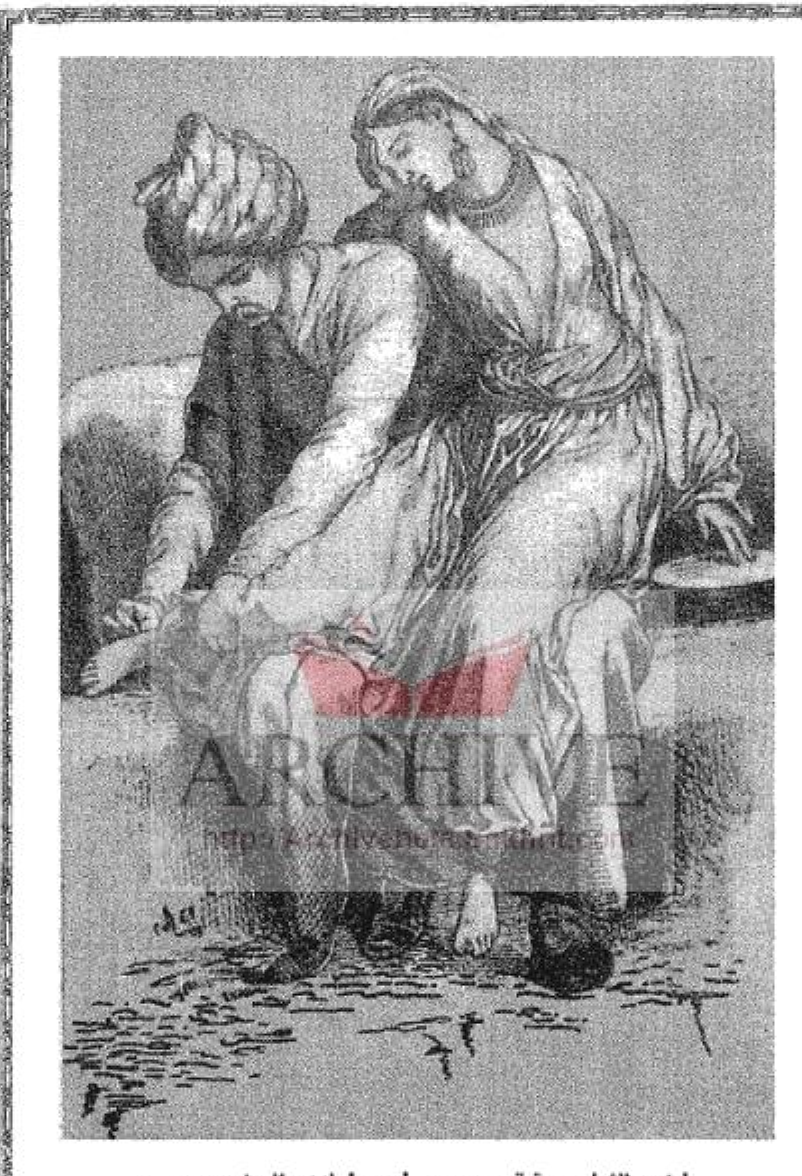
هناك فى « شيراز » المدينة الفارسية القديمة ، يقوم الآن ضريح «مصلح الدين السعدى» ، الشاعر الصوفى ، مؤلف « بستان الورد » وغيره من الملاحم والقصائد الخالدة . وقد عنى ناشرو أشعاره بتزيين مجموعاتها المختلفة بكثير من اللوحات التى أبدعها الفنانون الغربيون مستلهمين تعبيراته . وفيما يلى نقدم بعض تلك اللوحات



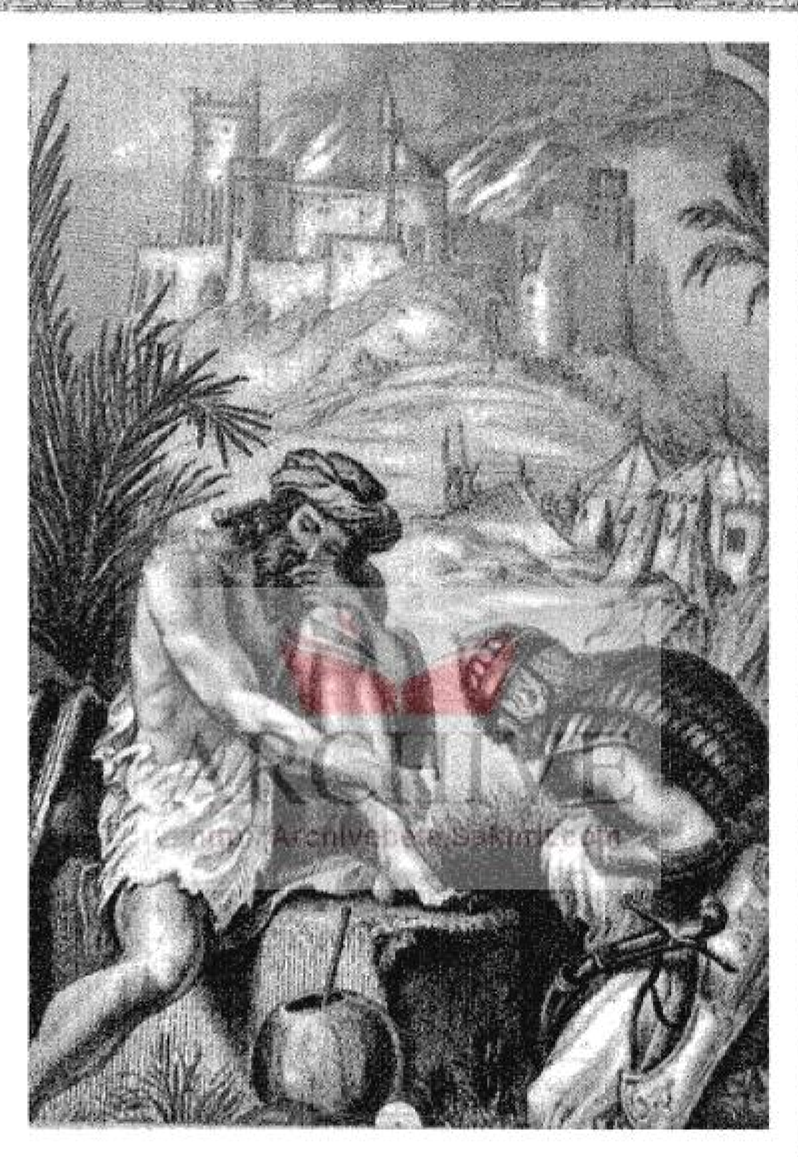
فى خلال زوبعة قاسية ، أوى « السعدى » الى كهف بالصحراء ومعه ابنته «التى تزوجت « الشيرازى » خليفته !



هكذا صور الفنان الغربي كيف يهبط وحي الشعر على « السعدي » نغمات ملائكية تفيض بالجمال والجلال !



امضى الشاعر حقبة من عمره أسيرا لدى الصليبيين ببيت المقدس ، وهناك وقع فى أسر آخر اذ تزوج للمرة الثانية !



لقد اضطره آسروه الى العمل مع بقية الاسرى فى تحصين طرابلس الشام ولكنه كان موضع الاجلال حتى من حراسه !



كتاب الهلال يقدم فى ٥ يناير :

« ثائرون » تأليف محمود تيمور

روايات الهلال تقدم فى ١٥ يناير :

« العاشق المجنون » تأليف إميل زولا

هلال فبراير القادم :

يحتوى على نخبة من البحوث الجديدة والقصص الشائقة بأقلام طائفة من كتاب الشرق والغرب

موقف الاسلام من التقدم الفكرى

بقلم الدكتور محمود حب الله

مدير المركز الاسلامى بواشنطون

(هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (الجمعة ٢٠) . فمن مهام الرسول اذن أن يتلو على المؤمنين آيات الله ، ويبينها لهم ، وان يطهر نفوسهم بتعاليمه ومثله التى يضربها لهم ، ويشرح لهم اسباب النجاح فى الحياة وان يعلمهم الحكمة

كذلك نقرأ فى القرآن الكريم . (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد ١١) يعنى أن مايجريه الله من تغيير على عباده مسبوق بما يجرونه هم فى انفسهم من تغيير

هاتان الآيتان ونظائرهما تبين لنا بعض المبادىء الأساسية فى الاسلام التى ترتبط ارتباطا وثيقا بموضوع بحثنا اليوم - هى ان الانسان فاعل مختار ، وأن له حرية البحث ، وانه لهذا مسئول عن اعماله .. وكلها اساس ضرورى لتقدم الانسان وتطوره نحو الحياة الكريمة

اوضح القرآن الكريم بما لا يدع مجالا للشك ان العقيدة - كما جاء

«جانب من بحث القاه الدكتور محمود حب الله فى مؤتمر الابحاث الشرقية الذى عقدته جامعة برنستون بالولايات المتحدة فى سنة ١٩٥٣ والذى دعى اليه ممثلو البلاد العربية والشرقية وستنشر هذه الابحاث فى كتاب بعنوان الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة باشراف الدكتور محمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ويصدر قريبا عن مؤسسة فرانكلين »

بها الاسلام - لا تتنافى مع العقل ، ولا ينبغى لها أن تتنافى معه ، وانها تكون - على خير تقدير - ناقصة اذا لم تنسجم معه . فالدين الاسلامى دين عقلى ، واذا تصفحت القرآن ، وتلوت قدرا منه ، وجدت آيات تلو آيات تطلب الى الانسان ان يفكر ويتدبر ، وان ينظر ويتأمل ، وان يعتبر ويستنبط ، وما الى ذلك من أعمال العقل ووظائفه . والقرآن لا يفتح المجال للبحث فحسب ، بل يشبع كذلك الغريزة العقلية فى الانسان ويستميلها ، بل يدفعها ويلزمها ان تقوم بوظيفتها ، بما

يضربه لها من امثال وما يذكره من آيات

الاسلام نظام عالمي عام يوجه الانسان في الحياة ، ويساعده على أن يحصل لنفسه وللجماعة الانسانية أسمى درجة من الكمال الانساني ، في الروح والخلق والعقل ، وينظم علاقته بربه ، وعلاقته بأخيه الانسان ، في كل مظاهر الحياة ، لانه قانون الفرد والمجتمع والعلاقات المحلية والدولية على السواء . وكل تكييف لعمل الانسان ـ حسب هذه المبادىء التي جاء بها الاسلام ـ يعتبر عبادة مشروعة . فكل لحظة من لحظات الحياة تنفق على هذا الوجه ، كل لحظة يقضيها العالم في معاملة من أجل الله والانسان ، كل تأمل وتدبر ، كل حركة انبعثت عن مثل هذا الباعث ، تعتبر في نظر الاسلام عبادة لله ، وتقديسا له وتمجيدا . ولهذا نقرأ في الاحاديث النبوية « مداد العلماء خير عند الله من دم الشهداء » و « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » و « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » و « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . ولقد أطلقت كلمة العلم هنا اطلاقا ، فلابد ان تبقى هكذا عامة ، لتتضمن كل مظاهر العلم والمعرفة وكل انواعهما

☐

هذا ولقد جعلت المعرفة في الاسلام شرطا للايمان ، فمن اعتقد من غير فهم ومعرفة لم يكن خيرا بكثير من غيره . والاعتقاد الحق هو الذي ينشأ عن دليل وعن فهم واختيار ، وليس الموروث أو الناشىء عن اضطرار أو عن التقليد المجرد . ولقد كان الاسلام هنا ثورة على الجمود العقلي ، الذي كان سائدا من قبل ، من اتباع الآباء ورجال الكهنوت فيما كانوا يعتقدون ويرفضون ، لانه يصرح بأن الايمان التقليدي ـ من غير علم وتدبر ـ لا يناسب الانسان في شيء ، اذ ليس القصد من الاعتقاد تدريب المرء على فعل الخير فحسب ، كما يفعل مع الحيوان ولكن النهوض كذلك بعقله وروحه ، عن طريق الفهم والادراك ، ليكون قادرا على فعل الخير ، لانه خير ، لا لان الآباء والرؤساء كانوا هكذا يفعلون . وتلك هي وظيفة العقل في الانسان .. انه قوة تدبر وادراك ، وينبغي للمرء ان يستعمل هذه القوة ، فيبحث ويحكم بما يجد من ادلة وبراهين ، وهو لهذا حر الارادة وحر التفكير

فالتطور الفكري والبحث العلمي ، لا يتعارضان مع الاسلام في شيء ، ومع قليل من التحفظ ليس لدينا ما يمنع من قبول تلك الآراء التي ذهب اليها « وليام جيمس » الفيلسوف الامريكي في قوله : « ان موضوع العلم وطرق البحث واساليب المعرفة فيه تختلف عنها في الدين ، ولهذا لا يناقض الواحد منهما الآخر » ولكن ينبغي هنا ان نتذكر انه كان يتحدث عن دين تنحصر وظيفته في النهوض بروح الانسان فحسب .

والاسلام غير هذا ، لانه ينظم الحياة من جميع وجوهها ، وهو كما رأينا لا ينسجم مع نتائج البحث العلمي والعقلي فحسب ، بل قدس هذا النوع من البحث ، فجعل متابعته واجبا دينيا ، تعتبر تأديته عبادةمن اسمى العبادات

□

ولكن يميل كثير من قراء القرآن الى القول بأن حرية الارادة بالنسبة للانسان لا وجود لها هناك ، لان ارادة الله ظهرت فيه غالبة متحكمة، وملغية لكل ارادة اخرى ، كمايميل آخرون منهم الى القول بانه هنا متضارب ، فبينما يرونه يتحدث فى موطن عن المسئولية الانسانية الناشئة عن حرية الارادة والتفكير، وعن الثواب والعقاب الناشئين عن الاعتراف بأن الانسان فاعل مختار، يرونه يتحدث فى موطن آخر عن ارادة الله الغالبة التى تؤثرفى الانسان وفى ارادته تأثيرا مباشرا .. هذه الاقوال التى تتردد كثيرا تستحق منا اليوم كل اهتمام

لا مراء فى ان القرآن يتضمن آيات قد يفهم منها غير العارفين بحقيقة الاسلام ان الحوادث الكونية وما يقع على ايدى العباد من افعال ليس الا حركات ضرورية ، وليس الا تطبيقا وتنفيذا لما تقرر فى الازل ان يقع ، وان فيه آيات أخرى اكثر من الاولى بكثير ، تؤكد ان الانسان فاعل مختار وانه لهذا مسئول عن كل ما يقع منه . غير انا اذا قرانا القرآن ، ككل يفسر بعضه بعضا ، وعرفنا الاسلام على حقيقته ، تبين لنا ان هذا التضارب المزعوم ليس الا صوريا ، وان حرية ارادة الانسان هى القاعدة فى الاسلام

□

فينبغى ان نتذكر اولا ان هذا الكون خاضع لقانون فيه طبيعى ، فهو عالم المتتابعات ـ الاسباب والمسببات ، العلل والمعلولات ، وكل ما فيه مرتبط بعضه ببعض ارتباط الاسباب بالمسببات . فما يحدث الآن يكون حدوثه نتيجة لما سبقه ، وسببا لوجود ما بعده ، وهذا هو قانون الطبيعة الذى جعله الله فيها، لتخضع له ، وتسير عليه باطراد .

واظن أنه من الهين أن نتبين أن كثيرا من الآيات الدالة على الجبر لايشير الا الى هذا القانون الطبيعى .. فالافلاك والنجوم وسائر انواع الخليقة لهاطريقها المرسوم، وحركات هذه الافلاك وحوادث الطبيعة وكثير من ماجرياتها ـ فى الانسان وعليه ـ خاضعة لهذا القانون . واما الآيات الاخرى التى تشير الى الانسان بنوع خاص فينبغى ان تفهم ، وهى هكذا مفهومة من غير تكلف ، على ضوء الآيات الاخرى التى تؤكد فاعلية الانسان ، وعلى ضوء ما عرف بالضرورة فى الاسلام ، من ان الانسان مسئول عن كل افعاله الاختيارية

والآية التى افتتحنا بها موضوع الحديث مثل طيب من هذا النوع ، فهى تدل على أن الله لا يغير ما بقوم

حتى يوجدوا هم انفسهم حالات تؤدى الى هذا التغيير ، فالفعل المنسوب الى الله فيها مسبوق بفعل الانسان . ولكن تنص الآية بعد هذا على : (واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) . وهنا قد يظن التناقض، غير أن هذا الشطر الاخير من الآية لا يناقض صدرها بحال ، لانه ليس الا تصريحا بالمطوى ، وكان الآية فى جملتها تقول : اذا غير القوم ما بأنفسهم نحو السوء مثلا ، فلا بد ان يحل بهم الهوان ، ولا يملك احد أن يدفع عنهم هذا المصير ، لان خالق الكون وخالق قوانينه جعل هذه القوانين مؤدية الى نتائجها . فالتتابع اذن هو تغييرات يحدثها الانسان بارادته، فتؤدى الى تغييرات اخرى فى حياة الانسان ، بحكم هذا القانون العام

□

فالانسان ، فى دائرة وجوده الضيقة ، سيد نفسه فى تصرفاته وهو المسئول عنها وعن كيفية استعماله للقوى التى وهبت له ، وفى مقدوره ان يرتفع بنفسه الى اعلى مستوى انسانى ، وان يهبط بها الى أدنى الدرجات ، بميوله واعماله واتجاهاته ، وليس نتيجة لخلق موروث أو طبيعة خيرة أو شريرة ، فلقد انكر الاسلام كل الانكار الخطيئة الموروثة وما شابهها وقرر ان الطفل يولد صالحا لان يكون خيرا أو شريرا ، وأن آباءه وبيئته وتعليمه وخلقه وميوله المكتسبة هى التى تصيره هذا او ذاك . فأفعال الانسان هى التى تجعله ناجحا او مخفقا فى الحياة ، وهى التى تؤدى به الى الجنة او الى النار ، وهو مسئول عن مصيره لانه نتيجة اعماله (وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) (النجم ٣٩–٤٠) و (كل نفس بما كسبت رهينة) (المدثر ٣٨)

□

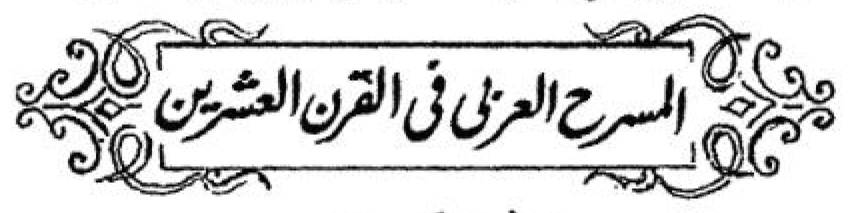
واما ما يوجد من جانب الله فى هذا الصدد فهو العلم . وبما أن علمه محيط شامل ، ولا يخضع للزمان والمكان فانه دائما حاضر وبالحاضر ، فهو يعلم اولا كل الحوادث الطبيعية والافعال الاختيارية التى وجدت – اوالتى توجد – فى العالم . يعلم الاتجاهات التى سوف يتجه اليها كل فرد فى حياته ، كما يعلم كل الحوادث الطبيعية ، يعلم اذا كنت ستتخذ فى الحياة طريق الغى أو طريق الرشاد ، يعلم مصير كل فرد ، لانه يعلم الطريق الذى سيتخذه فى الحياة ، يعلم ولكن لا يتدخل تدخلا مباشرا فى ايجاد هذه الافعال . هذا ولقد ذهب « وليام جيمس » فى القرن العشرين الى ما يشبه هذا الراى حين كان يتحدث عن الجبر والاختيار . وقد يوضح لنا المثل التالى مغزى ما اقول . يخبرنا علماء الفلك – بناء على حساب قل أن يخطىء – ان كسوفا أو خسوفا سيحدث يوم كذا ، فاذا حدث هذا الكسوف أو الخسوف فانه يحدث نتيجة لدورات الافلاك الطبيعية لا لعلم العلماء ، ولا يتطرق الى ذهن واحد منا القول بأن علماء الفلك

مسئولون عن حدوث هذه الظاهرة، لاننا نعلم أن العلم علم فحسب . وهذا حق بالنسبة لعلم الله ، فليس الفرق بين العلمين فى أن احدهما قوة ايجاد ، وان الآخر قوة ادراك ، بل فى أن علم الانسان علم قاصر ، ويعتريه الخطأ والزلل ، فى حين ان علم الله محيط شامل ، ولا يعتريه الخطأ بحال

خلق الانسان مزودا بآلات الاحساس ، وبقوى الادراك والفعل، وبين له طريق الهدى من طريق الضلال ، (الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) ، (البلد ٨ ـ ١٠) وترك فيما وراء هذا الى ارادته وعقله ، ليبنى مستقبله ومصيره بنفسه ، ولكن عناية الله ورعايته باقيتان وحاضرتان ، لكل من يجاهد مخلصا فى جهاده ، ويتطلب هذه المعونة

فحرية الارادة والاختيار هما القاعدة فى الاسلام ، وليس فيه من ناحية نظرية ما يناقض المنطق ، او يقف عقبة فى سبيل تقدم الانسان، او يحول بينه وبين اى بحث علمى، او يمنع العقل من العمل على بحث الوجود وفهمه . وان كل ما هو منطقى من ناحية موضوعية ، وكل ما هو حق ونافع للانسان من ناحية موضوعية ، فهو اسلامى ، وميسور ادخاله ضمن تشريعاته ، ان لم يكن هناك بالفعل

« ان قافلة المسرح العربى تسير قدما وتقطع كل يوم مرحلة جديدة »



المسرح العربى فى القرن العشرين

بقلم الأستاذ زكى طليمات

مدير عام المسرح الشعبي

فن التمثيل باللسان العربي ظاهرة اجتماعية ، لم يعرفها الشرق العربي الا منذ أواسط القرن الماضي . وقد قامت هـــذه الظاهرة بفعل تلك الوافدات التى انطلقت من الشاطىء الاوروبى الى الشاطىء الاسيوى والافريقى من البحر الابيض المتوسط وهى وافدات حملت تيارات الذهن واتجاهات الادب والفنون والاجتماع باوروبا ، ووجدت لها أصـداء فى المجتمع العربى بعد أن هفت واعيته الى استقبال كل جـديد وافد ، بتأثير التطور الزمنى وبفعل توثق الروابط الاقتصادية بين الشرق والغرب منذ أوائل القرن الماضى ، ثم ازداد تأثر الشرق ، ولاسيما مصر ولبنان ، بهـذه الوافدات بازدياد انجذابهما الى أوروبا واخذهمـا بانتحال نحلها والسير فى فلكها ..

المسرح فن دخيل

ان أدبنا العربى ، على تعـدد الوانه ، لم يعالج المسرحية فى اية مرحلة من مراحله المتتابعة ، وفنوننا التى ناهضت التجسيد المادي لمظاهر التعبير الانسانى فى النحت والتصوير والزخـرفة وذلك فى أول دفعات العقيدة الاسلامية ، هذه الفنون لم تعرف ماهية فن التمثيل ، ولم تنشىء دارا واحدة له ، ومجتمعنا العـربى عامة لم يالف المسرح مستراداً للترفيه والتسلية ، ومجالا لمطالعة انعكاسات ما تختلج به واعيته

لقد كانت لبنان ومصر هما أسبق اقطار الشرق العربى الى استقبال هذا الفن ، ثم محاولة تمهيد تربة له بتعريبه على أيدى كتاب من اللبنانيين والمصريين ، ثم انشاء دور له وتاليف فرق تعمل فيها . ثم سبقت مصر لبنان بعد مراحل التمهيـد بحيث أصبح تاريخ المسرح فى مصر هو تاريخ المسرح فى اقطار الشرق العربى

والباحث المتقصي عن الخيط الاول للمسرح باللسان العربى لا يلبث أن يهتدى الى أن لهذا الخيط طرفين ، طرف فى لبنان ، والطرف الاخر فى القاهرة

ففي بيروت قامت المحاولة الاولى على يد (مارون النقاش) بمسرحيات ثلاث أجرى ترجمتها الى العربية الفصحى وقدمها الى الجمهور في منزله حوالي عام ١٨٤٨ ، وفي القاهرة أسس (يعقوب بن صنوع) ، المعروف باسم « ابونظارة » مسرحا للجمهور المصري عام ١٨٦٩ قدم فيه مسرحيات مقتبسة من أصل اوروبي ، بحيث تجرى حوادثها في بيئة مصرية ..

ولكل من هاتين المحاولتين طابعها الخاص ..

كان « النقاش » يترجم ويعرب ويكتب بالاسلوب العربي الفصيح ، وكان « ابو نظارة » يقتبس ويمصر ويكتب باللهجة العامية ، ولا نجافى الحقيقة اذا قررنا انه من لبنان جاءت المسرحية المترجمة بالفصحى وفي القاهرة قامت المسرحية المحلية عن طريق الاقتباس

ولهذا ولاشك أسباب ، ربما كان في مقدمتها ما يرجع الى الاختلاف في المزاج العام بين هذين القطرين ،والى أن مصر كانت أسبق الى استشعار مصريتها اكثر من عروبتها بفعل ظروفها السياسية ومحاولتها الانسلاخ من الحكم التركي

خيط جديد ..

وسرعان ما امتد خيط آخر من سوريا الى القاهرة ..

قدم الموسيقار « الشيخ أحمد أبو خليل القباني » على رأس فرقة تمثيلية من دمشق هاربا من تعسف الاتراك ، وقدم لونا جديدا من المسرحيات يتسم بسمات جديدة ، اهمها ان المسرحية على يده تنهج نهجا جديدا يخالف مسرحية « النقاش » المترجمة ، ومسرحية « ابو نظارة » المقتبسة ، وذلك من حيث مواطن الاستلهام ، فقد كان القباني يستلهم موضوعات مسرحياته من التاريخ العربي والاسلامي ، ثم من حيث أنه جعل الغناء والعزف عنصرا هاما في المسرحية ، كما ادخل الرقص الايقاعي العربي في بعض مشاهد المسرحية

«فالقباني» هو بحق ابو المسرحية التاريخية العربية ، ومبتدع المسرحية الغنائية « الاوبريت » في مرحلتها الاولى

الفصحى والعامية

وثمت ملاحظة جديرة بالتنويه ، وهي ان المسرح منذ قيامه في المجتمع العربي قد انطوى تحت لواء العربية الفصحى اكثر مما التصق باللهجات العامية .. على الرغم من ان السواد الاعظم من الجمهور لم يكونوا يتذوقون الفصحى وقد ينفرون من سماعها في مجالي التسلية واللهو ، والجمهور العربي قد اقبل في اول امره على دور التمثيل باعتبار ان التمثيل مجاز الى الترفيه والى تزجية الوقت وليس من أجل ان يتعمق الحياة ، ويطالع أصداء نفسه فيما يجرى فوق المسرح !!!

ومرجع هذا ان اقطار الشرق

العربى كانت جادة فى احياء تراث اللغة العربية ، وكانت اقدار الكتاب توزن بحسب اقتدارهم على الكتابة بأسلوب فصيح يتيه بالمحسنات البيانية .. فكان امرا لازما على من نزلوا بأقلامهم الى كتابة المسرحية ان يعالجوها بالاسلوب الفصيح .. وقد افاد المسرح ولاشك من هذا ولاسيما من ناحية التعبير الواضح الدقيق ، ثم من ناحية اجتذاب حسن الظن به وذلك باعتبار انه أصبح مجالا من مجالات الاقلام النابهة ، التى قد تسير به يوما الى ان يصبح شعبة من الادب العربى المستحدث .. كما افادت اللغة العربية من المسرح اذ وجدت فيه أداة فعالة لنشرها واذاعة محاسنها وتطرية اساليبها اذ تعالج الوانا جديدة من التعبير

الا ان هذه الحال قد ابعدت المسرح عن الرواج بين عامة الجمهور ، وانحرفت به عن عنصر هام فى طبيعته وهو ان يجرى الحوار بين اشخاص المسرحية بالاسلوب الذى يتكلمون به كما لوكانوا فى الحياة الدنيا ...

وهذه مشكلة ولاشك ، ولكل من طرفيها مشروعيته واهميته ... واعتقد ان حلها بيد الايام ، حينما تسمو العامية فتقترب من الفصحى وحينما تختفى امية القراءة والكتابة وينتشر التعليم بين العامة

مرحلة جديدة

وجاء القرن العشرون تهزه فى أصلابه أحداث عالمية عامة ويقظات قومية فى اقطار الشرق العربى كان لها أكبر الاثر فى تطور المسرح العربى وتأصله ..

لقد وضحت الرؤية بعد ان مضى على قيام المسرح العربى قرابة ثلاثين عاما ، وتبلور بعض الشىء ما كان مائعا فى تربة المسرح ، وزاد من فعل التطور الزمنى فيه مجىء الفرق الاوروبية الكبرى فى كل عام لتحيى موسما تمثيليا وغنائيا بدار الاوبرا .. وفيما تقدمه هذه الفرق وجد مسرحنا الناشىء نماذجه .. يأخذ منها بقدر ماتسعه واعيته وامكانياته وبقدر مايستسيغه الجمهور

المسرحية الغنائية

وامتاز العقد الاول من هذا القرن بذيوع « المسرحية الغنائية » على حنجرة الشيخ سلامه حجازى وبارتقاء المسرحية المترجمة من حيث الاخراج ، على يد « عزيز عيد » الذى نعتبره شيخ المخرجين ، ثم من حيث الترجمة بتخلص أسلوبها البيانى من السجع ومن لغة القوالب

كان سلامه حجازى على صوت فريد فى جهارته ورخامته ونفاذ نبراته الى القلوب بحيث يضفى بهاء على ماليس به بهاء ، الا انه كان يعمل فى مسرحيات لم تستوف حقها من شرائط التاليف التى يجب توافرها فى الرواية الغنائية «الاوبريت» كما ان سلامه حجازى لم يكن يعنى بالتلاحين الاجماعية قدر عنايته بالتلاحين الفردية ، ولم تعالج هذه التلاحين الصيغة المحلية ، لانها



سلامة حجازى





سيد درويش

واردة فى مسرحيات مترجمة أو معربة ..

غير أن ماقدمه سلامه حجازى يعتبر تمهيداً وافيا الى ما قدمه الموسيقار « سيد درويش » من تلاحين ذات صيغة محلية واضحة تشدها وحدة موسيقية ، وذلك فى أعقاب الحرب العالمية الاولى وبعد ثورة١٩١٩ .. اذ نبض الوعى المصرى نبضا دافقا عمل بفورته على استخلاص ذاتية مصرية ، سرعان ما شملت جانبا كبيراً من نتاج الاقلام المصرية فى التاليف المسرحى

وتبع « سيد درويش » ملحنون آخرون نهجوا نهجه ، وان لم يبلغوا شأوه ، الا أن المسرحية الغنائية لم تتجاوز حدود « الاوبريت » الى رحاب المسرحية الغنائية الكاملة « الاوبرا » الا فى محاولات قليلة ، لم يكتب لها التوفيق ، ومرجع هذا قصور الموسيقى العربية ذاتها فى بعض النواحى ، وضيق افق القائمين عليها ..

وفى القرن العشرين ظهرت ممثلات سوريات على المسرح ليقمن بالادوار النسوية التى كانت قبل ذلك وقفا على الرجال ، ثم اخذت المراة المصرية مكان زميلتها السورية واللبنانية ، ولاسيما بعد أن تم تحرير المراة .. بحيث اصبح المسرح اليوم مجالا لنشاط المراة المصرية المسلمة

ثورة ١٩١٩

وكانت ثورة على الاحتلال الاجنبى وعلى الجمود وتهدف الى ان يكون

كل شيء من مصر والى مصر ..

وقد تأثر بها المسرح العربي ايما تأثر ، ولا سيما من ناحية كتابة المسرحية ، فبعد « المسرح الهزلي » ـ وهو مسرح كان يقدم فى اول امره مشاهد تمثيلية قصيرة تجرى فى بيئة مصرية ـ وبعد جهود « امين صدقى » و « نجيب الريحانى » و «بديع خيرى» ـ وهم فرسان هذا المسرح الهزلى بلا منازع ـ بعد جهودهم فى الاقتباس وتمصير المسرحيات الاجنبية ، بعد كل هذا ارتسمت فى افق المسرحية المكتوبة باللهجة العامية مشاهد يتجلى فيها الطبع المصرى الصميم من حيث التفكير والاسلوب .. وبلغ الاقتباس الذى بدأ على يد «ابونظاره» ذروته ومهد الطريق الى مرحلة التاليف الاصيل فى كتابة المسرحية العربية

التاليف المسرحى العربى

وبدات حركة مضطربة ووئيدة ولكنها ذات هدف ..

وكانت تباشيرها الاولى فى المسرحية المحلية المكتوبة باللهجة العامية ، ثم برزت المسرحية التاريخية والمسرحية المعاصرة ، مكتوبة باللهجة الفصحى ومشت المسرحية العامية الاسلوب الى جانب المسرحية الفصحى جنبا الى جنب فى التطور والارتقاء

ومن أبرز كتاب النوع الاول « محمد تيمور » بمسرحياته الثلاث و «عباس علام» و «ابراهيم رمزى» وذلك فى البداية ، ثم تبعهم كتاب كثيرون ...

وقد أحدث الشاعر «أحمد شوقى» حدثا جديدا فى التاليف اذ سخر شعره الطلى فى كتابة مسرحيات تاريخية ، أعلت شأن اللغة العربية

وشقت المسرحية بعد ذلك طريقها الى الاتجاهات الادبية الحديثة الواردة من الخارج ، وأهمها التأثرية والرمزية ..

وفى مسرحيات « توفيق الحكيم » ـ وأهمها « أهل الكهف » و «شهر زاد» ـ نزعات فلسفية والتفاتات تأثرية

وفى مسرحيات « محمود تيمور » نزوع عميق الى التحليل النفسى فى مجاليه الظاهرة والباطنة ، ومحاولة موفقة الى ابراز الانسان الخالد المختفى وراء مسوح التاريخ .. وذلك فى مسرحياته التاريخية

وفى مسرحيات «على أحمد باكثير» أضواء مركزة على عقد نفسية .. لاسيما روايته «سر الحاكم» و «فرعون الصغير»

وعلى الجملة فان المسرحية التاريخية على ايدى هؤلاء ، وثبت وثبة واسعة ، وتجاوزت مجرد السرد التاريخى الى ايراد صور انسانية من الوجوه التاريخية ... وقد كانت هذه المسرحية فى أوائل هذا القرن لا تعدو مجرد تحويل الحكى التاريخى الى حوار مسرحى

ويطول بنا المقام اذا تجاوزنا هذا الحد الى الاسهاب ، ولكننا نقرر ان المسرحية فى المسرح العربى كانت صدى لما تختلج به الواعية المصرية من حوادث واحداث واتجاهات ..

ولكن فى حدود ضيقة من حرية التعبير وذلك بحكم نظام الحكم الذى كان قائما فى ظل « ملكية » تحاول ان تتماسك لتبقى وتصمد أمام الروح الديمقراطى الزاحف ، وفى كنف « احتلال » مقنع كان يحاول كتم انفاس الحرية بقفازات من المخمل والحرير ...

الدولة تعنى بالمسرح

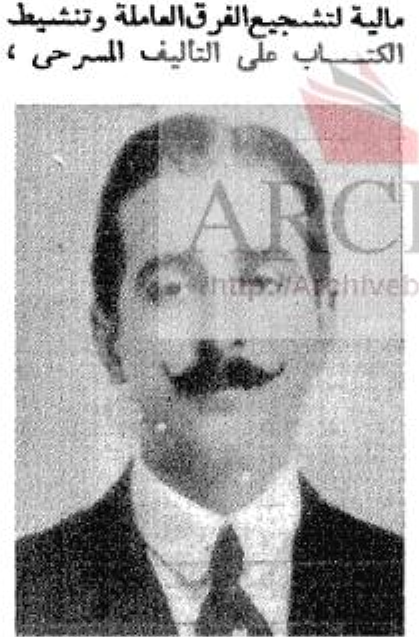
وفى العقد الثالث من هذا القرن اخذت الدولة تعنى بالمسرح العربى فى مصر ، بعد أن ثبت له وجود واستقام كيان ، وذلك بفضل الجهود التى بذلها « جورج ابيض » و «يوسف وهبى» ، وقبلهما «سلامه حجازى» ..

ولعل أكبر حادث كان له الاثر الكبير فى الفات نظر الدولة الى المسرح ، هو ان ترك المحاماة « عبد الرحمن رشدى » ليحترف التمثيل ، فتبعه فى اعلاء شأن المسرح نفر من الشباب الذين تركوا معاهد التعليم ودور الوظائف ، ليأخذوا مكان قدامى الممثلين الذين كان بعضهم يحترف مهنا يدوية أثناء النهار ليعتلوا خشبة المسرح فى الليل ، فى حين ان بعضهم الآخر كانوا على ازواد ضئيلة من العلم بحيث لا تتجاوز معرفة القراءة والكتابة

ارسلت الدولة على نفقتها بعوثا الى مسارح اوروبا لتتعلم فنون المسرح فى معاهده العالية ، وارصدت اعانات مالية لتشجيع الفرق العاملة وتنشيط الكتاب على التاليف المسرحى ،



نجيب الريحانى



محمد تيمور

وأخذت تعد العدة لانشاء المؤسسات الفنية التى تكفل قيام مسرح يقوم على أسس صحيحة من المعارف والنظم

مؤسسات فنية

وسرعان ما تجاوز اهتمام الدولة هذا الحد ، الى تأميم المسرح بانتزاعه من ايدى الانتهازيين والراسماليين

ففى نهاية عام ١٩٣٥ انشأت « الفرقة القومية » التى حملت بعد ذلك اسم « الفرقة المصرية » فى عام ١٩٤٢ بعد مراجعة نظمها على هدى التجارب

وقبل ذلك انشأت وزارة التربية والتعليم معهدا للتمثيل عام ١٩٣٠ ولكنه أغلق ابوابه بعد عام باسم خروجه على التقاليد ..

وقام « المسرح المدرسى » عام ١٩٣٧ ، واصبح التمثيل لونا من الوان النشاط المدرسى الذى ساعد على تنمية الذوق الفنى للجمهور

وفى عام ١٩٤٤ أعيد انشاء «معهد التمثيل» على نظام جديد بحيث يتضمن قسما لتخريج الممثلين والممثلات ، وقسما آخر لتخريج نقاد وكتاب يخدمون المسرح باقلامهم

وفى عام ١٩٤٦ انشىء « المسرح الشعبى » الذى أصبح الآن يتضمن خمس شعب تجوب اقاليم مصر لتخاطب المزارع والعامل ومن اليهما فيما يشغله وفيما يجب أن يتبصر به

وأدى معهد التمثيل رسالته فى تخريج جيل من الشباب الذى يجمع الى خصب المواهب ، ثقافة واسعة فى فنون المسرح ، تآلفت من بعضهم « فرقة المسرح المصرى الحديث » وزحف البعض الآخر الى السينما والى الاذاعة

وحققت «فرقة المسرح الحديث» نواحى فنية كان متعذرا تحقيقها ، وأهمها ان الاداء التمثيلى تجرد من النزعة الفردية وشملته وحدة اجماعية ، الفرد فيها للكل ، والكل فى خدمة المسرحية وليس للسطوع واللمعان ، واتجه فن الاخراج نفس الاتجاه ، وهكذا تحققت ديمقراطية الاداء والاخراج . وقد كان الاخراج قبلا يجرى بحيث تصب الاضواء كلها على مدير الفرقة او على ممثليها الاول

فى الاقطار العربية

ولاشك فى ان هذه الحال قد اوجدت لها اصداء فى بعض اقطار الشرق العربى .. فالعراق انشأ معهدا للتمثيل عام ١٩٣٤ بعد أن عاد مبعوث حكومته الاستاذ « حقى الشبلى » من بعثته لدراسة فنون التمثيل بفرنسا

وتونس أقامت معهدا للتمثيل عام ١٩٥١ ، وهى تعمل جادة منذ العام الماضى على انشاء « فرقة قومية » لتنتقل بمسرحها العربى من نطاق الهواية المرتجلة الى الاحتراف المنظم

وفى لبنان وفى سوريا حركة تمثيلية واسعة ، ولكن يبدو أن الوعى الحكومى لم يتسع بعد الى رعاية المسرح الرعاية التى تحتمها انه فى هذين



اعضاء الفرقة القومية التونسية التي انشأتها بلدية تونس في العام الماضي ، وقدمت مسرحية (تاجر البندقية) ترجمة خليل مطران ، ويرى في الوسط الاستاذ زكي طليمات

القطرين قامت محاولات أولية لتعريب المسرح ونشره

مشكلة المسرح

ولعل أشق ما يكابده المسرح العربي اليوم هو التوفيق بين مايصلح أن يقدمه الى الجمهور ، بحيث لايسف الى مستوى العامة وبحيث لا يتملق غرائزه وجهالته ، وبين ما يقدمه بحيث يضمن الاقبال على دوره ...

وهذه ولاشك من مشاكل التعليم الذى لم ينتشر بعد فى انحاء الشرق العربي على الوجه الذى يقرب بين مختلف الطبقات من حيث المستوى الثقافى والذوقى ، وحل هذه المشكلة رهين بالتطور الزمنى ..

الا أن الذى لاشك فيه هو ان قافلة المسرح العربى تسير قدما وتقطع كل يوم مرحلة جديدة ، واقبال الجمهور يتزايد ، ولاسيما فى الفترات التي تتسم بصدق الجهاد من جانب افراد يثق الجمهور فى كفاياتهم . وأعتقد أن المسرح العربى سيصبح غذاء يشتهيه الجمهور فى مختلف طبقاته يوم يجد من حرية الراى مايسمح له بأن يتحدث الى الناس فى مشكلاتهم الكبرى وفيما يحب الجمهور أن يسمعه من فوق المسرح ، ليسمع أصداء نفسه فيه



بنك مصر

رمزه ثورة فكرية واقتصادية لتحرير بناء مصر الاقتصادى

بدأت رسالة بنك مصر منذ نشاته الى صيانة استقلال البلاد الاقتصادى والنجاة به الى تحرر مطلق من الطابع الاجنبى ثم تطور مع الزمن فوضع نفسه فى مكان المنافس القوى لكل البيوتات المالية فى مصر ثم عمد الى تصنيع البلاد باستقلال مرافقها وتوظيف خصائصها فانشأ شركاته الكبرى التى اصبحت بعد استكمالها واضطراد نجاحها دعائم هذا الاستقلال

ثم اتجه الى رسالة اخرى وهى ربط الاقطار الشرقية الشقيقة برباط اقتصادى يقوم على التعاون التبادل فانشا بنك مصر سوريا لبنان وسخر أسطوله لنقل الحجاج الى بيت الله الحرام بما يطبع هذه المهمة بطابع مثالى صرف ثم انشا فى السودان فروعا له ولشركاته ثم افتتح فى ليبيا فروعا له فى مدنها الكبرى .. وهكذا ما انفك يواصل جهوده ونشاطه فى كل البلاد العربية الشقيقة حتى تعم صلاته بها جميعا وبهذا يكون قد اتم اهم عناصر رسالته المقدسة فى الشرق الاوسط

يوم وضع المغفور له طلعت حرب حجر الاساس فى بنك مصر التفت حوله القلوب .. قلوب المصريين جميعا فى خفقة واحدة تنبض بالامل والرجاء .. وارتفعت رؤوس عشرين مليونا من المصريين فى عزم وثقة .. ولقد صنع بنك مصر للبلاد اشياء اشبه بالمعجزات .. فلنذكر بخشوع طلعت حرب ومن حملوا الرسالة من بعده ... فبنك مصر رمز ثورة فكرية واقتصادية عملية ترمى الى تحرير مصر اقتصاديا .. ولقد استطاع ان يغمر السوق المحلية بمنتجات عديدة كانت البلاد تستوردها من الخارج وتنفق فى سبيل استيرادها الاموال الطائلة ..

وبعد - فمن حقك أيها المواطن أن تعرف أن هذا البنك الذى انشأه طلعت حرب عام ١٩٢٠ قد انشأ :

شركة مصر للغزل والنسج فى عام ١٩٢٧ وهى اكبر وحدة صناعية فى الشرق باجمعه ومصانعها بالمحلة الكبرى تنهض على قدم المساواة مع ارقى وافخم مثيلاتها فى الخارج

شركة مصر لنسج الحرير قام عليها بنك مصر منذ عام ١٩٢٧ وتعتبر اكبر مصانع الحرير فى البلاد ، وتقوم مصانعها فى حلوان ومركزها الرئيسى فى القاهرة

شركة مصر للطيران تأسست عام ١٩٣٢ واصبحت اليوم واحدة من اعظم شركات الطيران فى الشرق أجمع واتسعت شبكة خطوطها حتى شملت جميع خطوط الشرق الاوسط، وتملك احدث وأفخر أسطول جوى من الطائرات الضخمة ذات الاربع محركات والمكيفة الهواء والضغط

شركة مصر للغزل والنسج الرفيع تأسست عام ١٩٣٨

شركة مصر للملاحة البحرية تأسست عام ١٩٣٤ وتملك اليوم اضخم اسطول من السفن البحرية الفخمة وخطوطا منتظمة لنقل الركاب والبضائع والبترول من طريق البحر الاحمر مركزها الرئيسى فى الاسكندرية

شركة مصر لحليج الاقطان تأسست عام

١٩٣٦ فى مصر مركزها الرئيسى فى القاهرة لها مصالح ضخمة بالمنصورة ومغاغة الواسطى

شركة مصر للتمثيل والسينما تأسست عام ١٩٢٥ تملك أكبر وأعظم ستوديو السينما مجهز بأحدث آلات التصوير التسجيل ومختلف العمليات السينمائية الفنية ، تحمل رسالة الانتاج الرفيع ، مركزها الرئيسى بالقاهرة

شركة مصر لتصدير الاقطان تأسست عام ١٩٣٠ لتجارة وتصدير الاقطان بين مصر الخارج مركزها الرئيسى بالاسكندرية

شركة مصر للتأمين تأسست عام ١٩٣٤ ، قامت هذا العام بشراء تأمينات شركة جريشام للتأمين .. وهذا يعنى أن شركة مصر للتأمين ستأخذ عمارات جريشام وسنداتها ، فضلا عن نقد يقدر بحوالى نصف مليون جنيه سيدخل من انجلترا الى مصر ليزيد من قدرة شركة مصر للتأمين على المساهمة فى المشروعات الصناعية الحيوية مثل مصنع السماد والحديد والصلب والورق والجوت ، وشركة المساكن الشعبية وشركة الفنادق ، هذا فضلا عن مليون جنيه قيمة الرسوم التى ستوظف فى هذه المشروعات ليصبح مجموع الاموال الموظفة يقارب ٢٠ مليون جنيه .. وقد أزمعت انشاء شركة فى سوريا وانشاء فرع فى لبنان كما تفكر فى انشاء فرع مماثل فى الباكستان من المصريين وابناء البلاد ، كما نجحت الشركة توكيلات فى ليبيا وتزمع انشاء مثيلات لها فى اندونيسيا وقد قفز رأس مال الشركة من ٢٠٠,٠٠٠ جنيه الى ٥٠٠,٠٠٠

شركة مصر للحرير الصناعى تأسست عام ١٩٤٧ ، وتعتبر أحدث مؤسسات بنك مصر لانتاج الحرير الصناعى ، وتقوم مصانعها فى كفر الدوار

مطبعة مصر تأسست عام ١٩٢٢ ، وتضم احدث واكبر ادوات الطباعة فى الشرق .. مركزها الرئيسى فى القاهرة

شركة مصر لصناعة وتجارة الزيوت تأسست عام ١٩٣٧ تضم معاصر لانتاج الزيوت بانواعها وكذلك الصابون والكسب مركزها القاهرة

شركة مصر للمستحضرات الطبية تأسست عام ١٩٣٩ وخدمت رسالة الطب أجل خدمة وبلغت مستحضراتها الطبية فى شتى أنواع العقاقير والادوية شأوا بعيدا

الشركة العقارية المصرية تعهدها بنك مصر سنة ١٩٢٠ لامتلاك وتثمين واستغلال وتأجير الاراضى والعقارات وتنمية الزراعات وبيع محصولها واصلاح الاراضى .. مركزها الرئيسى القاهرة

شركة مصر للكتان تأسست عام ١٩٢٧ لزراعة وتجارة الكتان ، مصانعها فى شبرا وامبابه وكفشيش مركزها الرئيسى فى القاهرة

شركة التضامن المالى تعهدها بنك مصر عام ١٩٢٠ اول هيئة مالية وطنية تتمتع بجميع أعمال البنوك مركزها الرئيسى القاهرة

شركة مصر للمناجم والمحاجر تأسست عام ١٩٣٦ لاستغلال الثروة المعدنية الكامنة فى ارض مصر ، وكشفت من انواع الرخام والاماستر والجرانيت والايوريت والسربنتين والحجر السماقى ، وتقوم بانشاء الطرق الصحراوية مركزها القاهرة

شركة مصر لاعمال الاسمنت المسلح تأسست سنة ١٩٣٨ اخصائيون فى الخرسانة ، ومهندسون استشاريون ومهندسو تنفيذ للاعمال الصناعية والطرق الخرسانية ، مركزها الرئيسى بالقاهرة

بنك مصر ـ سوريا ـ لبنان تأسس عام ١٩٢٩ لربط العلاقات الاقتصادية بين مصر والبلاد الشقيقة مركزه الرئيسى بيروت

بنك مصر ـ السودان تأسس عام ١٩٥٣

بنك مصر ليبيا تأسس عام ١٩٥٣

ساير ركب الثورة نحو أهدافها العليا ومبادئها الثورية فأنشأ :

شركة مصر للفنادق

شركة مصر للالبان والاغذية

شركة مصر للجوت

وتساهم بجهوده وامواله فى مشروع الحديد والصلب وكثير من المشروعات الحيوية الكبرى التى تنهض بالبلاد النهوض المأمول فى عهد مصر الجديد

وبعد فتلك هى قصة بنك مصر وشركاته كاملة ، البنك الذى أرسى قواعده منذ قرابة خمسة وثلاثين عاما رجل كان الايمان بمصر يعمر قلبه ويضىء حياته فأصبح بعد تلك الفترة الوجيزة هذا الصرح الاقتصادى الشامخ (أن يمكون له احتياطيا خمسة ملايين جنيه وان تصل ودائعه الى قرابة ٨٥ مليونا من الجنيهات)

ان الركب يسير .. تحدوه ارادة شعب اقسم أن يأخذ مكانه تحت الشمس يظلله ولاء القائمين على البنك ووطنيتهم المنقطعة النظير

الشيخ الثائر: عمر المختار

بقلم الأستاذ قدري قلعجي

عانى المغرب العربي من جور الاستعمار أهوالا قل أن تعرضت لها بقعة أخرى من بقاع الارض



كان ربيع سنة ١٩١١ ربيعا مشئوما على ليبيا ، فقد أفاقت ذات صباح جميل لتشهد قطعا من الاسطول الايطالي تنقض على شواطئها وتقذف مدينتي طرابلس وبني غازي بوابل من نارها . فما هي الا ساعة حتى تتحول المدينتان الى أنقاض ..

لقد زعمت ايطاليا ان لها حقوقا مشروعة في ليبيا ترجع الى الفين من السنين .. وقد أنذرت الباب العالي بوجوب التسليم بتلك الحقوق

ثم اغتنمت فرصة انشغال تركيا بانقلابها الدستوري ، وضعف حاميتها في ليبيا ، وهاجمت البلد العربي بنارها الصاعقة دون أن تنذره بحرب ... فتساقط الالوف من أبنائه تحت وابل النار ، وقضى تحت الخرائب مئات من الشيوخ والنساء والأطفال

وتساءل الوطنيون العرب في ليبيا عن الدولة العثمانية التي تدعي انها تحمي ليبيا بقوتها وجبروتها ، وهي من أجل ذلك وبحجة ذلك تفرض عليها سيطرتها وسيادتها.. فقيل لهم : ان القنابل الايطالية التي أطلقت على طرابلس وبني غازي قد أصابت أول ما أصابت المؤسسات التركية فيها !

وتساءل الوطنيون العرب في ليبيا عن الجيش العثماني : أين هو؟ وماذا فعل لمقاومة العدوان ؟ فقيل لهم انه جيش ضعيف لا قبل له بمواجهة القوة الايطالية الغازية ..

وقال الوطنيون العرب : لقد كنا على حق حين دعونا الى طرد المحتلين الاتراك مثلما ندعو اليوم الى مقاومة المحتلين الايطاليين، فكلهم غاصب دخيل ٠٠ ولقد قلنا دائما ان البلاد لا يدافع عنها الا شعبها

والواقع ان تركيا ما لبثت بعد سنة من المقاومة الصورية ، أن تخلت لايطاليا عن ليبيا ، كي تستطيع الانصراف الى الحرب البلقانية التى أرهقتها بأعبائها ٠٠ وظل المجاهدون الليبيون وحدهم يتابعون النضال ٠٠

وقاد السيد أحمد السنوسى القافلة الأولى من المجاهدين الأبرار

وقاد القافلة الثانية الشهيد عمر المختار

وبين القافلتين تعاقبت قوافل ، وبين الزعيمين برز زعماء وأبطال منهم من قضوا فى السجون ، ومنهم من استشهدوا على أعواد المشانق وفى ساحات القتال، ومنهم من شردوا تحت كل سماء ٠٠

كان عمر المختار واحدا من ألوف المجاهدين الذين نذروا أنفسهم لمقاومة المحتل

وكان يوم دخل الايطاليون الى ليبيا قد تجاوز سن الخمسين ، ولكن ذلك لم يحل دون التحاقه بقوافل الثوار فى الأيام الأولى من العدوان، واشتراكه فى قتال العدو مع الشبان والفتيان ٠٠

بل لقد بدا وكأنه استمد من النضال شبابا جديدا وحيوية جديدة، فهو فى غمرته أشد قوة وبأسا من قبل ، يهجم على الموت بجرأة لا مثيل لها ، ويقوم بضروب رائعة من الشجاعة والاقدام ، حتى غدا اسمه الذى يحمل معانى البطولة فى كل حرف من حروفه ، مبعث رعب لدى المستعمرين بل مبعث اعجاب واكبار

ان ما لا قاه المستعمرون على يديه من ألوان الموت ، وما شرب سيفه من دمائهم لم يمنع احدى صحفهم من أن تقول عنه : « انه أشجع الرجال وأجرؤهم وأعرقهم فى التجرد والاخلاص »

ذلك ان البطولة والمروءة والوطنية تفرض احترامها حتى على الاستعمار !٠٠

وبرز عمر المختار كزعيم النضال الوطنى فى ليبيا سنة ١٩٢٢ حين اضطر أكثر الزعماء الى التخلى عن النضال ٠٠

وكان أكثر هؤلاء الزعماء ، وعلى رأسهم السيد ادريس السنوسى ، قد هاجروا الى مصر ، وأخذوا يدعون لقضية بلادهم فى العالم العربى والأجنبى ، مكتسبين لها المؤيدين والأنصار ٠٠

وجاء عمر فى تلك السنة الى مصر، ولكنه لم يأت اليها مهاجرا ، وانما أتى ليدعو الزعماء الى العودة ، ويحضهم على معاودة النضال ٠٠ فاذا برفاقه يحاولون استبقاءه فى أرض الكنانة ، ومنعه من العودة الى الوطن الغالى الذى تحول الى مقبرة للمناضلين الأحرار

ولكن عبثا كان رفاقه يحاولون اقناعه بالبقاء، وعبثا كانوا يحذرونه من قوة المستعمر الغاشم المسلح بما أبدعته حضارته من وسائل القتل والدمار ٠٠

لقد قال لهم : « انني أومن بحقي في الحرية وحق بلادي في الحياة . وهذا الايمان أقوى من كل سلاح . عندما يقاتل المرء لكي يغتصب وينهب قد يتوقف عن القتال اذا امتلأت جعبته أو أنهكت قواه .. ولكنه حين يحارب من أجل وطنه يمضي في حربه الى النهاية . ان الظلم يجعل من المظلوم بطلا ، وأما الجريمة فلا بد من أن ترجف قلب صاحبها مهما يحاول التظاهر بالكبرياء ... »

وقال عمر المختار : « اني أفضل أن أموت شريفا وسيفي في يدي على أن أموت في فراش الدعة الممزوجة بالذل والعار ! »

ثم سافر الى ليبيا مع نفر من مريديه .. وعلم الايطاليون برحيله فحاولوا اغتياله في الطريق ، ولكنه شعر ورفاقه بالكمين الذى نصب لهم ، واستطاعوا التغلب على الجنود الايطاليين الذين أرسلوا للقضاء عليهم ، فجردوا هؤلاء الجنود من أسلحتهم ، وبهذه الأسلحة الايطالية بدأوا نضالهم من جديد ..

اختار القائد الجبل الأخضر مقرا لقيادته وقفيرا لثورته .. وتجمع حوله المقاتلون من كل صوب ..

جاء الفلاحون حفاة وفي أيديهم معاولهم ..

وجاء العمال من المدن وعيونهم تتقد غضبا وعزما ..

وجاء المثقفون يشاركون في القتال المسلح ..

حتى النساء أتين الى صفوف المجاهدين مؤثرات الموت برصاص العدو على الذل والعار ..

واشتد ضغط هذه الفئة المجاهدة على المستعمرين ، فالغارات متواصلة على الثكنات ، والطرقات مزروعة بالموت وما هو أشد من الموت ، وأعمال التخريب تهدم كل عمل يحاولون به تثبيت أقدامهم في الأرض المغتصبة ..

وضجت ايطاليا لهذه الخسائر التي تمنى بها في الأرواح والاموال، وأرسلت الى عمر المختار انذارا رسميا بأنه اذا لم يكف عن اعتدائه على قوى الجيش الايطالي فستعلن عليه الحرب ..وهزأ البطل بانذار الدولة الظالمة التي تصف بالعدوان أعمال الدفاع عن الوطن والنفس ..

وأعلنت ايطاليا الحرب حقا كأن الخصم الذى يناصبها العداء دولة موفورة القوى منظمة الصفوف ..

وشهد الناس عجبا .. فالجيوش الايطالية تزحف الى ليبيا لقمع الثورة واخضاع الثائرين .. وليبيا الثائرة تبتلع الجيوش الزاحفة كأنها خضم زاخر الموج ..

دولة كبيرة مدججة بالسلاح ، تحارب فئة صغيرة عزلاء الا من الايمان بحريتها وكرامتها وحقها في الحياة .. ذلك الايمان الذى قال عمر المختار انه أقوى من كل سلاح!

بهذا الايمان قاومت ليبيا العدوان وصابرت الشدائد ودافعت الخطوب ، فكان لها حصنا تتحطم عليه الحملات الايطالية المتتابعة ، وتتساقط عند أقدامه ألوف الضحايا من الشبان الايطاليين الذين نذرتهم أمهاتهم للحب والحياة فساقهم تجار الحروب الى الحقد والموت .. وفي موقعة « المعمورة » تلاقت الدبابات الايطالية والصدور العربية ،

وشهدت ايطاليا ضروبا من الهول ، وسجلت النساء العربيات ألوانا رائعة من البطولة، وذعر المستعمرون فتراجعت فلولهم خاسئة مدحورة..
استمرت الحرب بين ايطاليا وعمر المختار عشر سنوات ..
وازدادت الحرب عنفا وهولا عندما سيطر الفاشيست على الحكم..
ودهش العالم لجهاد ذلك الشعب العربى الصغير بعدده ، الكبير بروحه ..
وفي سنة ١٩٣٢ قررت ايطاليا أن تقضى على المقاومة الليبية مهما يكلفها ذلك من ثمن ، ومن تضحية وجهد، فحاصرت عمر المختار ورفاقه في الجبل الأخضر ومنعت كل اتصال بينهم وبين العالم ليموتوا جوعا وعطشا ، واخذت طائراتها تقذف القرى التى يلجأون اليها بالقنابل المدمرة فتقضى فيها على النساء الآمنات والأطفال الأبرياء ..
وحين ضج العالم لهذا الاجرام ، وخفقت قلوب الأحرار عطفا على الضحايا البريئة ، لجأت ايطاليا الى مسرحية من المسرحيات التى اعتاد المستعمرون تمثيلها ، وقام الماريشال بادوليو بالدور الأول ، فأتى الى ليبيا لمفاوضة عمر المختار بنفسه ، وصدق الثائر تلك المسرحية ، فقدم شروطه للماريشال ، وهى تقضى باستقلال بلاده
وسافر القائد الايطالى الى روما ليعود منها بجواب الحكومة الايطالية، وما لبث الجواب أن أتى وهو يتضمن عرضا للصلح مقابل راتب شهرى كبير لعمر المختار .. ورفض الثائر طبعا أن يبيع نفسه بالمال ..
وجددت ايطاليا هجومها على الجبل الأخضر وشددت حصارها عليه ..
وكان عدد الثائرين ثلاثة آلاف بينهم كثير من النساء والاطفال ..
أما الجنود الايطاليون فكانوا ثلاثين ألفا ، وقد اختارتهم السلطة الايطالية من الجنود القساة الأشداء
وتجددت الفظائع من فريق .. والبطولات من فريق ..
ولكن عبثا كان الثائر العربى يحاول تحطيم الحصار الفولاذى الذى كاد يقضى على الثائرين بالظمأ والجوع ..
وكان عمر المختار قد قارب سن الثمانين ، وهو حريص مع ذلك على أن يخوض كل معركة ، وأن يكون على رأس المقاتلين بين أولاده وأحفاده ..
وفي ذات يوم وجد الثائر نفسه مطوقا مع نفر من اخوانه كانوا يبحثون عن منابع الماء .. وأخذ عمر المختار يقاتل قتال اليائس للخلاص من الطوق الفولاذى ..
ولكن جواده ما لبث أن سقط صريعا برصاصة أصابته فى جبهته،وسقط البطل من فوق الجواد فأطبق عليه الجنود الايطاليون ووضعوا القيد فى يديه ورجليه ..
وأرادت ايطاليا الخلاص من البطل بأسرع ما تستطيع فتألفت محكمة من بعض الضباط وحكمت على المجاهد الشيخ بالموت ..
وأصر الجلادون على اعدام عمر المختار شنقا رغم رجائه بأن يقتل بالرصاص ..

انها قصة كل انسان : كيف يجيء الى الدنيا ، وكيف يعيش جنينا ، ثم وليدا، فصبيا ، ففتى، فكهلا ، فشيخا. الى ان تنتهي رحلته بالموت الذى يسلمه الى التراب

قصة الإنسان

بقلم الأستاذ محمد الأسمر

من شهوة ، من دافق بعدها ... من دودة ، من ذلك الدافق
أودعها الخـالق فى ظلمة ... لم يدر ما فيها سـوى الخالق
تحيا وتنمـو فى دياجيرها ... فى كنف المبدع والرازق
حتى إذا ماتم تكوينها ... وأقبلت من يتمها الضائق
وانحدرت من غيبها (قطرة) ... تهوى لبحر العيش من حالق
تعجب الـكون لها (دودة) ... تجيئـه فى منظر رائق

▭

أصبحت الدودة طفـلا له ... ما لزهور الروضـة الناضره
تراه فى المهـد له نظرة ... باسمـة ، مشرقة ، باهره
يدير فى غرفتـه عينه ... يسأل عما حوله ناظره ؟ !
يحدق فيما يراه بها ... يجيل فيها المقلة الحـائره
كأنه فى مهـده فاحص ... فكم له من نظرة سابره
ينظر فى عينى مستغربا ... يا لجمال النظرة الساحرة ! !

▭

بغامه أجـل فى مسمعى ... من بلبل غرد فوق السحر
فى صوته العـذب ، وأنغامه ... ما لا أراه فى رنين الوتر
يبسم للدنيـا ويشدو لها ... لم يدر من أحوالهـا ما استتر
يحرك أطرافه راجيـاً ... إنى لم أبادر حمله لو ظفر ! !
أشرب راحاً من سرورى به ... لم يحسهـا فى حانه من سكر
فإن بكى كاد فؤادى له ... يقفز من جنبيـه أو ينفطر

▭

ثم حبا ، ثم مشى عابثاً ... بكل ما فى البيت ، لا يفتر

يردد الأقوال كالببغا ... وفعله تقليد ما ينظر
تضحكنا منه محاكاته ... لكل ما يسمع أو يبصر
وهو على ما فيه من رقة ... عناده الصخرة لا تكسر ! !
تطيعه غير مطاع ، فما ... أحلاه إذ ينهى وإذ يأمر
أصغر من فى البيت لكنه ... كأنه عائله الأكبر ! !

□

ثم إذا بالطفل وهو (الفتى) ... مسترسل الوفرة ، غض الإهاب
يرنو إلى آماله باسماً ... يمرح فى جيئته والذهاب
مكتمل الصحة ، بادى القوى ، ... مؤتلق ، كالسيف ، أو كالشهاب
فى خفة القلب ولكنه ... من عزمه كأنه ليث غاب
يجرى كما شاء وشاء الهوى ... له وينقض انقضاض العقاب
يضحك للدنيا ابتهاجاً بها ... وإنما يضحك فيه الشباب ! !

□

وربما أغرق فى كأسه ... ربيعه الزاهر من عمره
يعاقر (الخمر) وفيها له ... أنياب ظمآت إلى عقره
يشربها جمراً مذاباً ولا ... يحس لذع الجمر من سكره
نشوتها أقدر من ساحر ... يودع ما يودع فى سحره
فهو عليها عاكف غافل ... عن شر ما يحسوه من خمره
شاربة شاربها ! ! لو درى ... ما قربه الكأس إلى ثغره

□

وربما ألفيته فى الدجى ... (مقامراً) أعصابه تحرق
بينا تراه آملا باسماً ... تراه وهو اليائس المحنق
فرحان حزنان معاً ، إن طفا ... فانه فى لحظة يغرق
فى حيرة ، مضطرب خائف ... فليس يدرى ما هو الأوفق ؟ !
كأنه يغشى عليه لما ... يلقى من التفكير أو يخنق
ومن يقامر فهو فى غنمه ... أو غرمه يسرق أو يُسرق !!

□

وربما ألفيته فى (الهوى) ... ألعوبة تلعب (أنثى) به
يسير فى آفاقها تابعاً ... لسيرها يسبح فى حبه
كأنه فى عشقه كوكب ... يدور حول الشمس من جذبه!!
هام بها فهو لها خاضع ... فى شرقه إن لاح أو غربه

يحيا على هامشها مثلما — يحيا سواه ، وهى فى قلبه ! !
فهى له دنياه إن أعرضت — ضاق به الكون على رحبه

▭

إن واصلته فهو فى وصلها — يضمها أفعى إلى صدره
أو باعدته فهو فى بعدها — يلقى الذى يلقاه من جمره
الحب : ما الحب ؟! وما سره ؟! — أعيانى المكنون من سره
فأى شىء هو فى خيره ؟ ! — وأى شىء هو فى شره ؟ !
كل غرام فهو ليل ، له — بدر ، فلا تأمن إلى بدره
كم خدعت أنواره عاشقاً — حتى رأى الصادق من فجره ! !

▭

وربما لام الفتى معشر — يقال عنهم إنهم أتقياء ! !
أطرق فى مجلسهم صامتاً — وصاح فيهم منه طين وماء
قال لهم إنى أنا داؤه — فهل لديكم للمريض الدواء ؟ !
ألم يكن فى أصله (دودة) — فكيف يسمو الدود نحو السماء ؟!
ألم يكن من شهوة قبلها — فكيف لا يغمره الاشتهاء
فى الأكل ، والشرب ، وفى لبسه — وجاه دنياه ، ودنيا النساء ؟ !

▭

ومرت الأعوام فى سيرها — مسرعة فى صحوها والسبات
على جوادين لها أبيض — وأسود لا يعرفان الثبات (١)
بل دائب هذا وهذا معاً — فى كل يوم ، فوق كل الجهات
كرّهما أصبح منه الفتى — يذوى كما يذوى نضير النبات
وراحت العلات تنتابه — حتى إذا صاح غراب الشتات
أدركه ما ليس يخشى الفوات — ورفرف (الموت) عليه فات

▭

وانتهت (الرحلة) بعد الذى — كان بها من متعة أو عذاب
قد فعل الموت بها مثلما — تفعله شمس الضحى بالضباب
فأين طفل الأمس ؟! أين الفتى ؟! — وأين من كان شاباً فشاب ؟ !
أصبح فى جوف الثرى جثة — حتى إذا طال عليها الغياب
عادت إلى الأصل ثرى فى الثرى — وحلت (القطرة) بين (العباب)
وقرت (الشهوة) فى قبرها — وهى تراب أصله من تراب ! !

---

(١) المراد بالجوادين هنا النهار والليل

« علموا المرأة دينها ونشئوها على اخلاقه ، تبث ذلك فى كل من يحيط بها . فهى القدر على التأثير وهى التى تتلقى الابنـــاء صحيفة بيضاء ، تنقش فيهـا صـورة نفسها ان خيرا فخير ، وان شرا فشر »

فتياتنا فى الأزهر الشريف

بقلم الأستاذ محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

لم يدخل كثير من الفتيات المسلمات الازهر الشريف ، وانما دخلنه على الندرة والشــذوذ ، فكان الازهر يأتيه فى كل عام الوف من الصبيان المسلمين يتعلمون فيه ، فمنهم من يتم تعليمـــه ، ومنهم من يقف فى الطريق ، ولـكنه يغترف من منهله على قدر ما قضى فيه من الايام او السنين

ولم تكن الفتاة المسلمة كذلك ، فكانت قليلا ماترد حياضه ، وتلج ابوابه . وكان ذلك من حكم العادة الجارية والعرف المألوف ، ولم يكن من حظر الدين الاسلامى .. فانه لم يحظر على الفتاة ان تتعلم من العلوم الشرعية والعقلية ما تشــاء وما تتسع له قدرتها ، وتطيقـــه منتها ، بل ان فيه حضا على ان تتعلم وتخرج من ظلمات الجهل الى رحاب العلم المنيرة الواســعة ، فان الآيات التى وردت فى فضل العـلم والحض عليه عامة فى الرجال والنساء وليست مخصوصة بالرجال ، فقوله تعالى : انما يخشى الله من عبـاده العلماء ، هذا الفضل الذى جعل لاولى العلم ، وهو انهم هم الذين يخشون الله ، يستوى فيه من حاز صفة العلم من الرجال والنساء

وكذلك قوله تعالى : هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون عام ايضا لا يستوى العالم والجاهل ولا العالمة والجاهلة

والآيات التى تحض على النظـر والتفكير فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء تشمل الرجل والمرأة ، وهى فى ايجابهــا النظـر والتفكير توجب اسبابه ومعــداته سواء أكان على الفتى أم الفتاة ، بل ان فى السنة النبوية ما يفيد ان من المسلمات من كن ائمـــة فى الدين يؤخذ عنهن العـلم . ومن اولئك السيدة عائشة بنت ابى بكر الصديق وزوج النبى صلى الله عليه وسلم

وورد فى الحــديث الصحيح ان النســاء قلن للنبى «ص» غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك ، فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن .. فكان مما قال لهن :

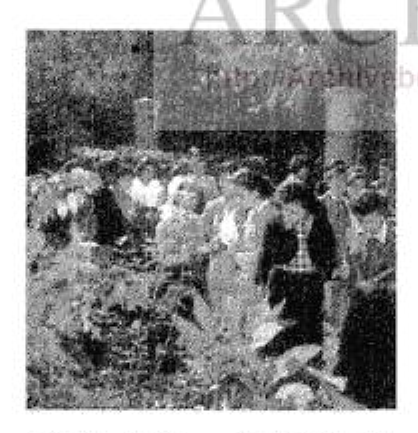
« ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها الا كان لها حجابا من النار »، فقالت امرأة : « واثنين ؟ » ، فقال : « واثنين .. »

ولم يكن رسول الله ينتظر حتى يدعوه النساء لتعليمهن ووعظهن ، بل كان يأتيهن حيث كن في مصلاهن ويعظهن ويعلمهن . روى ان النبى (ص) قام ذات عيد فبدأ بالصلاة،ثم خطب ، فلما فرغ نزل فأتي النساء فذكرهن وامرهن بالصدقة ، وهو يتوكأ على بلال ، وبلال باسط ثوبه .. فجعلت النساء يلقين فيه بصدقاتهن حتى كانت المرأة تلقى بقرطها وخاتمها . ولم يكتف الاسلام بهذه المنزلة ، منزلة التعلم للنساء ، بل اراد ان يكون منهن معلمات ومرشدات ومبلغات عن الله ورسوله ورد ذلك فى القرآن ، وقد كلف نساء النبى بذلك ، فقال : « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيراً »

ومن القليل اللائى دخلن الازهر وتعلمن علومه ماحدثنا به بعض شيوخنا ، فقد قالوا : دخلت فتاة الازهر وتعلمت علومه من فقه ونحو وتفسير وحديث ومنطق واصول الفقه وعلم الكلام الخ .. حتى رأت نفسها أهلا لدخول الامتحان وأخذ شهادة العالمية ، فتقدمت واخذت

الفتاة فى كلية دار العلوم


درس فى فلسفة ارسطو يلقيه الدكتور محمود قاسم على الطالبات بدار العلوم


فى حديقة الكلية ... يتريض الطالبات ويتناقشن بعد انتهاء احدى المحاضرات

التعيين فى العلوم وذاكرته ، وجلست امام لجنة الامتحان . وكان التعيين فى أصول الفقه مسألة « لا تكليف الا بفعل » ، فسألها رئيس اللجنة مغالطا : ما المراد من الفعل : الماضى ام المضارع ام الأمر ؟

فبهتت ثم قالت : « دا فعل بشاة » فاثار ذلك ضحك اللجنة واسقطتها ولو كنت فى اللجنة لرايت ذلك جوابا لان الغرض افهام المعنى ، وهى تقول ان هذا الفعل المذكور فى المسألة يخالف الفعل الماضى والمضارع والامر ، الا انها اخرجت هذا المعنى بلغتها النسوية . وكان على اللجنة أن تسألها بعد : وما الفرق بينهما ؟ فأن عرفت الفرق فبها والا اخذت به

ولا ادرى مبلغ هذه القصة من الصحة ولكن أخبرنى صديق لى انه راى فى سنة ١٩١٥ تقريبا فتاة محتشمة تغطى وجهها وسائر بدنها تجلس فى حلقات دروس الازهر وتتردد عليها والآن تقضى المصلحة بأن ينشأ قسم فى الازهر لتعليم الفتيات المسلمات الدين وعلومه واخلاقه ، لان المرأة اذا خرجت من اميتها الدينية والاخلاقية امكنهـا ان تبث ذلك فى أولادها وزوجها واسرتها . وهى تدخل البيوت وتختلط بالاسر ، فهى اقدر على الوعظ فيها والارشاد وتبليغ صوت الدين

واذا كان يجب على الدولة أن تعلم الفتى لنفسه ، فانه يجب عليها



كانت كلية دار العلوم اسبق من الازهر الى قبول الفتيات ، وقد أعدت لطالباتها امكنة خاصة يتلقين فيها بعض المحاضرات والدروس فى مختلف العلوم والمواد المقررة .. كما أعدت لهن امكنة خاصة اخرى لتزجية اوقات الفراغ



مشكلة لغوية : الطالبات يتفاهمن بلغتهن الخاصة لحل مشكلة بشأن لفاسيبويه

طالبات السنة الثانية بكلية دار العلوم يستمعن لاحدى المحاضرات



جموع المصلين بالجامع الازهر

أن تعلم الفتاة لنفسها أولا، ولاولادها ثانيا ، ولزوجها ثالثا ، ولمن يحيط بها من خدمها وأسرتها رابعا

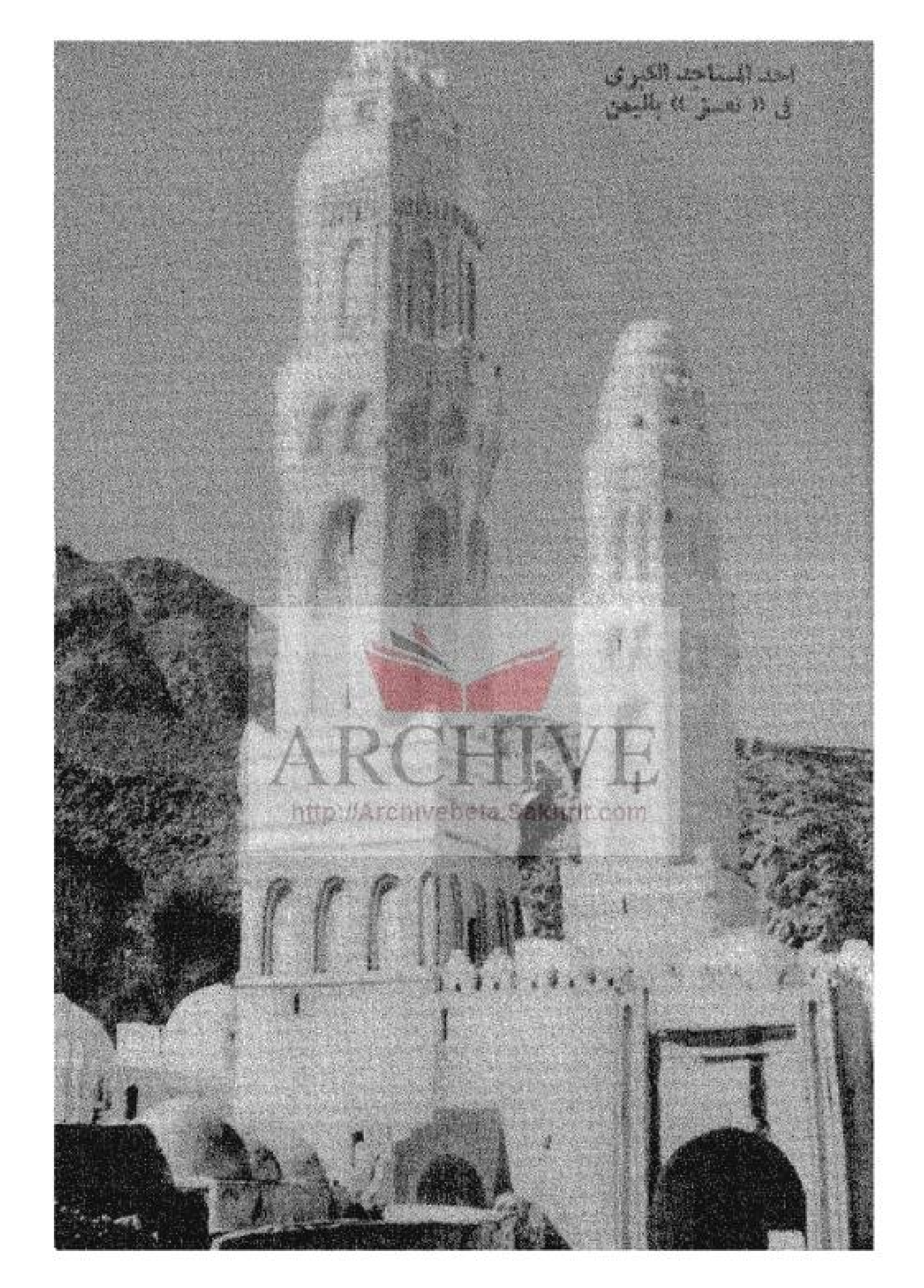
علموا المرأة دينها ونشئوها على اخلاقه تبث ذلك في كل من يحيط بها ، فهي اقدر على التأثير ، وهي التي تتلقى الابناء صحيفة بيضاء تنقش فيها صورة نفسها ، ان خيرا فخير وان شرا فشر

اذارايت شعبا جاهلامتخلفافاعلم ان وراءه نساء جاهلات متخلفات ، واذا رايت شعبا عالما متقدما فاعلم ان وراءه نساء عالمات متقدمات

اغرسوا في المراة أصول العقيدة ، واجعلوها تؤمن بالله والجزاء في الدار الآخرة ، تبث ذلك في ابنائها ، وتخرج رجالا مؤمنين بالله وبالمثل العليا ، وبذلك تنقذونهم من المادية المخربة ، والالحاد المدمر فتنقذون وطنكم من اعظم الاخطار ، واشد الأضرار

علموهن الدين في بساطته وسهولته ويسره ، كما كان في الصدر الاول ، واعفوهن من التفريعات الكثيرة والقواعد الاصطلاحية ، وجنبوهن التعقيد الفلسفي والآراء الجدلية .. فان ذلك لا يلائم طبيعتهن ولايساير شيمتهن

افرضوا ما شئتم على الفتيات من الصيانة ، وحوطوهن بما ترون من الرعاية ، واجعلوا هذا التعليم خاصا بهن لا يختلطن فيه بالفتيان ولكن لا تحرموهن من علوم الدين ، وتقوية اليقين



احد المساجد الكبرى
في « تعز » باليمن



مسجد « سيدى حمودة » فى طرابلس



رفع « منير » وجهه الي السماء يتابع بناظريه طائرا غردا زاهي اللون في ذيله ريشة طويلة حمراء ، ظل يطير من فنن الى فنن ، ما يحط على غصن حتى يتركه الى غصن ، يسقسق مرفرفا بجناحيه تارة ويمد عنقه رافعا صوته بالشدو تارة اخرى ، لا يستقر على حال ولا يهدأ له بال ، نشوان بشبابه الريان ، سكران بحلاوة الدنيا وفسحتها ، ثم اختفى عن عيني « منير » المتشوفتين بين الاشجار المتكاثفة في تلك الغابة البكر من غابات السودان

كان « منير » مدرسا للتاريخ في « مدرسة فاروق الأول الثانوية » بالخرطوم ، ندبته الحكومة للتعليم هناك عامين أمضى منهما قرابة نصف عام وعام .. وكان محبا للعزلة ، اشتهر بالصمت والوقار برغم سنيه الثلاثين . يعيش وحده في شقة صغيرة مع تابع سوداني امين . وكان يمضي اجازاته مع تابعه في رحلات ينظمانها كما يحلو لهما في الغابات المترامية على أطراف العاصمة . فيقيمان خيمة في بقعة منبسطة فسيحة يملأ جوها أريج الأزهار البرية والفاكهة الغضة تنوء بحملها الأغصان ، ويصيد « منير » في مطلع اليوم غزالا أو ارنبا بريا لغدائهما

وبينما ينهمك ادريس في اشعال النار والطهو وهو يترنم بأغاني عشيرته من ابناء اقاصي الجنوب يعكف « منير » على القراءة ، فقد كان مشغوفا بمداومة الدرس والتحصيل والاستزادة من اختصاصه العلمي .. حتى اذا ما تعب استلقى على ظهره ، وراح يتابع ما يدور حوله من حياة « سكان » الغابة من قردة وطيور

وذات مرة توغلا في بقعة سحيقة من الغابة لم يطرقاها من قبل ، وكان « منير » قد أوشك أن يرجع

الى « مصر » فلم تبق من اقامته فى « السودان » الا ثلاثة اشهر.. فما حط رحاله هو و « ادريس » حتى خرج التابع يبحث عن ماء يخزنه لليل . وعاد بعد ساعة او نحوها يحمل فى كل يد دلوا مترعا وصوته يسبقه عاليا بأغنية من اغانى ابناء الغاب ، متشابهة النغم ، رفيقة اللحن ، يشوبها حزن غريب ، كأنما يستشعر قلبه شرا مقبلا ،وتسمر « ادريس » مكانه تتعثر الكلمات على شفتيه ، حينما لم يجد اثرا « لمنير » فنادى عاليا ، وكرر النداء .. ثم القى بالدلوين كيفما اتفق ، واندفع نحو الخيمة يزج برأسه فيها .. كان الفراش منتظما لم تمسسه يد ، والحقيبة الكتانيةالمحتوية على ملابس قليلة وكتب كثيرة مغلقة لم تفتح بعد . فدار حول الخيمة وقد ظن ان « منيرا » قد يكون منبطحا هناك على الارض كعادته يلاحظ تلا من النمل البرى النشط يعمل بهمة فى جمع قوته ، أو مستلقيا يحصى مرور السحب والغمائم سابحا مع الأفكار . ولكن المكان كان خاليا على مرمى الطرف ... فسقط قلب « ادريس » فى جوفه وبلغ منه الخوف كل مبلغ

كانت هذه هى المرة الاولى التى يحدث فيها مثل هذا خلال الفترة التى قضاها « ادريس » مع «منير» . فراح « ادريس » يجرى هنا وهناك مسافات ، وهو يصرخ مناديا ولا مجيب . فيقفل راجعا الى الخيمة يدور حولها ثانية ويزج برأسه فيها عل « منيرا » قد عاد ، ثم يستأنف ركضه .. فلما غربت الشمس وراء هامات الأشجار الباسقة ، ضم الخيمة وحفر حفرة عميقة دفنها فيها هى والحقيبة وأدوات الطهو .. ثم شد رحاله ووجهته قلب الغابة الكثيف الغامض ، يبحث فيه عن « منير »

□

لما استبطأ « منير » تابعه الذى ذهب يملأ الدلاء قام يجوس خلال الغابة المحيطة به . فاستهواه جمالها الرائع ، وسار مأخوذا تسحره الفتنة حيثما وقع بصره ، يبهره حفيف الشجر هامسا ، وهدير الماء دافقا خفيا . فيرفع وجهه ويغمض عينيه ، ويعب الهواء عبا يملأ به رئتيه ويمسكه لحظة كأنما يعز عليه أن يفقده .. ونجاة تدلى ، قاب قوسين أو ادنى من وجهه المذعور ، حبل رفيع يتلوى ، ما لبث أن استقام طرفه ليرى « منير » ، وهو جاحظ العين زائغ البصر ، رأسا مفرطحا أرقط ، وجمرتين تحملقان فيه ، ولسانا مشقوقا يلعق الهواء . ثم قذف الثعبان بنفسه كالقذيفة على « منير » الذى تداعى من فوره . فانغرس الناب المسنون فى كتفه ، وسرى السم فى ذراعه نارا مصهورة تشله وتمشى فى سائر بدنه تلهبه وتخذله ، وجف حلقه ، وغام بصره ، واضطربت المرئيات أمامه وشحبت كأنما ينظر اليها من وراء غلالة ، وتقلصت عضلات فكه وعنقه تضغطها يد خفية تمنع عنها الهواء ، وتفجر العرق متصببا من جبهته . فصرخ صرخة نكراء متحشرجة ، ثم سقط مغشيا عليه فى غيبوبة سحيقة

افاق « منير » مصدوع الرأس ، مفكك الأوصال ، ليجد نفسه مستلقيا فوق فراش من فراء النمر داخل كوخ مظلم . ففتح عينيه واغمضهما ليتثبت من انهما لاتمكران به ، ولا تلعبان بنفسه العوبة من الاعيب العيون . ورقد ساكنا لاياتي بحركة ولا ينبس بكلمة ، وقد تعلق بصره بالباب حيث ينفذ اليه بصيص نور ضئيل من شعاع القمر الزاهي في الفضاء . وفجاة لمح رأسا يطل عليه ويختفي ، ثم لمح رأسين ، ثم راى قامتين فارعتين سدتا منفذ الكوخ الضيق . ولم تختفيا هذه المرة ، بل دلفتا الى الداخل تقتربان بخطى وئيدة خفيفة من « منير » غاص قلبه ، فأغمض عينيه واستسلم للقدر ، وقد تثبت من هلاكه . وصر على اسنانه وزم شفتيه واعصابه متوترة ينتظر طعنة السكين او وخزة الحربة القاضية . ولكن لم يحدث شيء من ذلك ، بل شعر « منير » بيد رقيقة رطبة تتحسس وجهه وجبهته ، وذراع قوية تنزلق خلف عنقه وترفع رأسه شيئا ، وكوب يمس فمه . فجرع من الحليب دون وعي ، وظل يجرع ويعب بنهم حتى فرغ الكوب . فأرجعته الذراع الى مكانه حيث استلقى ثانية على ظهره يشعر بالشبع والارتواء وبدبيب الحيوية ينبض فيه ، واسترخت اعصابه واستراحت عضلاته ، فنام نوما عميقا استيقظ منه على اشعة الشمس المتدفقة تملأ الكوخ وتتخلل قصبه . وكان الجو خانقا ، فرفع « منير » نفسه على مرفقيه يلهث وينظر حوله وقد غرق في عرقه . ففغر فاه دهشة اذ راى فتاة سودانية هيفاء تجثم عند قدميه ترقبه باهتمام ، وتلاحظ كل حركاته وافعاله ، فابتسمت له بحيية ابتسامة اثارت قسماتها الدقيقة ، وزادت من بهاء وجهها الأسمر الجميل . ثم قالت بعربية صحيحة تشوبها لكنة خفيفة :

ـ صح نومك يا مصرى !

ظل يحدق فيها برهة ، ثم نزع بصره عنها يجيله حوله في تعجب بين مكذب ومصدق ، وسالها بصوت انكر نبراته الضعيفة الواهنة : «اين انا يا أختاه ؟ »

فاجابت ببشر وفرح : « انت ضيفنا يا مصرى . . في عيوننا وفوق رؤوسنا ! »

ثم رفعت عينيها وكفيها الى السماء تحتمم : « الحمد لله على سلامتك . . لقد امضينا أسبوعا قلقا يتنازعنا الأمل واليأس في شأنك ! »

وضربت الأرض بجوزة هند شقتها وسقته لبنها ، ثم أردفت : « شدما يسر أبي شفاؤك !... سأذهب لأناديه ! »

ولم تلبث أن عادت بأبيها شيخ القبيلة العربية التي آوته تطببه وتسهر عليه . وقال له الشيخ «عبد الماجد » انه اعتاد التجوال بصحبة ابنته « زين » في الغابة يصطاد معها ويمرنها على الرماية ، فلم يكن له ولد يرثه . ولقد رأيا « منيرا »

وتابعه مرارا ينصبان خيمتهما ويمضيان الايام فى التمتع بعطلتهما. فاحترما عزلتهما واكتفيا بملاحظتهما من وراء اعشاب كثة أو من فوق فرع شجرة ظليلة . وكثيرا ما امضيا نهارا طويلا فى مراقبتهما ثم يتسللان ويتركانهما . ولقد كانا عن كثب من « منير » يوم هاجمته حية الشجرة السامة ولدغتـه فى كتفـه وسقط مغشيا عليـه . فهبطا من مخبئهما مسرعين ، وأراحت « زين » رأسه على صدرها على حين شرط ابوها موضع اللدغة بسكينه وامتص السم بفمه ، ثم عصر ورقتين من شجرة تنضح مادة لبنية لزجة فوق الجرح ، وضمده بورقة أخرى ربطها بالياف الشجرة ثم تعاونا على حمله الى مقر القبيلة حيث مكث عندهما اسبوعا بين الموت والحياة . .

وشفى « منير » ، وعاودته صحته بفضل عناية « زين » وعشيرتها . وكان « ادريس » قد عثر عليه بعد بحث استغرق ثلاثة ايام . فعقـدا عزمهما على العودة مبكرين فى الغد ، ولمـا علمت « زين » بما اعتزماه فاضت الابتسـامة الوضـاحة فى شفتيها . أما أبوها فقد أعد « لمنير » هدايا من تمر وفرو وعاج ، ثم أقام له حفلا شائقا فى ضوء القمر ابتهاجا بشفائه اشترك فيـه اهل القبيـلة بالرقص والغناء . وأدت « زين » رقصة وطنية ذات حشـمة ودلال يسبى القلوب

☐

وطال تردد « منير » بعد ذلك على قبيلة « بنى ماجد » وقد تعلق قلبه « بزين » وزاد هيامه بهـا على مر الايام ، حتى أصبح لا يجد له صبرا على فراقها ، فلم ير بدا من رباطهـا الوثيق ، واطمأن الى شعورها نحوه بما حدثتـه به عيناها النجلاوان ، وبما أظهره اضطرابها من فرح بمقدمه كلما ابصرته

وانصرم العـام الدراسي وانتهت معه مدة ندبه فى « السودان » ولم يبق على رحيله الى «مصر» سوى ايام معدودات ، فشد الرحال ذات ليلة يودع القبيلة التى وهبته حياته وسلبته قلبه . . وكان وداعا مؤثرا تداعى له « منير » المرهف الحس ؛ الشـاعرى النزعة ، فما تمالك ان خطب « زين » الى أبيها

تزوجهـا وقدم بهـا « مصر » فاستقبلته اسرته شيقة اليه مرحبة به . . وما لبثت ان اذهلتهـا رؤية « زين » الى جانبـه . ولمـا عرف اهلوه حقيقة صلتهـا به أخذتهـم الصاعقة ، فقد كانت أمه تطمع فى تزويجه ابنة اخيها الغنى ، وكانت « سهير » شابة جميلة فاتنة وان لم يعجب بها « منير » قط لما فيها من تميع وسوء تربيـة ، فقـد كانت وحيدة ابويها افسدها التدليل والمال والفراغ . لا تلائم طبيعتها الواقعية الدنيوية طبيعة « منير » الشاعرية المثاليـة ، ولـكنها هى أعجبت به لوسامته ورجولتـه المسيطرة على كل أفعاله وأقواله ، فاغضبها زواجه وعدته اهانة لانوثتهـا وجمالهـا ، فأصرت على انتزاعه واغتصابه برغم زواجه . .

وساعدتها الأسرة كلها . . صمت

الجميع على مضض ، واستسلموا للواقع ، ولكنهم عاملوا «زين» بفتور وترفع ، بدأت الحرب البـاردة . . ما يخرج « منير » من المنزل حتى تتغير لهجتهم ويقسوا فى معاملتهم وإهانتهم ، ولم تفطن « زين » بادىء بدء لألاعيبهم وسـوء نيتهم ، ولم تحدث زوجها بشىء مما يجرى فى يومها . فازدادوا سخطا عليهـا ، واشتدوا فى تحرشهم بهـا ونيلهم منها ، واشتدت لذعاتهم ونكاتهـم وجاوزت سخريتهم بها كل حد

فما ان تبينت حقدهم عليهـا ـ وهى الأبية الكريمة المحتد ـ حتى فزعت منقبضة وهى التى أحبتهم من صميم قلبهـا ، واستبدلتهـم بأهلها ، فكانت تبكى وتنعى حظهـا فى الخفاء ،وتكظم كمدها وهمها ، لقد ذبل جمالهـا الوضـاح ، وشحب وجهها الأسمر الشاحب ، وانكسرت نظرتها الجـذلة ، التى يتوثب فيهـا حب الحياة والمرح . .

وكان « منير » لا يرفض لها طلبا فتزداد فناء فى خدمتـه ، ويزداد تعلقـا بهـا ، على حين يزداد حنق أسرته وكيدها . فخرجوا عن طورهم ذات مرة ، ولم يتورعوا عن احراجها أمام الجار الزائر والضيف الغريب ، وعن رميهـا بالجهـل والتأخر أمام زوجها نفسـه. فثارت ثورته وغضب لزوجه أيما غضب ، وهدد بالخروج عن طاعتهم والاقامة بعيدا عنهم ، ان لم يحلوا « زين » بينهم المحـل اللائق بزوجة الابن من حب واكرام .. فطمـأنوه ووعدوه خيـرا على مضض . ولـكن أمه التى كانت قد مهـدت الطـريق أثنـاء غيبتـه فى « السودان » لاتمام زواجه بابنـة خاله أغضبها ضياع جهدها عبثا ، وأطاش صوابهـا خوفهـا أن تفلت العروس الغنيـة من بين يديهـا . فراحت توقع بين ابنها وزوجه فلم تفلح ، فازدادت الأم من غيظ وكمد ، ولم تعد تتحمل من الكتمان أكثر مما تحملت ،فجهرت بنياتها ، ونفست عن حقدها ، وكان يوما مشهودا بكت فيه « زين » بكاء مرا واكفهر وجه « منير » لمـا سمعه من أمه ، فدار على عقبيه يغادر الدار ، وهو يدفع زوجه أمامه

□

استأجرا شقـة صـغيرة فى حى « المنيرة » بالقرب من مدرسته . وكان لايزال مدرسا يجاهد فى سبيل عيشه . مرتبـه ضـئيل لا يفى بحاجاتهما ولا يكاد يمسك رمقهما . ولكنهما ظلا يستمرئان سعادة الألفة والتعـاون ، فاذا ما عاد من عمله عاونهـا فى شئون البيت وشراء ما يحتاجان اليـه من زاد ، وعملا معـا على تنظيم نفقاتهمـا بدقة لا يحيدان عنها . الى أن وقع «منير» فريسة لحمى « التيفوئيد » فأنفقت « زين » عليه آخر قرش لديهما ، ثم باعت حليها ، ثم استدانت وأدت لدائناتها خدمات مقابل ما يمددنها به من مال ، حتى شفى زوجها بعد ثلاثة أشهر . ثم زاد القـدر فى قسوته . فأصيب « منير » بالتهاب « الزائدة الدودية » عقب مرضـه وضعفه ، وأصر الأطباء على اجراء جراحة له على الفور ، وأشاروا بنقله

الى المستشفى . وقد ابت عزة النفس وكرامة المحتد عليهما أن يلجأ « منير » الى مستشفى خيرى ، ورأت « زين » فى عينى زوجها دمعة حائرة ، فتلوى قلبها بين ضلوعها شفقة عليه ولهفة عندما اصر بحزم على الا يطيع الأطباء ، وان يترك نفسه للأقدار تتصرف فيها كيفما شاءت .. فتظاهرت « زين » بموافقته ، وصبرت الى ان نام ، فاخفتت ضوء

الصفقة ووافقوا عليها ، بعد ان أقسمت « زين » بالله وبشرف عشيرتها على الوفاء بعهدها

واستخفت « زين » ، واجريت الجراحة « لمنير » وما ان أفاق من تأثير المخدر حتى راح ينادى زوجه ، ويمد يديه وهو مغلق العينين بعد متحسسا مكانها . ثم عرف أنها غابت عنه ، فجن جنونه ، وكان يقضى الساعات الطويلة مفتوح



السراج ، واسبغت عليه الغطاء تدثره ، ثم انحنت فوقه وقبلت جبينه قبلة طويلة حانية ، وتسللت مسرعة الى بيت اهله .. وهنا تحملت لقاءهم الشامت واهاناتهم وترفعهم عليها ، وساومتهم على أن تترك « منيرا » يعود اليهم على أن تختفى من حياته الى الابد ان هم اسعفوه الساعة وامدوه بالمال لاجراء الجراحة التى فيها انقاذ حياته . ففرحوا بتلك

العينين ينظر ساهما بشرود الى السقف .. فاذا تحدث اليه متحدث من أهله لم يجبه ، واذا جاء بطعام لم يمسسه

▭

خرجت « زين » متوجهة توا الى محطة السكة الحديدية .. وكانت تشعر بأن عليها ان تبتعد عن « منير » بقدر المستطاع ، تبتعد عن منبع هنائها وتوأم روحها ، حتى لا تخونها

عواطفها وينقلب عليها قلبها ويعلو صوته على صوت العقل فتكون له الغلبة فى النهاية . حملتها قدماها الى اول نافذة للتذاكر قابلتها واشترت احداها دون وعى . ولما سألت ـ والوريقة الزرقاء بين انامِلها تقلبها وتفركها حيرى ـ عن وجهة قطارها اشاروا لها الى قطار «الاسكندرية» فسارت اليه بين الجموع المحتشدة ، واتخذت لها مكانا فى ركن منزو قبعت فيه

وراحت تراجع موقفها وتعمل على مقاومة الوهن الذى حل بروحها .. هذا نصيبها ، وعليها أن تقبله ، وهذه حياتها وعليها أن تحياها . اين صبر قومها وقوة شكائمهم وصلابة أعوادهم ؟ اين عزة انفسهم وكرامتهم التى تأبى عليهم الاعتراف بهزيمة ، أو الاستسلام أمام عاصفة ، او السقوط ارضا عند اول صدمة للقدر ؟

رفعت « زين » راسها بأنفة ، وزمت شفتيها فى اصرار ، وضمت يديها بعضهما الى بعض تشتبك أناملها فوق بطنها حيث تكمن أمنة ثمرة زواجها بمن احبت .. ودخل القطار محطة « سيدى جابر » .

واندفع المسافرون نحو الأبواب ، وتعالت اصوات الترحاب ورنين القبلات . وقفز الحمالون الى الداخل من النوافذ يسابق كل صاحبه فى فى اصطياد مسافر دسم

وعلى الرصيف وقفت « زين » تتلفت حولها حيرى .. فاقتربت منها سيدة جميلة صغيرة السن كان يستقبلها شاب لا يزيد فى العمر عليها كثيرا ، تظهر عليهما بوادر النعمة والطيبة . فابتسمت الشابة «لزين» مشجعة . فأجفلت « زين » وارخت جفنيها تضم ثيابها الفضفاضة حولها . فقالت لها الشابة : انها رفيقتها فى السفر ، وانها لاحظت صمتها وانطواءها على نفسها وانهمار دموعها بين حين وحين ، فقدرت انها غريبة وحيدة .. وها هى ذى تتقدم وزوجها لمعاونتها واسداء اى خدمة تحتاج اليها

نظرت « زين » اليها طويلا .. فاطمأن قلبها ، وارتاحت نفسها لصحبتها ، وأوحى لها احساسها بصدقها واخلاصها . فأمنت على قولهما انها وحيدة غريبة ، وزادت عليه انها قررت الاقامة فى « الاسكندرية » وان قدمها تطؤها اول مرة

فتبادلت الشابة وزوجها نظرات صامتة هنيهة يتشاوران . واخيرا وقد أوحت اليهما بالاطمئنان قسماتها الرقيقة النبيلة وانفها الأشم وعيناها الصافيتان ـ عرضا عليها بيتهما ، فقبلت بعد تردد وإباء ، وصحبتهما على أن يمهدا لها عملا تزاوله وتتقوت منه ، فانزلاها منهما منزلة القريبة العزيزة ، واكرما وفادتها ، فطاب لها المقام معهما .

وكان لهما ولد صغير فى نحو الثالثة من عمره احتضنته « زين » من اول يوم وتكفلت بشؤونه جميعا ، وحنت عليه حنو الوالدة على فطيمها ، حتى تعلق الغلام بها أيما تعلق ، وأضحى لا يصبر على فراقها لحظة ..

ومرت الشهور .. ووضعت

«زين» طفلة اسمتها «منيرة منير». ونشأت الفتاة التى تمتزج فى عروقها الدماء المصرية والسودانية، وتجيش فى صدرها عواطف امتين شقيقتين وامانيهما المشتركة، فى بيت مصرى صميم يرعى التقاليد ويقيم شعائر الدين. وكانت « سعدية هانم » لا تفرق فى المعاملة بينها وبين ابنها « يحيى » فتآخى الطفلان وثبت فى روعهما أنهما اولاد خالة. فسارا معا يخطوان فى التعليم بخطى واسعة ثابتة ويدرجان فى المدارس الابتدائية والثانوية حتى التحقا معا بالجامعة.. هو فى كلية الحقوق، وهى فى شعبة التاريخ والجغرافيا فى كلية الآداب

▭

أما « منير » فقد اثر فيه اختفاء « زين » التى احبها الحب كله، فبحث عنها فى طول البلاد وعرضها دون جدوى. وخاف أن يسأل عنها أهلها فينزعجوا بلا طائل. فسافر اليهم ذات عطلة ليرى بنفسه: هل رحلت الى بلدها عائدة ؟ فقابلوه بترحاب ما بعده ترحاب، وسألوه عن « زين » وعن أحوالها. فابتسم وهو يؤلف عنها القصص ويدعو الله فى سره الا يكشفوا كذبه. وعاد وقد زاد صمته وانقباضه. فاعتزل أهله وأقام وحيدا بعد أن رفض الزواج من « سهير » ولم يلن لبكاء امه، ولا ضعف أمام فتنة « سهير ». ووجد سلواه فى الدرس والتحصيل، فأكب يتعمق فى التاريخ الذى تخصص فيه حتى نال اجازة عليا خولته السفر فى بعثة الى الخارج حيث نال الدكتوراه. فلما عاد كانت احدى وظائف التدريس فى الجامعة تنتظره.. وخير بين الجامعتين، فاختار جامعة «فاروق» ليبتعد عن « القاهرة » موطن شقائه وألمه

هاجر الى « الاسكندرية » واستوطنها، وطاب له المقام وحيدا مع ذكرياته امينا على حبه، مخلصا لعهده ووضع قلبه كله فى عمله، يحدب على طلبته ويتعهد كلا منهم على حدة كأنه ابنه، فأحبه الطلبة حب اخلاص، وتعلقوا به تعلق احترام وتقدير. وقد قدره أولو الأمر فى الجامعة، ورقوه الى أعلى المراتب

وكان « منير » يسوى بين طلبته جميعا فى العطف والرعاية، ولكن كانت هناك فتاة سمراء واسعة العينين لفتت نظره باحتشامها وادبها وشدة ذكائها. فهفا قلبه اليها يسوده شعور غامض لا يعرف كنهه وسأل عن اسمها.. فقالوا له « منيرة منير ». فبهت ورفرف قلبه بالأمل.. اتوافق هو أم أن القدر يحبك نسج خيوطه ؟

وغابت يوما فاستوحش لمغيبها.. وطال بها التخلف، حتى انقطعت عن كليتها. فقلق « منير » عليها، وكان قد رأى « يحيى » معهما مرارا يحضران معا الى الجامعة ويخرجان منها معا آخر النهار. وعلم انهما قريبان، فتشجع يوما وسأله عنها. فلما أخبره « يحيى » بعرض أمها وبتضحية « منيرة » بنجاحها لخدمتها والسهر عليها، راح يرسل اليها معه المحاضرات التى القاها فى

يومه لتستذكرها وتراجعها فى وقت فراغها ونوم أمها

ثم اقترب الامتحان ، وقد اشتدت العلة على « زين » فلم تستأنف « منيرة » دراستها فى الكلية ، فتحدث « منير » الى « يحيى » فى أمر زيارته لها ، فرحب « يحيى » بذلك وصحب الاستاذ الوقور أصيل يوم الى الدار حيث اجلسه فى حجرة الاستقبال ، ودخل ليبلغ « منيرة » خبر مجيئه

فهرعت « منيرة » اليه فرحة مستبشرة .. فخفق فؤاد «منير» شفقة عليها ، وهو يتأمل وجهها الأسمر شاحبا يشوبه ذبول من السهر والتعب ..

جلسا يتحدثان ، فاسترسلت « منيرة » فى الكلام تروى قصة حياتها وحياة أمها وصلتهما «بيحيى» وأهله ، و « منير » يستمع اليها باذن مرهفة وقلب خافق ، وقد استيقظ ذهنه وتنبه عقله للحقيقة التى ظهرت بغتة تذهله . فطغى عليه فرح جارف كبته مستمسكا ، وسأل « منيرة » عن أشياء فى حياة أمها أجابته عنها وهى تتعجب من اهتمامه بهذه الدخائل ، الى أن صاح وهو يفرك يديه مهتاج الأعصاب : « بربك خبرينى وان استغربت سؤالى ، ما اسم والدتك ؟ »

فحملقت « منيرة » فى وجهه دهشة ، لكنها تمتمت : « اسمها زين يا سيدى »

فهب « منير » واقفا وهو يضغط قلبه باحدى يديه ويستند بالأخرى الى ظهر مقعده .. زين .. زين ! حبيبتى ــ زوجتى !.. أين هى ؟ خذونى اليها !

فبهت «يحيى» وصعقت «منيرة» وتسمرت مكانها وقد ظنت بأستاذها الخبال .. اما هو فاستدار نحوها يبسط ذراعيه : « تعالى .. تعالى يا ابنتى الى احضان ابيك !.. هنا مكانك ، أرعاك وأتعهدك وأحمل عنك المتاعب ! »

فترددت « منيرة » لحظة ، وقد طغى عليها عطف يجذبها نحو هذا الرجل الوقور الحبيب الذى يمد اليها ذراعيه ، ولكنها تمالكت وسألته بهدوء : « سيدى ، ماذا تقول ؟ »

فاقترب منها وما زالت ذراعاه مبسوطتين نحوها ، وصاح محموما وقد تورد خداه الشاحبان وانتفضت عروق فوديه الأشيبين : « أناديك يا بنتى ، فلذة كبدى !.. ألا تصدقيننى ؟ خذينى اذن اليها تنبئك بالخبر اليقين .. خذينى اليها بربك ! »

وكان « يحيى » يقف الى جانب يلاحظ ما يجرى ويرقب « منيرا » باهتمام ، ففتح له الباب وقاده الى حجرة « زين » حيث كانت تستلقى ساكنة مسبلة الجفنين . وأخذ يتأملها متبتلا برهة ودموعه تطفر ، ثم لمس الذراع الرقيقة السمراء المسجاة على الصدر الذى يخفق بجهد وتعب وهمس :

ــ زين حبيبتى .. أنا «منير» ! أنظرى يا منى قلبى .. أنظرى الى !

فاضطربت الأهداب الثقال على الخدين الغائرين ، وأدارت « زين » رأسها نحو الصوت وتعلق بصرها

« بمنير » لحظة هبت بعدها تحاول النهوض على مرفقيها وهى تهتف من أعماقها :

ـ احقا هو « منير » شقيق روحى ... الى جانبى مرة ثانية ؟

والقت بنفسها فى احضانه ، فحنا عليها مترفقا ، ودفن وجهه فى الشعر الأشيب الناعم يشم عبيره ويتحسس ملمسه وهو يسائل عاتبا : « أواه يا حبيبتى ! لماذا تركتنى ؟ لماذا عذبتنى ؟.. كيف أطاعك قلبك ان تحكمى علينا بهذا الفراق القاسى ؟ »

فتجاهلت « زين » سؤاله ، وقد صفا فؤادها من أكدار الماضى ، وعفا عمن ظلم .. واشارت الى «منيرة» الواقفة فى وقار محبب ترمقها بعينين نديتين وشفتين تغمغمان :

ـ هاك ابنتك .. كانت تحدثنى عنك وعن حدبك عليها ، فعرفت من أول يوم أن استاذها هو انت ، ابوها « منير » زوجى .. دلنى قلبى . ولكنى أمسكت عن اطلاعها على الحقيقة كى لا اقحمها على حياتك ، فتتكرر المأساة ، واغضب زوجك الاخرى واولادها !

فضم « منير » ابنته اليه بشوق ولهفة ، فاستكانت تتنهد فى طمأنينة وهى تردد بصوت متهدج : « أبى .. أبى ! »

وصاح بجبب « زين » : « زوجى واولادى ؟.. لا زوج لى ولا اولاد ! انت زوجتى حبيبتى ، وهذه ابنتى حبة قلبى ! ليس لى سواكما اهل ! »

فهمست وهى تحبس أنفاسها : « وسهير ؟ ! »

فأجاب بحرارة : « لا أعرف لها مقاما ، فقد انقطعت أخبارها عنى » . ثم اضاف بحنان ، يرنو اليها والها كعهده : « ما زلت امينا على حبنا يا (زين) ! »

فافتر ثغرها عن ابتسامة هانئة ، واستلقت تتنهد بارتياح

كانت « زين » قد قطعت شوطا بعيدا نحو الشفاء عندما خطب « يحيى » « منيرة » لنفسه ، وتبادلا خاتم الخطبة فوق فراشها . فقبلتهما تدعو لهما وهى تشرق بدموع الفرح . وما ان تماثلت واستطاعت النهوض حتى اصطحبت زوجها وابنتها وخطيبها لزيارة أسرة «منير» ودعوتها الى زفاف « منيرة » . فاكبر الجميع فى بنت الغاب صفاء روحها ونقاءها ، وقبلوا راسها مستغفرين نادمين ، واستقبلوا ابنتها باذرع مبسوطة وقلوب متفتحة

فاغرورقت عينا « زين » وابتسمت خلال القطرات المنهمرة ، وهى تتابع ابنتها بناظريها تتنقل بين آل أبيها وغمغمت لنفسها : « الحمد لله الذى حقق لى أملا غاليا ، أردت اعزاز قومين ، ورباط بلدين ، وما زواج ابنتى الا صورة ذلك الاعزاز ، ومثال هذا الرباط ... وقد نلت بغيتى والفضل لربى »



السر الذي يقف خلف هذه الرموش الطويلة الداكنة الغزيرة

سيدتي

هل رأيت تلك الرموش الساحرة التي لنجوم السينما ؟

لابد أنك قد أعجبت بها ... ولابد انك قد تمنيت ان تكون رموش عينيك مثلهن .

ان ماكس فاكتور-اشهر اخصائي للتجميل في هوليوود - يقول لك ان في استطاعتك ان تكون رموشك مثلهن اذا تعلمت أصول وفن استعمال « الرميل » التي يقدمها للاهداء وسوف تصبح رموشك مثل هذه الرموش... رموش جانيس كارتر نجمة السينما اللامعة.

ان كثيرا من السيدات يفتقدن جمال رموش عيونهن ... يفتقدن طولها ... ويفتقدن مظهرها المتفتل الداكن ... لا لشيء الا لاعتقادهن أن مجرد لمس الرموش بالرميل بأي أسلوب ... وبأي طريقة يكفي

... وعندما تعرفين كيف تضعينه على رموشك تكونين قد عرفت سر هذه الرموش الجميلة التي طالما رأيتها .. وطالما أعجبت بهـــا وتمنيتها ..

اما الطريقة فهي :

● تأكدي أولا ان فرشاة « الرميل » والرموش خالية من أي أثر « للرميل » القديم ويمكن ازالة بقايا كريم التنظيف بقطعة صغيرة من القطن

● بلل قليلا فرشاة « الرميل » بالماء وحاذري أن تغرقيها فيه ثم المسي بها سطح أصبع « الرميل » عدة مرات ثم مرري الفرشاة على الرموش العليا من بدايتها نحو الخارج وفي نفس الوقت الى أعلى ، وكذلك مرريها على الرموش السفلية

● لكي يحيط « الرميل » بكل شعرة من شعرات رموشك خذي بالفرشاة بعض « الرميل » ثم ميلي بها على احد جوانبها حتى تكون شعراتها موازية لشعرات رموشك ثم مرريها في اتجاه متعرج خلال الرموش العليا . وحتى تتأكدي من تغطية أطراف رموشك العليـا اجعلي الفرشاة تمر خلالها في شكل متعرج الى أسفل

اما الرموش السفلية فهي تحتـاج من الفرشاة الى نفس الحركة المتعرجة ولكن الى أعلى .

● بمجرد أن تنتهي من هـذه العملية . مرري فرشاة نظيفة جافة على رموشك لتفريقها عن بعضها البعض حتى لاتكون احدى شعراتها ملتصقة بالاخرى، واستمري على تمرير الفرشاة هكذا حتى تتفتل رموشك وتأخذ مظهرا داكنا جميلا

ومرة ثانية مري بالفرشـاة على الرموش العليا من بدايتها نحو الخارج وفي نفس الوقت الى أعلى ، ثم الرموش السفلية من بدايتها الى الخارج وفي نفس الوقت الى أسفل .

● تذكري يا سيدتي دائما ان أطـراف رموشك الرفيعة والتي لا تكاد ترى ، لا تكون قد أخذت كفايتها من « الرميل » وبذلك يمكن زيادة طول المظهر العام لرموشك بأن تضعي كمية اضافية من الرميل على الاطراف النهائية للرموش وبذلك تكبين زيادة في طولها

● وهذه الشعيرات الصغيرة التي توجد بالقـرب من نهايتي العين .. مرري عليها الفرشاة مرة أخرى لتعطيها زيادة من « الرميل »

وعندما تعطين هذه الشعرات الخفيفة بعض العناية تكونين قد اعطيت لعينيك مزيدا من الاتساع

● واذا حدث بطريق الصدفة أن سقط بعض « الرميل » من الفرشاة على جفونك أو خدودك فالحل بسيط .. لفي قطعة صغيرة من القطن حول قلم صغير أو أنبوبة رفيعة وبلليها بالماء ثم امسحي آثار الرميل الذي سقط

● والان يا سيدتي .. لقد تم كل شيء ولم يبق الا أن تغلقي احدى عينيك الجميلتين ثم تنظري نظرة جانبية الى رموشك في المرآة وسوف تشاهدين رموشا متفتلة داكنة تظل في سحر على وجنتيك الورديتين

وعند ذلك ... وعند ذلك فقـط ... تكونين قد كشفت سر هذه الرموش الساحرة التي طالما رأيتهـا ... وطالما اعجبت بها وتمنيتها .



الممثلة جانيس كارتر نجمة (م.ج.م.)



العادات الحميدة : كثيرة هى العادات التى نحب أن نمارسها لاقتناعنا بضرورتها وأهميتها فى حياتنا ، ولكنا سرعان ما نتراجع عنها . ومن اهم القواعد التى يشير الاخصائيون باتباعها لكى ترسخ العادة الحميدة وتصبح جزءا من حياة صاحبها : الا تتحدث عما تعتزمه قبل أن تبداه فكثيرون هم الذين يكثرون من الحديث عن اشياء ويتوهمون لذلك انهم عملوها ، فى حين انهم تحدثوا عنها فقط ، وقد يبدو لهم بعد ذلك انهم عاجزون عن تنفيذها !

فينبغى لك ان تدفع نفسك بأقصى قوتك فى تيـــار العادة الجديدة ، ثم حدث عنها كل من تلقاه ، ولا تسمح باستثناء لما تتطلبه هذه العادة ـ مهما تكن الظروف ـ حتى تتأصل فى نفسك .. فان الاستثناءات تبث فى نفسك بذور الشعور بالهزيمة ، فتكون النتيجة أن تضعف وتنهزم .ولا تدع فرصة تمر دون ان تنتهزها للعمل بتصميمك الجديد ، فالتصميمات نفسها لا تكون العادات ، ولكن تنفيذها كفيل بأن يجعلها جانبا«أوتوماتيكيا» من نشاط الجهاز العصبى . واحتفظ بقوة الارادة وحب الجهاد ، بممارسة شىء كل يوم يحتاج الى مجهود غير عادى .. فهذا اشبه برياضـــة تزيد النفس صلابة والارادة قوة

مركب النقص : اذا شئت أن تخلص نفسك من مركب النقص الذى تشعر به ، فخصص خمس دقائق كل يوم لاستعادة ذكريات طفولتك واحداثها التى تنطوى على الخوف او العار او الفشل ، والتى لا يبعد ان تكون سر متاعبك اليوم . ان خلافا بسيطا او مشهدا معينا قد يتبعه فيض من الذكريات . ولعله من المستحسن أن تدون هذه الذكريات على الورق . كما يفيد فى هذه الحالة ان تشترك فى فرقة للمناظرة والمناقشةباحدالنوادى، فاذا لم تتمكن من ذلك فحدد مع أصدقائك او معارفك وقتا للمناقشة . وحلل نفسك واوجه نشاطك بدقة كى تقرر الشىء الذى يمكن ان تجيده، ثم ركز كل تفكيرك فى تجويده وتحسينه حتى تغدو خبيرا أو اخصائيا فيه. فتفوقك فى أداء اى شىء يكسبك شعورا بالثقة والتقدير . ادرس جيدا طباع معارفك ومخالطيك ، وسوف تلمس عيوبا ونقائص كثيرة قد تكون

اكبر من نقائصك وعيوبك فيرفع ذلك من قدر نفسك امام نفسك ، او على الاقل يخفف من حدة ما تعانيه من قلق وشعور بالضعف . واذا بدت مشاكلك كثيرة بحيث لا تستطيع أن تجد لها حلا ، فينبغي ان تبحث كل مشكلة على حدة ، وان تحللها الى اجزاء صغيرة ، ثم فكر في حل كل جزء ، وافعل شيئا بصدده . واذكر دائما أن ثمة فارقا كبيرا بين الشعور بالنقص وبين أن تكون ناقصا بحق . ان لكل امرىء اخطاءه ولكن ليس كل امرىء يجسم هذه الاخطاء . فلماذا تقضى على نفسك بالعجز مع انك تستطيع ان تصلح كل عيوبك ؟

مقومات النجاح : افرض انك وجدت نفسك في مفترق اربعة طرق : احدها يؤدى الى الشهرة ، والثانى الى الحظ الحسن ، والثالث الى الحياة السعيدة ، والرابع الى خدمة الانسانية . ثم طلب منك أن تسلك طريقا واحدا من هذه الطرق . فأيها تختار ؟

ان القرار الاخير الذى تتخذه في مثل هذه الحالة لابد ان تسبقه ثلاثة قرارات تمهيدية بالترتيب التالى :

اولا — تقرر اى هذه الطرق تسلكه

ثانيا — تتوجه الى هذا الطريق الذى اخترته

ثالثا — تبدأ السير فيه نحو الهدف الذى تريد بلوغه

وهذه القرارات التمهيدية الثلاثة ، بالترتيب السالف الذكر ، هى الدعائم الثلاث لكل نجاح في اى ميدان من ميادين العمل . فلا بد لمن ينشد ذلك النجاح من التصميم ، ثم التوجه ، ثم العمل . وبغير هذه الدعائم ، لن يكون نجاح . وكل ماعداها من صفات ، قد تؤثر في درجة النجاح أو سرعة اتمامه ، ولكنها لن تكفى ابدا للظفر بالنجاح نفسه !

ينبغى ان نتطور : اننا نعيش في عالم متحرك ، تدور فيه الكواكب سابحة في افلاكها ، وتتغير مواقع المحيطات ، ولا تكف ذرات المادة عن الحركة والدوران . وعلى هذا ليس في استطاعة احد منا ان يشذ عن هذه القاعدة الكونية العامة ، فيبقى جامدا ساكنا لا يتحرك ما دام على قيد الحياة . ومن الخير اذن ان نكيف حياتنا على هذا الاساس ، فيعمل كل منا على ان يتطور ويتبدل ويساير الظروف المحيطة به وعليه ان يراعى في احكامه على الناس ومعاملته لهم أنهم مثله يتغيرون ويتبدلون ، ورب مجرم بالأمس أو اليوم يغدو قديسا ، ورب قديس بالأمس أو اليوم من اخطر المجرمين !



هذه الميزات الثلاث هي سر البودرة الرائعة التى ابتكرها ماكس فاكتور الابن من أجل أجمل نجوم السينما فى العالم !

ان بودرة ماكس فاكتور تضاعف من جاذبيتك بشفافيتها المتناهية ، وعطرها الحالم ، والوانها العديدة المنتقاة بكل دقة لكل مناسبة

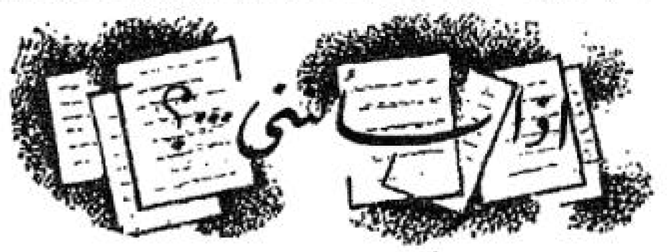
بودرة ماكس فاكتور توضع بسهولة ، وتلائم الوجه الملاءمة التامة ، وتتمشى مع جمال الوجه بصورة رائعة تثير الاعجاب والدهشة .. انها حدث فى عالم الجمال !

جربيها اليوم ولا تتوانى فى الحصول على الجمال الرائع !

ماكياج للنجوم ... ولك
ابتكار ماكس فاكتور هوليوود

يباع فى المحلات الكبرى ومخازن الأدوية والصيدليات ومحلات العطور
الموزعون نادكو الشركة الأهلية للتوكيل والتوزيع فيتا وشركاه ص.ب. ٢٢٠٢

فى هذا الباب تجيب الكاتبة على ما يرد الى « دار الهلال » من أسئلة ادبية واجتماعية .. ولهذا نرجو ان يكتب السائل مع العنوان « باب اذا سألتنى »



بقلم الدكتورة بنت الشاطىء

عند القمة

« لبنانى فى افريقيا » :

« تعرفت وانا فى مستهل دراستى الثانوية بالوطن ، بعصبة من رفاق السوء ، زينوا لى اهمال دروسى ، وما زلت أتعثر فى طريق الفشل حتى هاجرت الى افريقيا فارتد الى عقلى ، وكافحت حتى ظفرت بنجاح لا بأس به ، ومنذ نصف عام ، شعرت بهاتف يلح على فى أن أعود لأستكمل ثقافتى التى لا يستحق الانسان بدونها أن يسمى انسانا وحالتى المادية تعين على التفرغ للدرس ، لكننى اكره أن ابدأ من حيث انتهى رفاق دراستى الاولى »

■ كان من الخير أن تستقر فى حياتك الجديدة وتستمرىء لذة الكفاح دون أن يحول ذلك بينك وبين استكمال ثقافتك عن طريق الدراسة الحرة ، لكنى لا أرى من السهل بقاءك حيث أنت ، وهذا الصوت الملح يطاردك ليل نهار كما تقول . ومن حسن حظك أنه هاتف بالخير يدعو الى حياة أفضل ، فامض الى وطنك على بركة الله وتفرغ للدرس ، ولا تلق بالك الى رفاق لك سبقوك ، بل اصرف جهدك لأن تصل الى القمة ، وهناك تلتقى بأفضل رفاقك وأنجحهم

فى ساعة غضب !

« ح . س بالغربية »

« دفعت بى الحياة الى السكن فى منزل أهلها ، وهيأت لى وسائل الاختلاط بهم فتمكن الحب القوى الطاهر من قلبينا ولما خفت عليها من السنة الناس تركت البيت ثم ارسلت امى تخطبها لى ، ولشد ما صدمت عندما رجعت غاضبة ، لان أهل الفتاة طلبوا صداقا باهظا

« ولم تجد امى ردا على هذا ، الا ان تخطب لى فتاة أخرى ، فاستجبت لها فى ساعة غضب ، وقدمت خمسين جنيها (شبكة) للعروس ، لكنى ما لبثت ان أدركت عقم محاولتى لنسيان الفتاة الاولى التى ندم أهلها على موقفهم منى . وامى ما تزال غاضبة منهم كارهة لهم ، وميزانيتى لا تحتمل ضياع الجنيهات الخمسين »

■ ادفع عن تصرفك فى أمر خطير كهذا فى ساعة غضب ، وواجه الموقف دون محاولة الفرار السهل من المسئولية ، والجزع من احتمال تبعات التصرف الخاطىء .

والرأى أن تدع المخطوبة الثانية وتترك لها ما دفعت ، تعويضاً وترضية . وتتزوج الفتاة التى أحببتها ، دون تقديم هدايا أو (شبكة) جزاء على الموقف غير الكريم . ولا بأس عليك من أمك ، فلن يكون على الأرض أسعد منها يوم تراك سعيداً

الباقى على الله

« ع . ج . ق ــ كربلاء ، العراق » :

« تلقيت دروسا قاسية ، جعلتنى اسىء الظن بالمرأة واحاول جهدى الا اتقيد بهـا زوجة ، لكن أوضاع الحياة فى المجتمع الحاضر تجعل الزواج ضرورة لا مفر منها ، فهل اطمئن الى حياة زوجية سعيدة مع واحـدة من بنات حواء التى اخرجت ابانا من الجنة وحرمت نفسها والنـاس اجمعين من دار الخلد ؟ »

■ أنت تنسى ياسيد ، أنه لولا خطيئة حواء هذه ، لما كان هناك ناس ليقيموا فى دار الخلد التى تتحسر عليها . فاذكر هذا قبل أن تخطو خطوة واحدة فى طريق الزواج ، وعليك بعد ذلك أن تحسن اختيار الزوجة الملائمة لك ، ثم تحسن عشرتها ، والباقى على الله !

يستأذن النقاد !

« جلال قطاوى بالاسكندرية » :

« لى محاولات ادبية مبتدأة ، حرصت على عرضها على كبار الادباء والنقاد لعلهم يبدون رأيهم فيها فيشجعونى على المضى فى طريق الادب ، لكنهم مع الاسف لم يتكرموا بالرد ، واخشى أن آياس ، فهل للسيدة ان تقرأ احدى هذه المحاولات وتتفضل بنقدها »

■ المجال هنـا لايتسع لنقد مفصل ، لـكنى أستطيع أن أقول لك إنى لو كنت مكانك ، لما انتظرت إذن النقاد لى بدخول الميدان الأدبى ، فهم عادة لايأذنون لمن لايزال فى أول الطريق . صمم يا أخى على أن تصل ، وقرر أن تفرض نفسك علينا بالـكفاح الشاق والجهد البـاذل والعزيمة الصامدة ، ويومئذ يعترف بك الأدباء الذين لايتسع وقتهم الآن للرد عليك ..

من تاريخ مصر

« السيد على حمود ــ كربلاء ، العراق » :

« أنا من هواة جمع طوابع البريد ، وفى المجموعة التى اقتنيها طابع مصرى قديم ، عليه صورة تمثال فرعونى ، الا انه مختوم بتاريخ ١٥ من مارس ١٩٢٤ ، فارجو افادتى عن المناسبة التى طبع فيها هذا الطابع » .

■ هو طابع تذكارى ، أرجح أنه طبع احتفالا بافتتاح أول برلمان مصرى فى ظل دستور سنة ١٩٢٣ ، وقد كان هـذا الافتتاح يوم ١٥ مارس فى ذلك العام

من آيات الخالق

« صالح عبد اللطيف الشارخ ــ الكويت » و « عبد الرحمن الشنقيطى ــ بالقاهرة » :

« كنا نتحدث عن تقدم الطب الحديث وفضله على الانسانية ، فوصل حديثنا عند نقطة حرجة ، هى : هل فى استطاعة الطب احياء الموتى ؟ وقد احتدم بيننا الجدل ، ومال اكثرنا الى رفض الاعتراف بهذا ، ايمانا بالله تعالى الذى يحيى ــ وحده ــ الموتى وهو على كل شىء قدير . ومهما يتقدم العلم فلن يجـرؤ على عمل يختص به فاطر السموات والارض »

■ ولماذا لايكون هذا النصر العلمى آية باهرة على قدرة الخالق الذى أبدع العقل الانسانى ؟ إن هـذا العقل يغزو الآفاق غزواً متصلا ، ويسجل فى كل حين نصراً جـديداً دون أن يكف عن النضال ، لـكن يبقى بعد هذا كله أن الله جعل للحياة سنناً لاتقبل التغيير ، ومن هذه السنن التجديد ، فمهما عمل العلم لاطالة حياة الحى ، فلا بد من أن يفنى أو يأتى بدله حى جديد

ردود خاصـــة

« السيد ابراهيم بالمحلة الكبرى » :

وهل هذا سؤال ؟ الموقف واضح تماماً ، وليس لك إلا أن تكف عن زيارة منزل صديقك بعد زواجه ، مادامت هذه هي رغبته. ولا حق لك فى مطالبته بأن يفسر الرغبة ، وإنما الواجب عليك أن تعف وتترفع ، فلا تلح فى ملاحقة صاحبك بكيف ، ولم ؟.

« الاستاذ عمر ابو زيد بالمنيا » :

تستطيع أن تجد جواب ما تطلبه ، فى «السجل الثقافى» الذى أصدرته وزارة المعارف وفى كتاب « خزائن الكتب فى الخافقين » الذى ألفه « الكونت فيليب دى طرازى » ونشرته دار الكتب اللبنانية

«الآنسة سميحة ابراهيم بمصر القديمة» :

معهد التربيـة للمعلمات يتبع الآن جامعة ابراهيم ، ومقره فى الزمالك

« الاستاذ ا . على بقليوب » :

قصائدك جديرة بأن تعرف وتذاع ، فما نظفر كثيراً بمثلهـا عمق عاطفة وحرية تعبير وبراعة أداء . حاول أن تبعث بمختارات منها إلى المجلات الأدبية ، إذا عز عليك أن تطبعها اليوم فى ديوان

«الاستاذ سعيد حداد بأمريكا الجنوبية» :

آسف أيضاً لأنى لم أستطع نشر قصتك « غرائب الصدف » بمجلة الهلال ، والواقع أن فى القصة نواة طيبة لمـأساة مسرحية ، ولـكن إعدادها يحتاج إلى جهد كبير ، فهل تبذله ؟

« السيدة زينب امين ــ الدقى » :

ليس الذنب ذنبك ، لـكنا ندفع أحياناً أفدح الأثمان ، تكفيراً عما اقترفه الآباء . كان الله فى عونك

« الآنسة نظيمة محمد توفيق ناصر ــ بغداد » :

اكتبى سريعاً إلى إدارة العلاقات الثقافية بمراقبة الثقافة العامة فى وزارة المعارف بالقاهرة وسوف ترحب بدرس حالتك وإتاحة السبيل لإتمام دراستك العليا بمصر

وتبدأ الدراسة بالجامعة عندنا فى شهر أكتوبر عادة، ويكفى مبلغ خمسة عشر جنيهاً شهرياً لنفقات طالب جامعى معتدل ، إذا أتيح له أن يلتحق بالمدينة الجامعية ، مع العلم بأن لدينا بيتاً للطالبات الجامعيات المغتربات

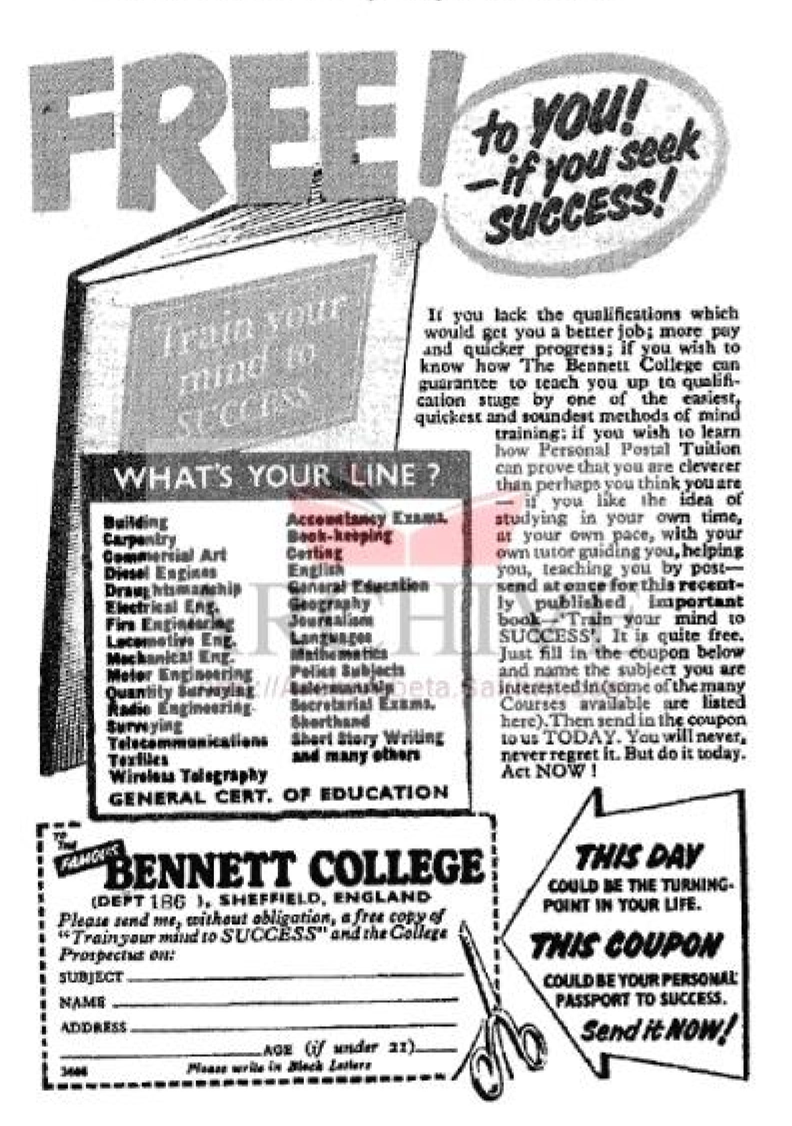
« الآنسة لمى الكيلانى ، بسوريا » :

أرجو أن تستمرى فى تمرين قلمك على كتابة القصة، فهذه الصورة التى رسمتها « من صميم الحياة » باكورة طيبة ، وأجمل ما فيها تعبيرها الصادق عن وجدان فتاة طاهرة ساذجة، لم تبل الدنيا ولم تجرب الناس. وكل ما أوصيك به هو ألا تتعجلى نشر محاولاتك الأدبيـة ، فليس يقضى على الأدباء الناشئين أكثر من هذا التعجل

« السيد انوار الياس ــ طرابلس ، لبنان » :

اكتب إلى مراقبـة الثقافة بوزارة التربية والتعليم بالقاهرة ، فلديها الجواب كما تسأل عنه

ان « بنت كولدج » تعطى دروسها باللغة الانجليزية فقط .. ولذلك نشرت هـذا الاعلان بهذه اللغة حتى لا تتلقى سوى طلبـات الذين يعرفونهـا





طبيب الهلال

أحدث الاكتشافات

◆ ابتكر دواء اطلق عليه اسم « دياموكس Diamox » يعطى عن طريق الفم فى بعض حالات هبوط القلب لمعالجة الاورام الناتجة عن رشح بالانسجة واختزان الماء بها • وقد جرب فى علاج ٧٥ حالة من هذا القبيل ، فكان نجاحه تاما ، وكان معدل النقص فى وزن المريض نتيجة لتخلصه من تلك الاورام حوالى عشرة ارطال فى الاسبوع

◆ يقول احد الاخصائيين فى الامراض العصبية ان نقص مادة الـ « جلوتاميك اسيد » فى المخ تؤدى احيانا الى الصرع • وعلى هذا يمكن شفاء بعض حالات هذا المرض ، أو تخفيفها كثيرا باعطاء المريض جرعات من هذه المادة عن طريق الفم ، مع جرعات من مادة الـ « اسبراجين Asparagin » الكيمائية التى ترتبط بها

◆ وفق أحد جراحى العظام الى عقار يخفف الام العظام المكسورة ويساعد على سرعة شفائها • وقد اطلق على هذا العقار اسم « توبوكيورارين » • وهو اسم مشتق من عنصر نباتى سام تستعمله بعض قبائل جنوب افريقيا فى تسميم حرابها • وقد جرب العقار بنجاح فى أكثر من خمسمائة حالة

◆ فى بعض امراض الاذن ، او عقب اجراء جراحة فيها ، يحدث احيانا ان يشعر المريض باختلال فى توازن جسمه ، أو يتوهم انه يسبح فى الفضاء • وقد دلت التجارب التى اجراها أحد الاخصائيين على امكان الشفاء التام من هذه الحالات اذا عولجت بحقن المريض ، بالدواء المضاد للحساسية المعروف باسم « بنادريل Benadryl »

◆ استخدم لفيف من الاخصائيين الموجات فوق الصوتية فى استئصال بعض الاورام المخية ، وعلاج بعض حالات الامراض العقلية • وقد تبين ان هذه الموجات يمكن ان تزيل اورام فى منطقة مساحتها جزءا من البوصة ، دون ان تؤثر فى الانسجة المجاورة لها

عيوب البصر عند الشرقيين

بقلم الدكتور عبد الحميد مرتجى
اخصائى أمراض العيون

ان طبيعة ارض البلاد الشرقية ، بمافيها من حقول وسهول وصحراوات مترامية الاطراف ، من شأنها ان تزيد فى حدة البصر وقوته ، ولولا كثرة الامراض التى تداهم الشرقيين لكانوا احد اهل الارض بصرا واقواهم نظرا ، وقد سجل التاريخ امثلة كثيرة لرجال ونساء من البلاد العربية والشرقية ضربت بهم الامثال فى هذا الشأن ، مثل زرقاء اليمامة او «حزام» التى كانت ترى الجيوش على مسيرة عدة ايام

ولاشك فى ان الاسباب الرئيسية لما اصاب الشرق من انتاخر فى هذا المضمار ، حتى أطلق عليه الغربيون (بلاد العمى) يمكن ارجاعهـا الى ثالوث الاعداء المعروف «الفقر والجهل والمرض» فالرمد الحبيبى (التراخوما) — وهو العدو الاول للشرقيين ، وقد تبلغ نسبة الاصابة به فى مصر والهند والصين ٩٥٪ — يسير جنبا الى جنب مع الفقر ، بل ان الغربيين يطلقون على هذا الرمد اسم (مرض الفقر) . وهو يصيب الجفن ثم تنتقل الاصابة الى القرنية الشفافة فتحدث بها قرحا تسبب سحابات وعتامات تقلل من قوة النظر ، أو تذهب به كله اذا أهمل علاجها ، وهذا عدا ما تسببه من تشويه شديد بالجفون

وعدوى « التراخوما » تنتقل من مريض الى آخر بطرق مختلفة ، منها الذباب ، وازدحام المساكن ، واستعمال « فوط » الوجه غير النظيفة وغيرها

ويعد الرمد الصديدى من امراض العيون الخطرة ، وهو سريع العدوى بواسطة الذباب وغيره . وتختلف انواعه باختلاف الميكروبات المسببة له . ويبدأ بظهور ورم شديد بالجفون ، مع احمرار العين وافراز لاينقطع الا بالعلاج السريع ، واهماله يؤدى الى زيادة حدته ، والى اصابة القرنية بقرح تصحبها سحابات وعتامات قد تذهب بالبصر

وهناك ظاهرة مرضية متفشية قريبة الشبه مما سبق ، وتعرف باسم الرمد الربيعى ، والواقع انه وان كان يحدث التهابات واحمرارا

بالعين ليس مرضا بالمعنى المفهوم ، ولا يحدث نتيجة أصابة بميكروب ولكنه نتيجة لزيادة فى الحساسية نحو حرارة الصيف الشديدة ، ووهج الشمس المحرق ونورها الساطع

وقد يكون الرمد الربيعي اقل خطرا من سابقيه ، ولكنه عادة يكون مصحوبا باكلان شديد فى العين يضايق المريض ويدعوه الى حكها باستمرار . وعلاجه يكون بالمسكنات والمكمدات الباردة ، والوقاية بلبس النظارات السوداء

والواقع ان سوء التغذية ونقص الفيتامينات فى الجسم مما يسبب كثيرا من أمراض العين ، وفى مقدمتها مرض « جفاف العين » اذ يشعر المصاب بجفاف فى عينيه مع ظهور مادة بيضاء مثل فقاقيع الصابون على بياض العين حول القرنية ، وقد ثبت انه يحدث بسبب النقص فى الفيتامين (ا) . ولهذا يعالج بتكملة هذا النقص باعطاء المريض فيتامين (ا) أوزيت سمك ، وقد يحتاج الامر الى وضع قطرات من زيت السمك فى العين

ونقص الفيتامين (ا) يسبب مرضا هاما آخر وهو مرض « الاعشاء الليلى » اذ يكون المصاب به حاد البصر نهارا ، فاذا غربت الشمس ضعفت قوة ابصاره ، وقد يعجز عن الابصار مالم يكن النور ساطعا

ومن اعراض نقص الفيتامينات أيضا بعض حالات لامراض القرنية والعدسة تسبب عتامات بهما وتضعف كثيرا من قوة النظر

وهناك مرض خطير آخر يعرف باسم « الجلوكوما » أو (المية الزرقاء) وهو يحدث بين الشرقيين نسبة من فقد البصر اكبر مما يحدثه فى البلاد الغربية ، مع تساوى عدد المصابين به من هؤلاء وهؤلاء ، وذلك للاهمال وعدم العناية الطبية السريعة فى الشرق . ومن اعراضه الشعور بصداع يصيب الجبهة حول العين ، وكثيرا ما يعتقد المصاب انه صداع فيلجأ الى المسكنات مثل الاسبرين وبذلك يهمل علاج المرض الحقيقى فيستفحل امره حتى يصبح العلاج غير مفيد ويفقد النظر

ونظرا الى خطورة مرض « الجلوكوما » قامت حملة اخيرا فى امريكا تدعو الى تحذير المرضى من اهمال الصداع ، وتطالب بعمل مؤتمر من الاطباء الرمديين والباطنيين فى جميع انحاء العالم للاتفاق على الاعراض الاولية له والعمل على سرعة تشخيصه وتبسيطها ، حتى يتسنى للطبيب الباطنى ان يشخص حالة مريضه العادي ان جاءه يشكو الصداع فيتأكد ان كان مصابا بمرض « الجلوكوما » أم لا ، قبل ان يصف له الدواء

ومن الامراض الخطيرة الاخرى التى تحدث بين الشرقيين كثيرا من حالات العمى ، مرض الزهرى الوراثى والمكتسب ، والدرن ، والسكر ، والزلال ، وارتفاع ضغط الدم . وكلها أمراض يمكن التغلب عليها أو تلافى مضاعفاتها بالعلاج السريع

بحوث مصرية

طلع النخيل

يقوى الجسم ويزيل العقم !

بقلم الدكتور ابراهيم فهيم

المدرس بكلية طب قصر العيني

طلع النخيل هو حبوب اللقاح الذكرية في النخيل . وقد عرفت من قديم وظائفه النباتية في التلقيح والاخصاب وذكر اطباء العرب القدماء عدة مزايا طبية له ، منها ما ورد في «تذكرة داود الانطاكي» من ان طلع النخيل اذا اخذ ممزوجا بالعسل الابيض فانه يقوى الجسم عامة ، والوظيفة الجنسية خاصة ، كما ان وضع هذا المزيج في المهبل يزيل العقم

وما زال اعراب البادية ، وعامة المرضى ، يستعملون طلع النخيل لهذه الاغراض ، التي اشار اليها داود الانطاكي منذ مئات السنين . وقد لفت ذلك نظر الاستاذ الدكتور سليمان عزمي ، فقدم عينة منه الى قسم الكيمياء الحيوية بكلية طب قصر العيني ، لتحليلها والوقوف على مدى صحة هذه الاعتقادات

وتولى الدكتور محمد حسن ابو الوفا ، باشراف الاستاذ الدكتور محمد شفيق الربدى ، بحث هذا الامر . فحللت عينات مختلفة من الطلع ، لمعرفة العناصر المفيدة التى يحتوى عليها ، ومقارنة كل عنصر منها بأغنى مصادره الغذائية

وأثبتت التجارب العديدة ، والتحاليل المتنوعة ، ان طلع النخيل يحتوى على سكر القصب بنسبة ١٧ ٪ وهى نفس النسبة التى يحتوى عليها قصب السكر ، فى حين تتراوح نسبة سكر القصب فى البنجر بين ١٠ ٪ و ١٢ ٪

وكذلك ثبت ان نسبة المواد الزلالية فى طلع النخيل ٢٢ ٪ ، فى حين ان نسبتها فى اللحوم تتراوح بين ١٥ ٪ و ٢٥ ٪ . وفى البقول بين ٥ ٪ و ١٠ ٪

ووجد فيه عنصر الكالسيوم بنسبة ٥٤ر٠ ٪ ، بينما نسبته فى اللبن ١٢ر٠ ٪ وفى البيض ٦٧ر٠ ٪ وفى العدس ٢ر٠ ٪

اما فيتامين «ج» فوجد فيه بنسبة ٠٦ر٠ ٪ . فى حين ان نسبته فى الجوافة ٠٧ر٠ ٪ وفى المانجو ٠٢ر٠ ٪ والليمون والبرتقال ٠٨ر٠ ٪

واما فيتامين «ب» — (الريبو فلافين) — فوجد فيه بنسبة ٦ر٠ ٪ . وهو فى الجبنة بنسبة ٤٤ر٠ ٪ . وفى اللبن بنسبة ٦٥ر ٪ ، وفى السبانخ ٤ر ٪ ، وفى الخميرة ٤ ٪

وتبين أن نسبة عنصر الفوسفور فيه ٦٥ر٪ بينما هي في اللبن ٠٩ر٪ وفي البيض ١٨ر٠٪ وفي العدس ٤ر٠٪

اما الحديد فوجد فيه بنسبة ٣ر٪ . بينما نسبته في الكبد والعدس ٠٠٨ر٪ . وفي البيض ٠٠٣ر٪

ولما كانت نسبة المواد الزلالية مرتفعة في طلع النخيل ، فقد أجريت التجارب على الفئران لتحديد مدى قيمتها الغذائية ، ومقارنتها بالزلاليات الحيوانية . وقد أثبتت هذه التجارب ان الفئران التى تناولت غذاء اساسه الطلع كان نموها معادلا لنمو الفيران التى تناولت زلاليات حيوانية واسرع وأكبر كثيرا من نمو الفئران التى غذيت بزلاليات نباتية . وبذلك تبين ان لتناول الطلع فائدته لتقوية الجسم عامة ، لاحتوائه على هذه النسبة المرتفعة من المواد الزلالية

وكانت الخطوة التالية هي تجربة الطلع في مجموعات من الفئران وأناثها لمعرفة مدى الاثر التناسلى لما فيه من هرمونات . وقد اثبتت هذه التجارب ان الطلع يحتوى على هورمون « الايسترون » الخاص بالاناث . ووجد هذا الهورمون في الجزء غير القابل للتصبن في الزيت المستخلص من الطلع . وقد أمكن استخلاصه على صورة نقية ، وأيدت التحليلات الكيميائية والطيفية ان هذه الخلاصة هي هورمون « الايسترون » الذى ينشط المبيض ، وينظم دورة الطمث ، ويساعد على تكوين البويضة في الانثى ، لتكون على أهبة الاتحاد مع الحيوان المنوى للذكر ، لتكوين نواة الجنين البشرى

وتشعب البحث بعد ذلك ، لمعرفة ما قد يكون في الطلع من مواد أخرى لها قيمة علاجية . وقد امكن فصل مادة صفراء من طلع النخيل ، أثبت التحليل الكيميائى والطيفى انها مادة « الروتين » : التى يتكون منها العقار الحديث الذى اكتشفه « جريفس » سنة ١٩٤٦ ، وثبتت فائدته لتقوية الشعيرات الدموية في جسم الانسان ، ومنع انفجارها

وقد جرب هذا العقار في علاج المرضى بضغط الدم ، ذوى الشعيرات الدموية الهشة السهلة الانفجار ، فجعل هذه الشعيرات طبيعية تماما ، بعد تناوله لمدة شهرين بطريق الفم ، كما أثبتت التجارب فائدته في منع النزف الداخلى ، الذى يتعرض له المرضى بالضغط المرتفع واللوكيميا ، والاسقربوط ، والبول السكرى !

ونظرا الى أهمية هذا العقار ، اتجهت الابحاث لاكتشاف مصادره الغنية . فوفق « كوشيه » سنة ١٩٤٦ الى ان نبات الحنطة السوداء يحتوى على مقدار منه يتراوح بين ٢٪ و ٥ر٨٪ وما زال هذا النبات اغنى مصدر نباتي يستخلص منه هذا العقار حتى الآن . على انه قد ثبت أخيرا ان طلع النخيل يحتوى على الروتين بنسبة ٣ ٪

وهكذا ، يؤخذ من هذه الابحاث كلها أن أطباء العرب القدماء كانوا على حق حين قرروا ان تناول طلع النخيل يقوى الجسم عامة ، كما يفيد في ازالة العقم

مضاعفات الدوسنتاريا

بقلم الدكتور عبد الفتاح شوقى
الطبيب بمستشفى القصر العينى

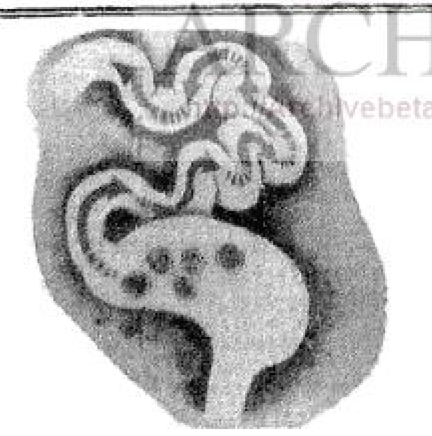
عرف الانسان بعض أنواع الدوسنتاريا فى المناطق الحارة والقارية طوال آلاف السنين الماضية

وقد اكتشفت الاميبا سنة ١٨٥٩ أثناء تحليل البراز ، ولكن عشرين عاما مضت بعد ذلك حتى تبين انها المسببة للدوسنتاريا . وفى سنة ١٨٨٣ ، اكتشف العلامة «كوخ» أثناء أبحاثه فى مصر قرح القولون الناتجة عن مرض الدسنتاريا الاميبية .. ثم تأكد العلماء ان طفيلى الاميبا هو السبب الاساسى فى أعراض الدوسنتاريا بعد أن نقلوا العدوى الى القطط عن طريق الحقن الشرجية بواسطة البراز الملوث بالطفيلى

وهذا المرض منتشر فى شتى أنحاء أفريقيا وامريكا الجنوبية وجنوب آسيا وأغلب بلدان حوض البحر الابيض . ويصاب الانسان به عن طريق الفم ، ذلك لان طعامه وشرابه قد يحتوى على أكياس الاميبا ، وهذه الاكياس لا تتأثر بالعصارة



احدى حويصلات الاميبا خارج الجسم ، يغلفها جدار سميك



لا تتأثر الحويصلات بالعصارات الهضمية فى المعدة والامعاء

الحمضية عند مرورها فى المعدة ، ولكنها حينما تصل الى الامعاء الغليظة تتطور وتصبح قادرة على الحركة وافراز المواد التى تساعدها على اختراق الغشاء المخاطى للقولون .. وبذلك يصبح المريض مصدرا للعدوى اذ يمتلىء برازه بهذا الطفيلى ، اما فى طور نشاطه ، واما على هيئة حويصلات تعيش مدة طويلة بعد خروجها من الجسم ، ولا سيما اذا استقرت فى موارد المياه

وهناك عدة طرق لوصول الطفيلى الى الفم ، اهمها ما يلى :

١ — عدم العناية بتنظيف الايدى بعد التبرز فينتقل الطفيلى الذى يوجد به الى أيدى الآخرين عند مصافحتهم ، أو الى طعامهم بلمسه

٢ — استعمال الحقن الشرجية الملوثة قبل تطهيرها جيدا

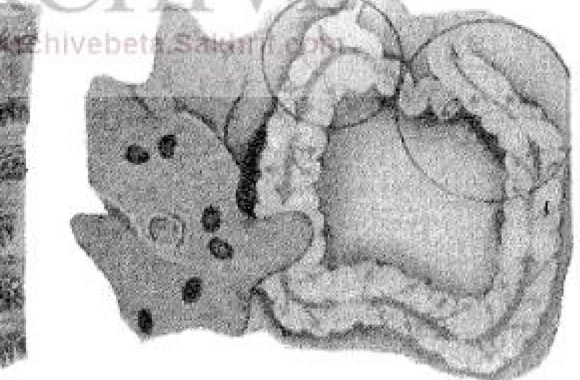
٣ — الاغذية غير المطهية كالخضروات والفاكهة المغسوله فى مصادر المياه الملوثة ببراز المرضى

٤ — موارد المياه والقنوات التى اعتاد الفلاحون التبرز فيها

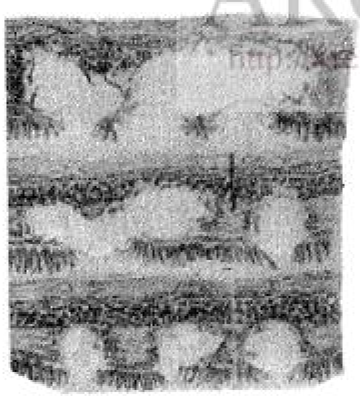
٥ — الذباب المنزلى وخاصة فى شهور الصيف فى المناطق الشعبية المزدحمة بالسكان

واخطر ما يكون حامل الطفيلى ، اذا كان لعمله علاقة بالطعام او الشراب فى الاماكن العامة كالمدارس والمستشفيات والمعسكرات والملاجىء

وتختلف اعراض المرض وحالاته فتكون حادة او بسيطة او متوسطة تبعا لاختلاف المرضى ، وعدد الطفيليات ، ومدى قدرة المريض على مقاومتها . وهذه الاعراض تظهر بعد مدة حضانة للطفيلى تتراوح بين ٢٠ يوما و ٩٥ يوما . وتبدأ بشعور المريض بألم فى البطن يتركز غالبا حول السرة . ثم تتعدد مرات ذهابه الى دورة المياه ، وقد يشعر برغبة مستمرة فى التبرز ، ولكنه لا يفرغ الا كمية ضئيلة جدا من المخاط



تنشط الاميبا فى الامعاء الغليظة ، فتمزق الاغشية المخاطية



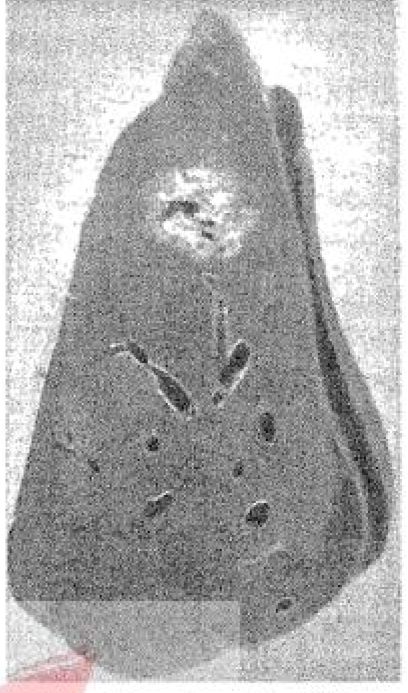
قروح بالامعاء الغليظة تسبب خروج الدم والصديد مع البراز

المصبوغ بالدم ، ويصحب ذلك زحار (تعنية) قد يؤثر فى الصمامات فيسبب كثرة التبول

على ان هذه الاعراض لا تكون الا فى حالات قليلة ، فهناك كثير من المرضى لا يشكون منها ، بل يشعرون باعراض اخرى تبدو كأنها لا تمت بصلة الى هذا المرض ، مثل سرعة التعب ، وضعف الشهية وسوء الهضم ، وكثرة التجشؤ ، وتوتر الاعصاب ، واضطراب النوم ، وضعف الذاكرة والشعور بالصداع فى مقدمة الرأس ، او بآلام فى الظهر والاطراف او مغص فى الجزء الايسر من اسفل البطن . وقد يعانى المريض اسهالا عاديا لا يصحبه دم ، ويعقبه امساك يستمر زمنا

وهناك حالات لا تظهر فيها حتى هذه الاعراض البسيطة ، ومع هذا يتبين بالفحص الدقيق خطورة حالة المريض

أما مضاعفات المرض ، فأهمها



انتقلت الاميبا من الامعاء الى الكبد .. فكونت فيها خراجا

اذا أزمنت الدوسنتاريا الاميبية ، فانها كثيرا ما تسبب قرحا فى انسجة «القولون»



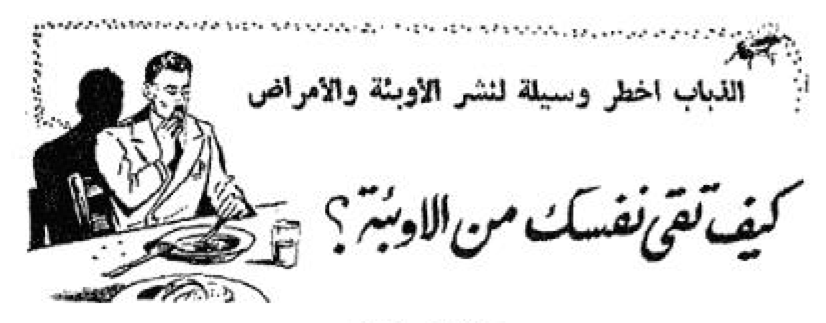
ينتشر مرض الدوسنتاريا فى كثير من بقاع العالم ، ولكن نسبة الاصابة به تتجاوز ٨٠٪ فى كثير من بلاد الشرق الاوسط.

التهاب القولون المزمن بسبب كثرة القروح الحديثة والملتئمة التى تسبب ضيق المصران وتليفه . ثم التهاب الكبد بسبب وصول الطفيلى اليها عن طريق الدورة الدموية . وقد يتركز الالتهاب فيكون على شكل خراج فى الكبد أو المخ

وتختلف الدوسنتاريا الاميبية Amoebic عن الميكروبية Bacillary فهذه الاخيرة تسبب النزلات المعوية الحادة ، والاسهال المتكرر ، وتكثر فيها كمية البراز ، ويكون (التعنى) وآلام البطن أشد حدة وقسوة ، وقد يصحبها قيء حاد . ويمكن التأكد من نوع الدوسنتاريا بتحليل البراز ميكروسكوبيا

ولما كانت الوقاية افضل من العلاج ، فان علي كل منا لكي يقى نفسه من هذا المرض ان يعنى كل العناية بنظافة طعامه وشرابه ، وبخاصة الخضروات والفاكهة ومنتجات الالبان والحلوى. ويجب ان يتأكد بنفسه من غسل المأكولات التى تؤكل نيئة غسلا جيدا ، وحبذا لو استعمل محلول برمنجنات البوتاسيوم فى غسل الخضر والفاكهة. كما يجب الاحتفاظ بالطعام والشراب بعيداً عن الذباب ثم العناية بنظافة اليدين جيدا بعد التبرز وقبل تناول الطعام ، ومراعاة نظافة من يحملون الطعام والشراب ، والتحقق من أن الطهاة والخدم وحاضنات الاطفال ليسوا حاملين للطفيلى

وعلى السلطات الصحية ان توجه عناية كبيرة الى مكافحة الذباب وجمع القاذورات والاكثار من المراحيض العامة ولاسيما فى الاوساط الشعبية . مع مواصلة نشر الوعى الصحى بين الطبقات الفقيرة والفلاحين ، ومراقبة العمال والخدم فى المحال العامة التى تقدم المأكولات والمشروبات ، والباعة الجائلين . وتسهيل الفحص الميكروسكوبى لعامة الشعب ، وتيسير علاجهم



الذباب اخطر وسيلة لنشر الأوبئة والأمراض

كيف تقي نفسك من الاوبئة ؟

بقلم الدكتور كمال موسى

اخصائي الأمراض الباطنية والحميات

بدات مقاومة الأوبئة والأمراض المعدية رسميا بواسطة الحكومات ، منذ اواسط القرن الرابع عشر الميلادى . ففى ٢٠ مارس سنة ١٣٤٨ بدأ العمل فى جمهورية البندقية « فينيسيا » بالقرار التاريخى المعروف باسم « خطاب الطاعون » . وهو قرار اصدره حكامها الثلاثة الأعيان ، ويقضى بالا يسمح لأحد بالانتقال من منطقة الى أخرى الا بترخيص رسمى من المختصين يثبت خلو المنطقة التى يريد مغادرتها من الطاعون !

وعن البندقية أخذت البلاد الاخرى هذا النظام ، وما زال معمولا به حتى الآن باسم « جواز السفر » أو « الباسبورت » وان يكن ذلك الغرض الاول منه قد طواه طول العهد . ثم تطور نظام خطاب الطاعون الى نظام الحجر الصحي المتبع الآن فى جميع البلاد المتمدنة ، وعرف فى اول أمره باسم « كارنتينا » أى « الاربعين » لأن الرقابة الصحية على القادمين من بلاد موبوءة كانت تستغرق ٤٠ يوما .. تناقصت حتى صارت بضعة أيام !

ولا شك فى ان مقاومة الأوبئة والأمراض قد تقدمت كثيرا نتيجة لتقدم الطب الوقائى والعلاجى . فاختفى وباء « الجدرى » تماما من بلاد العالم المتحضر جميعها ، وقل خطره الى حد بعيد فى البلاد المتوسطة الحضارة ، كما اختفى « الطاعون » و « الكوليرا » من أوربا وأمريكا ، وكادت « الدفتريا » تختفى من انجلترا ، وعاشت ألمانيا حتى الحرب الماضية فى أمان من « التيفود » . على ان نشوب الحروب وما تقتضيه من تنقل قوات كثيرة العدد مختلفة الأجناس ، واختلاط افرادها بعضهم ببعض ، ثم اختلاطهم بأهل البلاد التى يحتلونها .. كل ذلك ادى الى نكسة شديدة فيما يختص بمقاومة الأوبئة والامراض

المعدية ، فظهرت فى كثير من البلاد الغربية والشرقية ، وفتكت بكثير من أهلها ، برغم الجهود الجبارة التى بذلت فى مقاومتها

وما زلنا فى مصر نذكر ما فعله وباء « الكوليرا » الذى وفد علينا مع القوات الاجنبية سنة ١٩٤٧ . كما نذكر أن الاصابات بالتيفود زادت نسبتها عندنا فى العام الحالى على ما كانت عليه فى الأعوام السابقة ، وكان بين المصابين أطفال رضع ، وشيوخ مسنون ، خلافا لما جرت به العادة من قبل

وفى سنتى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ عانت المانيا كثيرا من الامراض الوبائية المختلفة ، كالتيفود والتيفوس ، والدفتريا والسعال الديكى ، والامراض الجلدية ، وغيرها. وبلغت الاصابات بالتيفود وحده خمسمائة اصابة فى مدينة «ستوتجارت » التى لا يزيد عدد سكانها على نصف مليون . وذلك برغم ما أشرنا اليه من أن هذا المرض لم يكن ذا خطر فى المانيا قبل تلك الحرب المشئومة ، ولم يزد عدد حالاته فى « برلين » عاصمتها سنة ١٩٣٩ على ١٤٠ حالة أكثرها بين المهاجرين اليها من بولندا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا !

وفى السنين الاخيرة أيضا ، بدأ مرض « شلل الاطفال » يأخذ شكلا وبائيا رهيبا فى أمريكا وكثير من البلاد الاوربية وغيرها

وسواء أكانت الامراض الوبائية مما توطن فى بلادنا كالتيفود والدوسنطاريا الاميبية والنزلات المعوية ، أم كانت من الامراض الوافدة العالمية كالدفتريا والنزلات البردية وما اليها ، فهى كلها تقتضى منا عناية كبيرة خاصة للعمل على الوقاية منها بمختلف الوسائل الجديدة ، على أن يتعاون أفراد الشعب مع الهيئات الرسمية المختصة تعاونا صادقا ، مراعين تنفيذ التعليمات الوقائية بكل دقة

وأهم وسائل الوقاية المطلوبة من الافراد هى :

١ ــ التطعيم ضد الجدرى والدفتريا ــ وهو اجبارى فيهما ــ وضد التيفود والسعال الديكى ، ثم ضد شلل الاطفال اذا اقتضى الامر

٢ ــ مراعاة الدقة التامة فى اتباع قواعد النظافة المنزلية ، ولا سيما فى غسل الخضر والفواكه وأدوات الاكل ، وتطهير المطبخ ودورة المياه ، مع تعود غسل الأيدى قبل الأكل وبعده

٣ ــ مكافحة الذباب بقاتل الحشرات المختلفة كالفليت وال « د . د . ت » ، وتغطية النوافذ بالدانتلا ، وتغطية أوانى الطعام والشراب . فالذباب أخطر وسيلة لنشر الأوبئة والامراض ، واليه ترجع الاصابات الخطيرة بالتيفود والنزلات المعوية والالتهاب الكبدى الوبائى ، والدوسنطاريا ، وشلل الاطفال

أمراض ليست غريبة

حمى البغاء

بقلم الدكتور كامل يعقوب

اخصائى الأمراض الباطنية

كان ذلك منذ بضع سنوات مضت . وكان احد مراسلى الصحف فى مدينة بورسعيد قد بعث الى جريدة فى القاهرة برسالة مؤداها ان سيدة اجنبية من اهل المدينة كانت تحتفظ فى حديقة دارها بعدد كبير من البغاوات وطيور الزينة فتفشى بينها مرض خطير اودى بحياة البعض منها . ولم تمض أيام حتى أصيبت السيدة نفسها بحمى ثقيلة الوطأة، فاعتقدت ان المرض الذى اصاب طيورها قد انتقل اليها عن طريق العدوى

وبعد أن اطلع الطبيب على فحوى هذه الرسالة فى جريدته الصباحية اخذ يفكر ويقول لنفسه :

ما هو نوع هذه الحمى التى يجوز — كما تزعم هذه السيدة — ان تنتقل من الطيور المريضة الى بنى الانسان؟ انه يعرف مرضا واحدا ينطبق عليه هذا الوصف وهو مرض «السيتاكوز» أو حمى البغاء . ولكن هذا المرض نادر جدا ولم يسبق لاحد من الاطباء ان شاهد حالة واحدة من حالاته فى مصر . وهو الى ذلك متوطن فى بلاد البرازيل وبعض ممالك امريكا الجنوبية حيث يظهر من وقت لآخر بين طيور البغاء ثم ينتقل منها الى بعض أفراد الناس ممن يهتمون بشراء هذه الطيور واقتنائها . واذا كان الامر كذلك فما الذى جاء بهذا المرض من امريكا الجنوبية الى احدى الموانىء المصرية ؟ وهل هو منتشر هناك فى ذلك الوقت حتى نتوقع مجيئه الى مصر ؟

وبعد ان أدار صاحبنا هذه المسائل فى ذهنه اخذ طريقه الى مكتبة كلية الطب ؛ وهناك انفق شطرا طويلا من الوقت فى الاطلاع على مختلف المجلات الطبية التى وصلت فى الشهور الاخيرة من القارة

الامريكية . ولم يلبث أن وقع نظره على مقال قيم أثار اهتمامه . وكان هـذا المقـال بقلم طبيب ارجنتينى مشهـور يدعى الدكتور باروس ، تحدث فيه عن ظهور مرض وبائى خطير فى مدينـة كوردوبا . وكان بعض اطباء المدينة يزعم ان هـذا المرض هو الانفلونزا ، والبعض الآخر يزعم انه التيفود . وقال الدكتور باروس فى مقاله ان اعراضه لا تتفق مع الانفلونزا ولا مع التيفود ، وانما تتفق مع اعراض مرض آخر هو « السيتاكوز » أو « حمى الببغاء » وبلدة كوردوبا هذه تقع فى قلب جمهورية الارجنتين .ويجتمع فيها عدد كبير من تجار الببغاوات الذين يفدون اليها من البرازيل ويقيمون فيها اسواقا لبيع هذه الطيور بالمزاد العلنى . ولاحظ الدكتور باروس ان مرض «السيتاكوز» كان منتشرا فى الوقت نفسه بين الببغاوات وان الاصابات التى ظهرت بين النـاس كانت مقصـورة على الافراد الذين اشتروا بعضا منها . وبلغت نسبة الوفيات بين المصابين بهـذا الداء اكثر من ٢٠ فى المـائة . ولم يكد الاهالى يفطنون الى العلاقة القائمة بين هذا المرض الفتاك وبين هـذه الطيور التى اشتروها حتى راحوا يعيدونها الى اصحابها او يتخلصون منها باية وسيلة من الوسائل

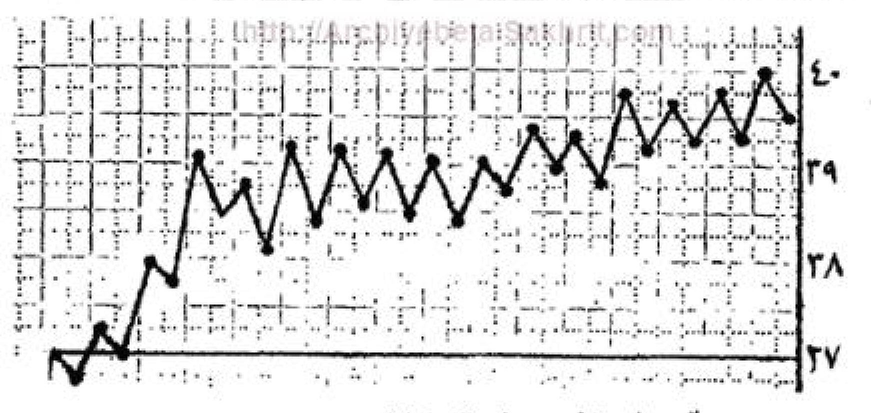
□

وبعد ان ظفر الطبيب بالحصول على هذه المعلومات ، تاقت نفسه الى السفر الى مدينة بورسعيد لكى يشاهد هذه الحالة الغريبة ، ويقف على منشأ العدوى اذا ظهر له انها نتيجة مرض « السيتاكوز » بالفعل فاستقل قطار المساء وبلغ المدينـة فى ساعة متأخرة من الليل . وفى صباح اليوم التالى قصد الى مكتب مفتش صحة المحافظة وعلم منه ان المريضـة التى اشار اليها مراسـل الجريدة هى سـيدة انجليزية من أهالى بورسعيد ، وانها تقيم الآن فى المستشفى الانجليزى للعلاج . وذهب الطبيب لزيارة المريضة فى المستشفى واطلع على تذكرة الحرارة المنشورة صورتها مع هذا المقال . وعلم منها انهـا كانت تحتفظ فى منزلهـا بثلاثة وعشرين طيرا من الببغاوات والبلابل والعصافير ، وانها اشترت اخيرا ببغائين من احد تجار الطيور فى المدينة . فلم يمض سوى يومين حتى مرض الببغاءان وانتقل المرض الى غيرهمـا من الطيـور . وكان الببغاء يصاب فى بادىء الامر برعشة عنيفة تجعله ينزل من ارجوحتـه ويقف مقرورا فى احد اركان القفص ثم تظهر عليـه اعراض الرشح والسعال ويعتريه من بعدها اسهال مخاطى مدمم . ولا يلبث أن يذوى جسمه وينفش ريشه وتظهر عليه علائم الكآبة فيمتنع عن الطعـام ويضع راسه بين جناحيه ويستسلم للمرض حتى ينتهى الامر بشفائه او موته . وكانت السـيدة تحب طيورها حبا جما وتعطف عليها عطفا بالغا . وكانت اذا اصيب احـدها

بانتفاضة أو رعشة تحمله بين يديها وتضمه الى صدرها ، واذا امتنع عن الطعام تطعمه من ثغرها . ولم تمض ايام على هذه الحال حتى أصيبت هي الاخرى بالمرض فاعترتها رعشة شديدة وارتفعت حرارتها ارتفاعا كبيراً ثم انتقلت الى المستشفى الانجليزى للعلاج ، وهناك ظهرت عليها اعراض الرشح والسعال ثم اعقبتها نوبات الاسهال . واخذ أطباء المستشفى جملة عينات من دمها لفحصها ، فكانت النتيجة سلبية للملاريا والحمى الراجعة والتيفود والتيفوس . واخذوا عينة من السائل الشوكى فكانت نتيجة الفحص سلبية كذلك

وبعد ان فرغ الطبيب من بحث حالة المريضة والاستماع الى قصتها سالها عن عنوان التاجر الذى اشترت منه طيورها ، ثم غادر المستشفى وقصد الى حانوت هذا التاجر . وكانت فيه مجموعة كبيرة من الببغاوات البرازيلية والاسترالية والزنجبارية ومجموعة اخرى من البلابل والعصافير وغيرها من طيور الزينة . وعلم منه أنه اشترى اخيرا بضع ببغاوات من احدى السفن القادمة من البرازيل وذلك فى اثناء مرورها بميناء بورسعيد . وقد أصيب احدها بالمرض ومات واصيب ببغاء آخر فسقاه الشاى المغلى وعالجه بالتدفئة حتى شفى . وقال له ان الببغاء البرازيلى هو اكثر الطيور تعرضا لهذه الحمى وانه يمتاز بلون جسمه الاخضر وجبهته الزرقاء وبالبقع الحمراء التى تكسو جناحيه

وهكذا ادرك الطبيب ان هذه الحالة هى نتيجة حمى الببغاء حقا ، وان العدوى قد جاءت من البرازيل الى مصر مع احد الطيور المريضة . اما سبب العدوى المباشر فهو جرثومة متناهية فى الدقة من تلك الجراثيم الغير المنظورة التى تعرف باسم الفيروسات



رسم بيانى يوضح تطور درجات الحرارة فى حالة الاصابة بحمى الببغاء

مائة عام مضت على ابتكار الاسبيرين .. ولا يزال من افضل العقاقير لعلاج الامراض الناشـــئة عن البرد

اسـبيرين
فى عيـده المئوى

فى عام ١٨٥٤ توصل كيميائى المانى يدعى « جيرهارت » الى تركيب مادة اسمها حامض الاسيتيل ساليسيليك . وقد مضى على هذا الاكتشاف نحو نصف قرن من غير أن يعرف له وجه يستفاد به فيه .. الى ان اكتشف احد العلماء أن أحد مشتقات هذه المادة ــ وهو مادة (الساليسيلات) ــ يساعد على تخفيف أوجاع المصابين بالآلام الروماتيزمية ، ما عدا ذوى المعدات الضعيفة منهم . ثم خطر لمدير معهد البحوث الطبية فى شركة « باير » الالمانية عام ١٨٩٩ أن يجرب استعمال المادة الكيميائية التى اكتشفها « جيرهارت » لعلاج هذه الطائفة من المرضى ، فاذا بها تأتى لهم بنتائج حسنة الى حد لم يكن احد يتوقعه ، ثم اكتشف الباحثون انها تخفف آلام الصداع إيضا . وذاع الخبر ، فاقبل المرضى على استعمال هذا العقار . ولما اقتنع الاطباء بفائدته راحوا يصفونه فى صورة مسحوق . ولما كان لفظ « اسيتيل ساليسيليك » ثقيلا فى النطق ، فقد استبدلوا به لفظ « اسيتيل سبيريك »

وتحتكر شركة « باير » بالمانيا التسمية « أسبيرين » منذ ظهورها حتى الوقت الحاضر ، وحافظت على حقها فيها فى مصر وفى أكثر من ستين دولة اخرى من دول العالم طبقا لاحكام قوانين كل دولة منها ، كما أن أحكام المحاكم فى جميع تلك الدول ايدت حق شركة « باير » فى هذه التســمية لوحدها دون سواها

وقد تبوأ الاسبيرين الآن مكانا ممتازا بين الادوية فى جميع انحاء العالم

ويجمع الاخصائيون على أن للاسبيرين اثرين واضحين ، فهو مخفف للألم ومهبط للحمى ، ولهذا فانه يفيد فى حالات الصداع والامراض المتسببة من البرد . على أن مقادير كبيرة منه تستهلك سنويا لغير ما سبب سوى اندفاع المرء لتناوله بحكم العادة ، أو لانه لابد أن يأخذ شيئا ، حينما تضطرب أعصابه

وما زال الطب يجهل كيف يؤدى الاسبيرين اثره فى الجسم . وقد زاد اهتمام الاطباء به أخيرا أثره فى حالات الحمى الروماتيزمية ، بوجه خاص ، فقد لاحظوا الشبه الكبير بين أثره فى مقاومتها وبين آثار الكورتيزون وهرمون « ا . ك . ت . هـ » اللذين أحدث اكتشافهما تطورا كبيرا فى علاج هــذا المرض ، مما حفز لفيفا كبيرا من الاخصائيين الى دراسة ما اذا كان يمكن أن يقوم الاسبيرين مقام هذين الهرمونين ، فهو زهيد الثمن ، ثم أن رد فعله أقل من رد فعلهما بكثير

أمراض عصبية شائعة فى الشرق

بقلم اخصائى

عرفت الامراض العصبية فى جميع بقاع العالم منذ بدء التاريخ ، ولكن علاجها الصحيح لم يبدأ الا اخيرا بعد النهضة العلمية الحديثة ، والتقدم الكبير فى مختلف فروع الطب ، ومنها طب الامراض العصبية . على أن كثيرا من الناس — ولاسيما فى بلادنا الشرقية — لا يزالون متأثرين بانواع العلاج القديمة لهذه الامراض ، نتيجة لانتشار الدجالين المضللين

ولعل أهم الامراض العصبية فى الشرق هى الامراض الناتجة عن نقص التغذية ، فقد ثبت ان مرض « البلاجرا » الناشىء عن نقص التغذية يسبب اعراضا عصبية وعقلية ، مثل ضمور اطراف الاعصاب ، وما يتبعه من تقصف فى الايدى والارجل ، وقلة الاحساس فى اطرافها ومثل ضمور النخاع الشوكى الذى يضعف القدرة على السير ، وضمور المخ الذى تنتج منه حالات عقلية ذات امراض متعددة . وهذه الحالات كلها تعالج بتزويد المريض بما ينقص جسمه من الفيتامينات ، ويرجى أن تقل نسبتها بزيادة نسبة التعليم وارتفاع مستوى المعيشة

وهناك نوع آخر من الامراض يشغل بال كثير من الناس خصوصا المتقدمين فى السن وهو الشلل النصفى الجانبى ، وهذا ينتج عن انسداد فى شرايين المخ بجلطة دموية او نزيف . ويكون هذا فى الغالب نتيجة لتصلب الشرايين ، اوارتفاع ضغط الدم

وخير ماننصح به للوقاية من هذا المرض ، ولا سيما كبار السن ، ان يحرصوا على الاعتدال فى الاكل ، والاقلال من تناول المواد الدهنية والملح واللحوم . أما المرضى فيجب عليهم المبادرة بالعلاج والمداومة على تدليك الاطراف المصابة

ويعد الصرع من الامراض العصبية التى تفتك بالشرقيين لاهمالهم علاجها منذ ظهوراعراضه من التشنجات والاغماء من حين لآخر . ويرجع هذا الاهمال الى نقص التعليم ، والى المعتقدات الخرافية السائدة ، التى تنسب تلك التشنجات العصبية الى الجن ، وتقصر علاجها على « الزار » وحمل « الاحجبة » والاستعانة بالدجالين حتى يستفحل المرض . والحقيقة

التى لاشك فيها أن الصرع ناتج عن مرض بالمخ ، يوجب المبادرة الى علاجه بواسطة الاطباء المختصين ، والا ساءت عقباه

وهناك امراض كان يظن انها قليلة فى الشرق ، مثل شلل الاطفال والتليف ولكننا كثيرا ما نشاهدها الآن . ومهما يكن من اختلاف الاخصائيين فى اسباب زيادة انتشارها فلابد من المبادرة بعلاجها ، لاعطاء المريض فرصة الحصول على اقصى ما يمكن من التحسن

أما الامراض النفسية والعقلية فقد عرفها الشرق من قديم ، ولكن زيادتها متوقعة نتيجة لزيادة التقدم وما يتبعها من زيادة المسئوليات على الأفراد . وهذه الحالات قابلة للعلاج ويجاهد علماء العالم الآن لابتكار ادوية وطرق جديدة لعلاجها . وعلى المهتمين بالصحة العقلية فى الشرق أن يستعدوا لمواجهة تلك الزيادة المتوقعة فى نسبة تلك الامراض . وقد أعدت الحكومة المصرية مشروعا ضخما لزيادة مستشفيات الامراض العقلية ، ولانشاء مدرسة للتمريض العقلى . كما أن الجمعية المصرية للصحة العقلية تقوم بارشاد الاهلين بالقاء المحاضرات وتوزيع البيانات وغير ذلك من أنواع الدعاية